بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان
جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات النحوية واللغوية

التَّكْرَارُ الْمَعْنَوِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيم
(دراسة أسلوبية دلالية)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

الباحث
يحيى بن محمد بن علي المهدي

إشراف
أ.د/ محمد غالب عبد الرحمن وراق

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

[الزمر:(٢٣)]

الإهـــــداء

- إلى والدي الكريمين ـ أطال الله عمرهما وأحسن عملهما ـ اللذين ما تزال آثار دعواتهما المخلصة تغمرني بالتوفيق والسداد في ظعني وإقامتي.

- إلى المنحنية أصلابُهم على أجزاء القرآن يتلون آيات الله آناء الليل وأطراف النهار.

- إلى كل محب للغة القرآن الكريم.

أُهدي هذا البحث،،،

يحيى

شكرٌ وتقدير

الحمد لله القائل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وأصلي وأسلم على البشير النذير محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعـــــد:

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بعظيم شكري وجزيل امتناني للأستاذ الفاضـــل الدكتور/ محمد غالب عبد الرحمن وراق – رئيس قسم الدراسات النحوية واللغوية بكلية اللغة العربية في جامعة أم درمان الإسلامية،الذي أكرمني الله به مشرفًا على هذه الرسالة ، فظل على مدى ثلاث سنوات يتعهدني بالرعاية والمتابعة فيها؛ قصداً منـــه إلى تصـــحيح المسار ؛ حتى لا أقع في عثرة الرأي ، ومزالق التأويل ، وسطحية النظر. فأخذني بضوابط منهجه الدقيق المركّز، الذي يأبى وضع أدنى تعبير في غير محله؛ حرصًا منه على أن يخـــرج هذا العمل كاملاً غير منقوص من جهة ، وبعيدًا عن أدنى زيادة من جهة أخرى .

فأسأل الله العظيم أن يبارك في عمره، وينفع بعلمه وعطائه ، وأن يجـــزل ثوابـــه ، ويجزيه عني خير الجزاء .

كما أتقدم بشكري الجزيل لمدير جامعة أم درمان الإسلامية على ما قدمه لي مـــن عون ، وما غمرني به من فضل .. فأسأل الله ﷻ أن يحسن جزاءه في الدارين.

والشكر موصولٌ لرئيس جامعة العلوم والتكنولوجيا اليمنية ، ونائبه ، وعميد كليات العلوم الإدارية والإنسانية بالجامعة، على ما قدموه من عون ومساعدة لإنجاز هذا العمل .

وأشكر كذلك الإخوة أعضاء قسم الدراسات النحوية واللغوية بكلية اللغة العربيـــة بجامعة أم درمان الإسلامية، والأخ منسق الدراسات العليا بالكلية على تعاونهم وتقديرهم.

كما لايفوتني أن أشكر كل ذي فضل علي لم تتسع السطور لذكر اسمه، راجياً منهم العذر، فلهم في القلب مستقر ومستودع ، وفي النفس فائق الاحترام والتقدير .

الباحث

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتـــاب ﴿ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد ، وآلـــه وصحبه ومن اهتدى بهديه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــــد:

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة وحجته البالغة، قد أحـــاط بالحقـــائق ، فاندرجت فيه كلُّ حقيقة ، وهيمن على الكمالات، فكل كمال من خزائنـــه متـــدفق. خشعت لسطوة جلاله القلوب ، وانبهرت لروعة بيانه العقول ؛ فلا يزال ورداً مـــوروداً تتناصر إليه عزائم العلماء ، وتتزاحم عليه همم الباحثين على الدوام ، قصـــدًا إلى معرفـــة أسرار بيانه، واستظهار أسباب إعجازه .

وهذا بحث حاولت فيه دراسة ظاهرة من أهم الظواهر اللغوية في القرآن الكريم، ألا وهي ظاهره " **التَّكرار المعنوي** " .

فبعد أن وفقني الله- تعالى- في بحث الماجستير إلى دراسة ظاهرة التكرار اللفظي في القرآن -رأيت أن من المناسب إكمال الموضوع من جانبه الآخر في رسالة الـــدكتوراه ، وهو التكرار المعنوي ؛ حتى تكتمل حلقة الدراسة ، فتضم اللفظ والمعنى ؛ ليتحقق شمـــول التناول ، وعموم الفائدة .

*** وإضافة إلى ما سبق هنالك أسباب دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع تتمثل في الآتي:**

١) الإسهام بما أسطيعه من جهد في نيل شرف خدمة كتاب الله الكريم ؛ فضلاً عما في ذلك من تقوية للإيمان بالله تعالى، وزيادة لليقين ، ورجاء أن يكتبني الله من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصّته .

---

١) يوسف (١١١).

٢) إبراز الخصائص الأسلوبية والدلالية الخاصة بالمواضع المدروسة ، وتحليلها ؛ بأسلوب يحمل شمولاً في التناول؛ نستطيع بموجبه الاستدلال على الشبيه والنظير، وجِدّة في النتائج ؛ تمنح البحث قيمة علمية ، وفائدة غير مسبوقة.

٣) بيان فوائد التكرار المعنوي ومقاصده، بما يتضمنه ذلك من ردٍ على ما قد يثار من شبهات وتساؤلات حول ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم.

٤) جمع شتات ما كان مفرقاً مما أمكن جمعه من وجوه متعددة ودلالات متنوعة أوردها العلماء لهذه الظاهرة .

٥) أني لم أجد المعنيين بدراسة متشابه القرآن -فيما وقع بين يدي من المصادر والمراجع- قد خصوا ظاهرة التكرار المعنوي -تحديداً- بدراسة أصيلة مستقلة، تقوم على بيان خصائص الأسلوب والدلالة وتحليلها، مع مراعاة الخصوصية التي يتمتع بها أسلوب القرآن- إلا ما كان من إشارات، ومباحث هنا وهناك في مظان كتب الدراسات القرآنية المختلفة. فرأيت أن تكون هذه الدراسة منطلقاً لدراسات متخصصة، أكثر شمولاً وتعمقاً في هذا الشأن.

٦) يحسب الباحث أن بحثه بصورته الحالية هذه -يشكل نواة ومنطلقاً لدراسات مماثلة أكبر سعة وأكثر عمقاً.

ومن هنا تبرز أهمية البحث في هذا الموضوع، والمقاصد المهمة لتأليفنا فيه.

وبعد أن عقدت العزم على خوض غمار هذه الظاهرة القرآنية العظيمة ، أخذت أتأمل في طرقها ومسالكها، وآخذ نفسي بتسجيل ما يخطر لي في ذلك، فوجدت أنها من الوعورة والمشقة بمكان، فأدركت حينها أن هذا هو الذي حدا بالباحثين إلى عدم الاقتراب من حمى هذه الظاهرة -فهممت أن أترك هذا الأمر؛ خوفاً من أن أقول في القرآن ما ليس لي فيه، إذ لم أجد معيناً من كتب مختصةٍ أستند عليها.. إلا أن الله قوّى النية، وشدّ الهمة، ويسر الأمر.

فكانت تلك الإشارات الآنفة الذكر بمثابة المفاتيح التي استطعت بواسطتها الدخول إلى دراسة هذه الظاهرة من أكثر من باب..

*** ويقع هذا البحث –بعد المقدمة- في بابين:**

الباب الأول منه: ويختص بالإطار النظري لظاهرة التكـــرار المعنـــوي في القـــرآن الكريم؛ حيث قسمته فصلين ؛ الفصل الأول: ويختص بمصطلحات البحـــث . والفصـــل الثاني: ويختص بدراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم، وفوائده.

أما **الباب الثاني:** فيمثل الجانب التحليلي ، وينقسم ثلاثة فصول ، كل فصل يحمل جانبًا من جوانب المعاني القرآنية؛ فيختص الفصل الأول بالمعاني العقدية، والثاني بالمعـــاني التشريعية والأخلاقية، والثالث بالجانب القصصي .

ثم ينتهي البحث **بخاتمة**؛ بيّنَ فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، ثم أَعقـــب ذلك بثبتٍ لأهم المصادر والمراجع التي أفاد منها في بحثه.

*** حدود الدراسة ومنهجها:**

هذه الدراسة تتناول بالبحث والتحليل الأسلوبي والدلالي "ظاهرة التكرار المعنوي في القران الكريم".

والناظر إلى كتاب الله يجد أن التكرار المعنوي بمعناه الواسع لا يكاد يخلو منـــه أي موضوع من الموضوعات التي تناولها القران.

غير أن التكرار المعنوي لا يظهر في أوضح صوره إلا في تلك المواضع التي يبدو لأول وهلة أنها تعاد مرة أو أكثر بصياغات تعبيرية متشابهة،بل تكاد تكون واحدة في ظاهرهـــا؛ ولذلك آثر الباحث الاقتصار عليها وجعل هذه الدراسة معنية بها.

وقد عمَد الباحث في بادئ الأمر إلى حصر مواضع التكرار المعنوي الداخلة ضـــمن منهج هذا البحث مستغرقًا في ذلك وقتاً وجهداً كبيرين؛ في البحث، والتنقيب، والتتبـــع، والاستخراج.

وبعد هذا البحث المضني وجد الباحث أن تلك المواضع كـــثيرة جـــداً، لا يمكـــن إخضاعها جميعًا للتحليل الأسلوبي والدلالي في بحثٍ كهذا ، مما حدا بالباحث إلى استبعاد المسرد الإحصائي لمواضع الآيات الداخلة في حدود هذه الدراسة؛ لأنها ستشـــغل حيـــزاً

كبيراً من البحث، ويمكن الرجوع إليها في المعاجم والفهارس المختصة بالمعاني والموضوعات القرآنية.

وبعد تقليب الأمر على وجوهه استقر الباحث – بفضل الله تعالى، ثم بفضل توجيهات المشرف – على أن ينصَبَّ التحليلُ على دراسة الظاهرة ممثلة في أبرز مواضع التكرار المعنوي الداخلة ضمن الحدود المشار إليها آنفاً. على أن يشمل التحليل كل المعاني التي وردت في القران وهي :

١- المعاني العقدية.

٢- المعاني التشريعية والأخلاقية.

٣- القصص القرآني.

فعمد الباحث إلى اختيار أبرز المواضع في كل معنىً على حدة؛ حتى تكون أوضح في الدلالة على المراد، وأصدق في استخلاص النتائج العامة منها؛ للوصول إلى الكليات انطلاقاً من الجزئيات، وهذا -كما هو معلوم- مرتكزٌ من أهم مرتكزات التحليل الأسلوبي.

وهنا أمر لا بد من التنبيه إليه والدلالة عليه، حتى لا يذهب القارئ بعيداً في حكمه على منهج الدراسة وطرائق التحليل المرتبطة به. فبما أن هذا البحث يختص بتحليل خصائص الأسلوب والدلالة في ظاهرة التكرار المعنوي في القران الكريم؛ فإن من الطبيعي ألاّ نفصل هنا الدراسة الأسلوبية عن الدراسة الدلالية؛ وذلك أننا عندما نقوم بالتحليل الأسلوبي لمستويات اللغة المختلفة المشكلة للأداءات التعبير في النص المدروس والمتمثلة في الأصوات والبنى والتراكيب، فإننا نعمد في النهاية إلى بيان الدلالات التي تنداح من كل مستوى من هذه المستويات، وإلا فإن قيمة البحث الأسلوبي ستقل؛ إذا لم يكن مرتبطاً بالدلالة بوصفها نتيجة حتمية لهذا البحث.

وما دمنا في هذا البحث معنيين بدراسة النص القرآني وتحليله، فإن هذا النص -كما هو معلوم – له خصوصيته التي يجب مراعاتها أثناء التحليل؛ فقد يستدعي التحليل مخالفة ما هو معهود في ترتيب المستويات، كتقديم مستوى على آخر، فقد تقدم الدلالة على

الأسلوب، أو المستوى البنيوي على المستوى الصوتي أو التركيب على البنية وما شابه ذلك. فليس هذا من قبيل عدم معرفة الباحث لترتيب مستويات البحث الأسلوبي – التي تبدأ عادة بالصوت وتُختم بالتركيب مروراً بالبينة- ولكن ذلك ناشئ عن ضرورات تفرضها نوعيةُ الظاهرة المتناوَلة، وطبيعيةُ النص القرآني المعبِّر عنها، فأجد نفسي في بعض الأحيان محكوماً بتحليل أكثر من نص قرآني في آن واحد، وقد لا أجد مسوغاً يستدعي الترتيب المشار إليه.

ثم من قال إن الدراسات الأسلوبية والدلالية محكومة بطريقة معيّنة في التحليل!، وإلا نكون قد ضيقنا واسعاً. وقد مر بنا عند بيان مفهوم الأسلوب والدلالة أن لكل باحث طريقته ومنهجه الذي يراه مناسباً ويتماشى مع اجتهاداته وخصائصه وآرائه.

والبحث يختص بمواضع التكرار المعنوي المتشابه من حيث الصياغة ؛ لأن هذا النوع من التكرار هو أبرز الأنواع التي يصدق عليها اسم التكرار المعنوي ؛ فإذا ما وُجِدَتْ -في هذا النوع من التكرار- خصائص ودلالات تميز كل موضع عن الآخر ، فهي فيما هو أدنى منه تشابهًا من باب أولى ..

وقد وجد الباحث أن أنسب منهج يسير عليه في بحثه هو المنهج الوصفي في الباب الأول؛ كونه يتماشى وطبيعةَ التناول الخاصة بموضوعات هذا الباب، المتسمة بالبيان والتأصيل لظاهرة التكرار المعنوي في جانبها النظري .

أما الباب الثاني فقد سلك الباحث فيه منهج التحليل الأسلوبي والدلالي التكاملي؛ حيث زاوج بين الأسلوب والدلالة عند تناوله لكل موضع على حدة، وهذا هو الأنسب في تحليل خصائص الأسلوب والدلالة هنا ؛ فنحن لا ندرس معنى واحدًا بل معانيَ متعددة؛ إذ لا يمكن أن تتفق الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في الجانب العقدي مع الجانب التشريعي والقصصي أو العكس ، وبالتالي فلا يمكن جمع خصائص الصوت أو البنية أو التركيب ، ومن باب أولى الدلالة- لكل هذه المعاني المختلفة في فصول أو مباحث مستقلة بعيدة عن نصوصها ومعانيها الكلية .

ولو سلمنا جدلاً بأن الباحث قد ضرب صفحًا عن هذه الحيثيات المقنعة ؛ فجمع خصائص الصوت في فصل ، والبنية في آخر ، والتركيب في ثالث ، ثم أعقب ذلك كله بالدلالة وما يتعلق بها ؛ لوجدنا أن في ظاهر ذلك التنظيم المتكلّف ، وفي باطنه التخبط ، وعدم البيان والوضوح ، ومن ثمّ انعدام الفائدة ..

وبناءً على ذلك كلِّه -فقد وجد الباحث أن إيراد النص بخصائصه الأسلوبية ودلالاته المختلفة تحت مظلة المعنى العام الذي يمثله هذا النص، أولى بكثير من إيراد تلك الخصائص والدلالات بمعزل عن النص الذي تصدُرُ عنه ، أو المعنى الذي ينتمي إليه ذلك النص ؛ لإيماننا أن اللغة بمختلف خصائصها ودلالاتها -كلٌ لا يتجزأ.

وبهذا يكون الباحث قد مزج في تناوله لظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم بين الأصالة في التعريف بهذه الظاهرة وبيان مصطلحاتها، واستعراض الدراسات التي تطرقت لها، والفوائد العامة التي نجنيها من ورائها -والمعاصرة في تحليل أساليب التعبير اللغوي المشكلة لأداءاتها وفق مناهج علم اللغة واللسان الحديث، مع تجديد في طريقة التناول ومنهج البحث يتناسب وطبيعةَ الدراسة التي يفرضها هذا الموضوع .

وقد رُتِّبَت الآيات الخاضعة للتحليل حسب ترتيب النزول؛ حتى يتمكن القارئ من معرفة التغييرات التي تظهر في الأسلوب، والتطورات التي تطرأ على الدلالة.

أما فيما يخص ترتيب الآيات في الفهرس، فهي بحسب ترتيب المصحف؛ ليسهل الرجوع إليها عند الإحالة.

وأما المنهج المتبع لبيان مواضع الاستدلال والإحالات الداخلية، فقد اعتمد الباحث في الإحالة إليها – في هامش البحث – على الترقيم العددي.

وأجد من نافلة القول في هذا المقام أن أُذكّر بأنه غيرُ خافٍ ما في هذا النوع من التكرار المحصور في هذه الحدود الضيقة والدقيقة من صعوبة بالغة في الجانب التحليلي. ولكن ما دمنا قد آثرنا اختياره دون غيره، وعقدنا العزم على الخوض في غمار هذه الظاهرة الكبرى من ظواهر القران العظيم، ووُجِدَتْ رغبةٌ عارمة في دراستها، وتصميمٌ شديدٌ على الجِدّة والجديّة في تناولها -يحدونا الأمل في الله، والثقة بتوفيقه وعونه- فإنّ

تجشُّمَنا لهذه العقبة الكأداء سيسفر بإذن الله عن بلوغ مراميها، وارتقاء أعلى مراقيها، شعارنا في ذلك:

ومن يتهيبْ صعودَ الجبالِ يعِشْ أبَدَ الدهرِ بين الحُفَر

*** وفيما يخص المصادر والمراجع الأساسية للبحث، فقد تنوعت تبعاً لتنوع فصول هذه الدراسة.. ومن أهمها:**

كتب التفسير وعلوم القرآن ، خاصة تلك التي أولت الجانب اللغوي عناية فائقة "كالمحرر الوجيز" "لابن عطية"، و"البحر المحيط" "لأبي حيان الأندلسي" ، و"جامع البيان" "للطبري" ، و"الكشاف" "للزمخشري" ، و"التفسير الكبير" "للفخر الرازي"، و"في ظلال القرآن" "لسيد قطب"، وأشباهها.

أما **علوم القرآن** فمن أهمها: "البرهان" "للزركشي"، و"الإتقان" "للسيوطي"، و"مناهل العرفان" "للزرقاني"، وغيرها.

وكذلك اعتمد الباحث على **المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن ومعانيه** ، ومن أهمها: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن" "لمحمد فؤاد عبد الباقي" ، و"الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم" "لمحمد مصطفى محمد"، و"المعجم المفهرس لمعاني القرآن" "لمحمد الزين" ، "وتصنيف آيات القرآن" "لمحمد محمود إسماعيل" .. وغيرها . وسنتحدث عن كثير من هذه المعاجم والفهارس عند تعرضنا لدراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم ، وذلك في الفصل الثاني من الباب الأول -إن شاء الله- .

كما أفاد الباحث من **المعاجم العربية** وفي مقدمتها: "لسان العرب" "لابن منظور"، و"صحاح الجوهري"، و"تهذيب الأزهري"، و"تاج العروس" "للزَّبيدي"، و"القاموس المحيط" "للفيروز آبادي".

وأفاد كذلك من **كتب إعجاز القرآن** ومنها: "الانتصار للقرآن" و"إعجاز القرآن" "للباقلاني"، و"نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" "للفخر الرازي"، و"الطراز المتضمن لأسرار

البلاغة وحقائق الإعجاز" "للعلوي" و"معترك الأقران" "للسيوطي"، و"إعجاز القرآن البياني " "لصلاح عبد الفتاح الخالدي"، و"شواهد الإعجاز القرآني" "لعودة أبو عودة".

وتأتي مصنفات **المتشابه القرآني** في مقدمة هذه المصادر والمراجع ، وعلى رأسها: "درة التنزيل وغرة التأويل" "للإسكافي"، و"البرهان في متشابه القرآن" "للكرماني".

وفيما يتعلق بالكتب **اللغوية والأسلوبية واللسانية** فمنها: "البيان في روائع البيان" "لتمام حسان" و"المدخل إلى علم اللغة" "لرمضان عبد التواب" ، و"علم الأصوات" لكمال بشر ، و"علم الأسلوب""لصلاح فضل"، و"الأسلوب والأسلوبية" "لعدنان النحوي". ، و"تحاليل أسلوبية" و"خصائص الأسلوب في الشوقيات" "لمحمد الهادي الطرابلسي" ، و"علم الدلالة" "لأحمد الكراعين"، و"مبادئ اللسانيات" و"اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي" "لأحمد قدور".

يضاف إلى ذلك كتب أخرى **متفرقة** تعنى بالقصص القرآني والدراسات البيانية في القرآن، وما شابهها..ومن أهمها "التعبير القرآني"، و"لمسات بيانية" "لفاضل السامرائي"، و"خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية" "لعبد العظيم المطعني"، و "من بلاغة القرآن" "لأحمد بدوي"، و"قصص القرآن الكريم" "لفضل حسن عباس"، و"القصص القرآني" "لعبد الكريم الخطيب"، و"دراسات قرآنية" "لمحمد قطب" .. وقد أفاد الباحث منها كثيراً في تحليل الأساليب، وتوجيه الدلالات المتعلقة بمواضع التحليل.

ومن خلال اطلاع الباحث لم يجد كتاباً واحداً أفرد هذه الظاهرة بدراسة لغوية تقوم على تحليل خصائص الأسلوب والدلالة فيها. إلا ما كان من إحصاءات خاصة بموضوعات القرآن ومعانيه في بطون المعاجم والفهارس القرآنية ، أو تلك الإشارات الموجودة في مظان كتب المتشابه القرآني أو علوم القرآن، وما شابهها – مما أمكنه الاطلاع عليه –.

ولذلك –يحسب الباحث أنه قد فتح –بهذه الدراسة– الباب على مصراعيه أمام الباحثين للخوض في دراسة ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم دراسة منهجية دقيقة، تكون أكثر عمقاً وأشمل إحاطة؛ إذ لا يمكن لبحث كهذا أن يتناول هذه الظاهرة من جميع

جوانبها، بل يكفي الباحث أنه دل عليها، وأسهم-بجهده المتواضع- في تحليل ما أمكنه من أبرز مواضعها الكثيرة .

هذا علاوة على ما يسهم به هذا البحث من إضافات الباحث وآرائه فيما يتعلق بجوانب التحليل الخاصة بصور الأداء الأسلوبي والدلالي لهذه الظاهرة ، والتي يحسب أنه لم يسبقه إليها ، أو ينازعه عليها أحد .

وعلى كلٍ فلست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلامٍ تنشئه تجد أنه قد سبقك إليه متكلم ، وكم من فهم تستظهره وقد سبقك إليه متفهم، وقديماً قيل:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ

فإن كنتُ قد أحسنت، فذلك نعمة من الله وفضل، وإن كان غير ذلك فحسبيَ الاجتهاد.

والله نسألُ أن نكون قد وُفِّقْنا في هذه الدراسة، وأن ينفع بهذا البحث كل من يبلغه.

كما نسأله - سبحانه – الإخلاص في القول والعمل. آمين.

الباحث

الباب الأول

الإطار النظري للبحث

الفصل الأول مصطلحات البحث

الفصل الثاني دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم، وفوائده

الفصل الأول

مصطلحات مصطلحات البحث

المبحث الأول: مفهوم التكرار لمعنوي

المبحث الثاني: مفهوم الأسلوب والأسلوبية

مفهوم الأسلوب

المبحث الثالث: مفهوم الدلالة والدلالية

المبحث الأول

مفهوم التكرار لمعنوي

المطلب الأول: مفهوم التكرار:

أورد أصحاب المعاجم اللغوية معاني متعددة لمادة "كَ رَ رَ" في اللغة والاصطلاح مستشهدين على ذلك من كلام العرب.

فالتَّكرار في الأصل مصدر للفعل الثلاثي "كرّ" للمبالغة، وهو يعني الرجوع والترداد، والإعادة مرتين، أو ذكر الشيء مرة بعد أخرى .. كما سنبين ..

قال "ابن منظور" : « الكرّ: مصدر كرَّ يكُرُّ كرّاً وكروراً. وتكراراً : عَطَف. وكرَّ عنه: رجع، وكرَّ على العدو يكرُّ، ورجل كرّار [صيغة مبالغة: كثير الكرّ] ومِكَرّ، وكذلك الفرس، وكرر الشيء وكركره : أعاده مرة بعد أخرى .. والكر الرجوع على الشيء ومنه التَّكرار (بالفتح) »[1]

وقال "الزمخشري" : « ك ر ر : انهزم عنه ثم كرّ عليه كُروراً، وكرّ عليه كروراً، وكر عليه رُمحهُ وفرسه كرّاً، وكرّ بعدما فرّ، وهو مِكَرٌّ مِفَرٌّ، وكرَّار فرَّار .. وناقة مِكَرَّة : تحلب في اليوم مرتين»[2] قال "امرؤ القيس" يصف فرسه:

مِكَرٌّ مِفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ معاً كجلمودِ صخرٍ حطّهُ السَّيْلُ من علِ[3]

وبإمعان النظر في المعاني اللغوية المذكورة، والمعاني الأخرى التي ذكرها أصحاب المعاجم لمادة "ك ر ر" ومشتقاتها، نجد أنها متقاربة الدلالة، بل يكاد بعضها يكون متفقاً ومتطابقاً مع بعض، في دلالتها على العودة والرجوع والإدارة والترديدد والإعادة مرة بعد أخرى..[4].

---

١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،دار صادر (بيروت – لبنان) الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م): "مادة: ك ر ر" (١٣٥/٥).

٢) أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ت:عبد الرحيم محمود، دار المعرفة (بيروت-لبنان) (د.ت): "مادة: ك ر ر" (٣٨٩).

٣) انظر: ديوان امرئ القيس: (حندج بن حجر)، ت: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ط(١) (١٩٨٣م)،: (١١٩).

٤) انظر هذه المعاني وأشباهها الواردة ضمن: **مادة "ك ر ر"** في كلٍّ من:

ولعل في إطلاقهم لفظ"الكركرة" على الضحك الشديد، وإدارة الرحى[1] –هو من باب دلالة الصوت على معنى " التَّكرار" الذي نحن بصدد بيانه.

يقول : "أمين فاخر": «والكاف والراء ثنائي يدل – كما في المقاييس- على جمع وترديد؛ من ذلك "كرَرتُ": وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، والكرّ: حبل سمي بذلك لتجمع قواه» [2].

وإذا ما انتقلنا إلى لفظ "التَّكرار" (بفتح التاء) الذي وقع عليه اختيار الباحث في عنوان هذه الأطروحة – فلا بد لنا من الوقوف عنده وقفات تحليلية موجزة.

الحقيقة أن لفظ "التَّكرار"(بالفتح) ليس الوحيد في الدلالة على معنى "الإعادة" الذي يرمي إليه الباحث، فهناك ألفاظ أخرى تدل على المعنى نفسه. غير أن ثمة فروقاً دلالية دقيقة بين معاني هذه الألفاظ؛ وأبرز هذه الألفاظ لفظان هما :"التِّكرار" (بكسر التاء) و"التّكرير".

ونلحظ وجه الشبه الدلالي بين معاني هذه الألفاظ من خلال ما نقله علماء المعاجم العربية في هذا الشأن.

فبالنسبة للفظي "التَّكرار" (بالفتح) و "التكرير" فدلالتهما تكاد تكون واحدة؛ ولذلك يقال «كررت الشيء تكريراً وتكراراً»[3]. وفي"القاموس":«وكرره تكريراً وتكراراً

- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: د/مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان) ط:١ (د.ت): (٢٧٧/٥)
- الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت: أحمد عبد الغفار عطا، دار العلم للملايين (بيروت – لبنان)، ط:٤ (١٩٨٧م)،: (٨٠٥/٢).
- مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد ابن فارس ، ت: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، ط:٣ (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)،: (١٢٧/٥) .
- تاج العروس ، محمد مرتضى الزَّبيدي ، ت : إبراهيم التّرزي ، ط: دار إحياء التراث العربي (بيروت) ١٩٧٤م : (٢٧/١٤) .
- لسان العرب : (١٣٥/٥) .
- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: دار الدعوة (استانبول – تركيا)، : (٧٨٢/٢).

١) انظر: لسان العرب: "مادة: ك ر ر" (١٣٧/٥،١٣٦).

٢) ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثية ، أمين فاخر ، مكتبة الكليات الأزهرية، ط:١ (١٩٧٨م)، : (٢٤٨).

٣) انظر: **"مادة: ك ر ر"** في:

وتكرّه، كتحلَّه .. »[1] ، وأوضح منه قولهم : «وكرّ عليه الحديث: أعاده، وكرَّر الشيء تكريراً وتكراراً: أعاده مرة بعد أخرى، وتكرر عليه كذا: أعيد عليه مرةً بعد أخرى»[2].

مما سبق يتضح أن لفظي"التَّكرار" (بالفتح)، و"التكرير" يشتركان في دلالة كلٍّ منهما على الإعادة مرة بعد أخرى. وكثيراً ما نجد ذلك في كتب المتقدمين؛ فتارة يقولون: «وتكرار كذا .. » ، وأخرى يقولون: «وتكرير كذا ..».

وأما لفظ "التِّكرار" (بكسر التاء) فهو اسمٌ يدل على الإعادة؛ قال "ابن منظور" : – نقلاً عن "الضرير" – : «قال أبو سعيد الضرير: قلت لأبي عمرو: ما بين"تِفعال"، و"تَفعال"؟ فقال: "تِفعال" (بالكسر): اسمٌ ، و"تَفعال" (بالفتح): مصدر»[3].

لذا فعند أخذنا بمبدأ التوسع لا غرو أن نطلق أياً من هذه الألفاظ الثلاثة الآنفة الذكر على تكرار المعنى، نظراً للتشابه الدلالي – الذي ذكرناه – بين معانيها. ولعل هذا التقارب الكبير في معاني هذه الألفاظ ناتجٌ عن اشتقاقها من أصل واحد؛ فـ "التَّكرار" (بفتح التاء): مصدر يفيد المبالغة كـ "التَّرداد" مصدر "ردَّ" عند سيبويه، أو مصدر مزيد أصله "التكرير" قلب الياء ألفاً عن الكوفيين، ويجوز كسر التاء "التِّكرار"؛ فإنه اسم من "التَّكرُّر".[4]

كان ذلك بياناً موجزاً لأوجه التشابه فيما تنصرف إليه معاني هذه الألفاظ الثلاثة: "التَّكرار" (بالفتح) و" التِّكرار" (بالكسر)، و"التكرير". غير أن هذا التشابه لا يعني – بحال – تطابق هذه الألفاظ واتحادها في دلالاتها المعنوية الخاصة .. فهناك فروق دلالية دقيقة في المعاني؛ ينصرف إليها كل لفظ منها على حدة. وبما أننا – في هذه الأطروحة – فضلنا

- الصحاح : (٨٠٥/٢) .
- تاج العروس: (٢٧/١٤) .
- لسان العرب: (١٣٥/٥) .

١) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، (بيروت) ، ط(٣) ، (١٩٩٣م) : "مادة: ك ر ر" (٦٠٣).

٢) المعجم الوسيط: "مادة: ك ر ر" (٧٠٢/٢).

٣) لسان العرب: "مادة: ك ر ر" (١٣٦/٥).

٤) الكليات ، أبو البقاء أيوب الكفَوي ، فهرسة، عدنان المصري، مؤسسة الرسالة، ط:١ (١٤١٢هـ/١٩٩٢م): (٢٩٧).

الأخذ بمبدأ الدقة في المصطلحات عن الأخذ بمبدأ التوسع -وجب علينا بيان هذه الفروق حسبما أوضحه مصنفو المعاجم العربية، وعلماء اللغة:

فبالعودة إلى ما نقله "ابن منظور" عن "الضرير" في أقرب نص نقل عن "اللسان"، ثم ما ذكره – بعد ذلك – "الكفوي" في "الكليات" – نجد بياناً واضحاً للفروق الدلالية بين لفظي "التَّكرار" (بفتح التاء)، و"التِّكرار" (بكسرها)؛ إذ يدل الأول على المصدرية، والثاني على الاسمية، وهذا في حد ذاته فرقٌ دلالي واضح؛ إذ يحمل المصدر في طياته دلالة التجدد والحركة، أما الاسم فيدل على الثبوت والسكون.

وبيان ذلك أن المصدر لو لم يكن فيه هذه الدلالة التجديدة (الديناميكية) – إن صح التعبير – لما ناب عن الفعل في العمل في نحو قول الله – تعالى – : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً ﴾ [1]، ونحو قولك: «ضرباً زيداً».

فـ "يتيماً" منصوب بالمصدر "إطعام"، و"زيداً" مفعول به منصوب بالمصدر"ضرباً"، لنيابة هذين المصدرين مناب فعليهما "أطعمْ، اضربْ". وهذا معلوم عند علماء النحو، وشواهده كثيرة[2].

أما بالنسبة للفظ "التِّكرار" (بكسر التاء) فهو – كما أسلفنا – اسم من "التكرُّر" يدل – كما هو معلوم – على الثبوت والدوام، فهو لا يعدو في دلالته سوى مسماه فقط، دونما دلالة على تكرار فعله، بخلاف اللفظ الثالث، وهو "التكرير" الذي يتشابه مع "اللفظ الأول" التَّكرار" في دلالتهما على المصدرية لا على مجرد الاسمية.

قال "الفيومي" موضحاً هذه الفروق الدلالية بالمثال : « "تكرير" الشيء: وهو إعادته مراراً، والاسم"التِّكرار"، وهو يشبه العموم من حيث التعدد، ويفارقه بأن العموم يتعدد فيه الحكم بتعدد أفراد الشرط لا غير، و"التّكرار" يتعدد فيه الحكم بتعدد الصفة المتعلقة بتلك الأفراد؛ مثاله "كل من دخل فله درهم" فذا عموم بالنسبة على الأفراد،

---

١) البلد: (١٤).

٢)انظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، بهاء الدين عبد الله ابن عقيل ، دار الفكر ، ط (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) : (٩٣/٣، ٩٤).

يستحق الداخل لدخوله مرة واحدة، ولا يتجدد بتجدده منه. "وكلما دخل أحد فله درهم" فهذا "تَكرار" يتعدد بتعدد دخول كل فرد. "والكرَّة": الرجعة وزناً ومعنى»[1].

فنقول : كرّر المعنى تكراراً (بفتح التاء) وتكريراً أي : "أعاده إعادة"، ولا نقول تِكراراً (بكسر التاء) ؛كون الأخير هو الاسم، والأوّلان مصدران منه .. وذلك في المعنى العام، ويبقى لكل لفظ دلالته الخاصة؛ ومن تلك الدلالات قولهم عن"التكرار"(بالفتح) «هو البدل والتوكيد. وهو في علم المعاني الإطناب، أي: زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة؛كالتوضيح، نحو: ﴿ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ(١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [2]؛ حيث ذكر "الأنعام والبنين" توضيحاً لما أبهم سابقاً "بما تعملون". أو التوكيد نحو: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [3]؛ حيث كرر ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ للتوكيد» [4].

والتوضيح دلالة مهمة بالنسبة لبحثنا هذا ،إذ نجد معنى مجملاً في موضع من المواضع، ثم يطالعنا المعنى نفسه مفصّلاً ومبيناً في موضع آخر.. وكذلك الحال بالنسبة للتوكيد الذي يأتي إما بلفظه ومعناه، أو بمعناه، فهو يسمى "تَكراراً". وهذا البحث يختص بنوع من أنواع التكرار المعنوي؛ وهو المعبَّر عنه بصيغٍ لفظيةٍ متشابهة، لا متماثلة.

وعندما يتكرر الحديث عن موضوع من الموضوعات التي تناولها المتحدث من قبل؛ لغرض من الأغراض، نلحظ -عند التحقيق- عدم انطباق ألفاظ الحديث اللاحق مع ألفاظ الحديث السابق، فهذا يسمى "تَكراراً". فما بالنا بموضوعات القرآن ومعانيه التي تذكر ، إجمالاً وتفصيلاً، إطلاقاً وتقييداً، فصلاً ووصلاً.. حسب مقتضيات الأحوال ومتطلبات السياقات في نظم دقيق بلغ درجة الإعجاز.

---

١) المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ط : المكتبة العلمية ، (بيروت ــ لبنان) ، (د.ت): "مادة: ك ر ر" (٥٣٠/٢).

٢) الشعراء: (١٣٢ - ١٣٤).

٣) التكاثر: (٣ ، ٤).

٤) المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ، د. محمد المتونجي ، و أ. راجي الأسمر ، دار الكتب العلمية (بيروت ــ لبنان) ، ط: ١ (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) : (١٩٩/١).

وعليه فإعادة المعنى بلفظه مطابقة يسمى "تَكراراً" – وهذا أقرب إلى التكرار اللفظي منه إلى المعنوي بحكم الظاهر . وتضمين المعنى نفسه بألفاظ وتراكيب مختلفة أو متشابهة يسمى "تكراراً" أيضاً- وهذا يدخل في التكرار المعنوي بمعناه الواسع -.. يقول "الكفوي" : « التكرار إنما يحصل بذكر الشيء مرتين مطابقة أو تضمناً ... وأما إذا ذكر تضمناً مرتين أو ذكر تضمناً بعد ذكره مطابقة فهو تكرار ولا فيه تردد»[1]. فهو هنا يشير إلى ما يحصل به التكرار وهو تكرار المطابقة " وهو ما نسميه "التكرار اللفظي" و" تَكرار التضمن"، وهو التكرار المعنوي بمعناه الواسع .

وهو أيضاً– ما ذكره "ابن القيم "بوضوح عندما عرّف التكرار" حيث قال:«فحقيقة التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده»[2]. فكما يطلق لفظ التّكرار" على إعادة اللفظ، يطلق كذلك – اللفظُ نفسه- على إعادة المعنى.

فإذا كان مجرد التعبير عن المعنى ضمنياً يسمى تكراراً ، فما بالنا بالتكرار المعنوي المقصود في هذا البحث ؛ إذ المراد هو تكرار المعنى الأصيل أو الرئيس بوضوح مع اختلاف معين في طرائق الأداء اللغوي المعبر عن هذا المعنى ، شريطة ألا يكون هذا الأداء خارجاً عن إطار التشابه.

وقد يكون هذا الاختلاف يسيراً، يتمثل في تقديم أو تأخير أو حذف كلمة أو إضافة أخرى وما إلى ذلك .. أو يكون كبيراً ؛ كبسط للحديث عن ذلك المعنى في موضع ، وإيجازه في آخر ، وما شابه ذلك..

وهذا المنهج الذي اتبعناه ليس بدعاً ، بل هو داخل ضمن التوجيهات السابقة لتكرار المعنى ، وعلى رأسها ما ذكره " ابن القيم" في النص السابق ؛ وهو أن من حقيقة التَّكرار أن يأتي المتكلم بمعنى ثم يعيده ، وهو المراد..

---

١) الكليات : (٢٩٧).

٢) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم ، دار مكتبة الهلال (بيروت – لبنان) ط (١٩٨٧م): (١٥٩).

وأما لفظ "التكرير" فصحيح أنه مصدر يدل على الإعادة مطلقاً في معناه اللغـــوي العام سواء أكانت هذه الإعادة لفظية أم معنوية، لكننا عندما ندقق في الدلالات الخاصـــة لهذا اللفظ سنجد أنه ينصرف إلى دلالات أخرى منها أنه يطلق أحياناً على ذكر الشـــيء مرتين وهذا ما أشار إليه "الكفوي" بقوله : «وفسر بعضهم "التكريـــر" بـــذكر الشـــيء مرتين»[1]. ونحن في هذا البحث لا نتقيد بذكر الشيء مرتين ، أو بعدد معين من مـــرات الإعادة.

كما أن لفظ التكرير" لا يطلق على إعادة اللفظ أو المعنى فحسب، وإنما هو عـــام يطلق – إضافة إلى ذلك – على كل ما فيه إعادة للشيء، فيقال: تكرير الحرف دلالةً على ارتجاف طرف اللسان عند النطق بالراء[2]، ويقال في عصرنا الراهن: تكرير النفط، وتكرير الغاز، والتكرير الصناعي، وما أشبه ذلك ..

وأما اللفظ الأخير – وهو "التِّكرار" (بكسر التاء) فيكفينا في معناه الخاص أنه اسم دال على مسماه فقط – عند التحقيق – في ثبات وسكون، كما هي عـــادة الأسمـــاء في الدلالة على الثبوت، دونما دلالة على تجدد؛ كحال في المعاني القرآنية المتكررة ،التي مـــن فوائدها أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، وكذا إبراز الكلام الواحـــد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ،فضلاً عن كون الموضوعات التي تناولها القرآن الكريم ما جيء بها – ابتداءً – إلا لغرض التزام تطبيقها عملياً في تواصل أدائي في واقع الحياة، يتناغم ويتجدد يتناغم الآيات وتجددها.

وما كُرّرت المعاني في القرآن، وطرقت مرات ومرات إلا قصداً إلى بيان أهميتـــه، و تأكيد الالتزام بها.. وسنرى كيف أن المعاني المتكررة في القرآن الكريم لم تـــأت لغـــرض التكرار نفسه، بل لضرورة سياقية، أو حالية، أو ما إلى ذلك مما تستدعيه مقامات الخطاب القرآني.

---

١) الكليات : (٢٩٧).

٢) انظر : لسان العرب : (١٣٦/٥) . والمعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ، "مادة: ك ر ر" (١٩٩/١).

وبالنظر إلى ما تقدم من الدلالات الخاصة بكل لفظ من هذه الألفاظ (المصطلحات) الثلاثة "التَّكرار" و "التكرير" و "التِّكرار" – اتضح لنا أن اللفظين الأولين متقاربان في دلالاتهما. فهما مصدران يدلان على الإعادة، وينصرفان كثيراً إلى الإعادة اللفظية، أو المعنوية، أو كليهما مطلقاً – بدون تحديد – وليس ذلك في المعنى اللغوي فحسب، بل حتى في المعنى الاصطلاحي؛ كما رأينا في النص السابق " لابن القيم ".

ومن ذلك – أيضاً- قولهم عن لفظ "التَّكرار" : « والتكرار إعادة الشيء فعلاً كان أو قولاً، وتفسيره بذكر الشيء مرة بعد أخرى اصطلاحاً»[1].

وقد مر بنا أن لفظي " التَّكرار"(بفتح التاء) و "التّكرير" مصدران متبادلان لفعل واحد فنقول : كرر الشيء تَكراراً وتكريراً. غير أن لفظ "التكرير" له دلالات أخرى تبتعد به – أحياناً- عن المراد في هذا البحث؛ ولذا أستبعدناه عنواناً لا متناً ، إذ المعول في المتن على السياق؛ ولذلك فلا إشكال .. بخلاف العنوان الذي هو محط الأنظار ومكمن الملاحظة الدقيقة.

وأما اللفظ الثالث " التِّكرار" (بكسر التاء) فلا يعدو مجرد كونه اسماً ثابتاً؛ فاستُبعد هو – أيضاً – من العنوان . وفي التعليلات السابقة ما يغني عن مزيد توضيح هنا؛ قصداً منا إلى الإيجاز وعدم الإطالة ..

وبناءً على كل ما سبق فلفظ "التَّكرار" (بفتح التاء) أدق دلالة على المراد في هذا البحث من أي لفظ أخر ، وهو من أكثر الألفاظ استخداماً في عناوين من تناول هذه الظاهرة . كـ "الزركشي" في البرهان، و" أبو البقاء في" الكليات"، و"الدكتور/فتحي عبد القادر" في "بلاغة القرآن في أدب الرافعي"، و"محمد قطب" في كتابه القيم "دراسات قرآنية"، والدكتور"عبد العظيم المطعني" في كتابه "خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية" وغيرهم ..

---

١) الكليات: (٢٦٨، ٢٦٩).

وعليه فمصطلح "التَّكرار" (بفتح التاء) هو أكثر المصطلحات انطباقاً على المـــراد في هذه الأطروحة، ولذا فقد تم ترجيحنا له في العنوان، واختياره دون غيره من الألفاظ الدالة على الإعادة؛ فهو أصح وأضبط في الدلالة سواء في معناه العام أم في معناه الاصطلاحي.

كانت تلك نظرةً لغوية واصطلاحية عامة لمادة "ك ر ر" ومشتقاتها المتصلة بموضوع هذه الرسالة، بالإضافة إلى تعليقات الباحث وتوجيهاته لمعاني ألفاظها ومصطلحاتها، ومـــا تنصرف إليه من دلالات..

المطلب الثاني: مفهوم المعنى:

لقد حظي المعنى باهتمام بالغ – قديما وحديثاً – من قبل كل المهتمين بفنون القول، فلم يحتفل النحويون بقواعدهم، من غير أن تكون مفيدة المعنى، وهم بذلك : يعنون المعنى القائم باللفظ المنطوق.

ولم يهتم أصحاب الدراسات اللغوية والقرآنية بفنون القول إلا لأنها تقتـــرب مـــن أساليب القرآن، فصاحة وبلاغة في دلالات ومعانٍ منسجمة مع الصور والقوالـــب الـــتي تكون عليها؛ ولذا تواصلوا مع غيرهم من أصحاب " فن القول العربي" في فهم الحـــديث عن المعنى وتوضحيه ودراسته في مصنفاتهم[1]. ولا يتأتى فهم هذا المعنى إلا بمعرفـــة تامـــة بمكونات تلك القوالب اللفظية المشكلة لهذا المعنى الذي يصاغ في تلك القوالب؛ ليصل في النهاية إلى إفادة المخاطب، وهو ما نسميه التركيب، أو معاني النحو.

وهي تلك المعاني التي رأينا "الشيخ/ عبد القاهر الجرجاني" يبني عليها نظرية النظم في كتابه "دلائل الإعجاز"، والتي استقر عليها علماء إعجاز القرآن إلى يوم الناس هذا.

وليس هذا شأن الدراسات اللغوية القديمة فحسب -كما قد يظن الـــبعض-، بـــل «إن الدراسات اللغوية الحديثة تعد النحو دراسة في خواص الجملة ، من كيفيـــة تـــأليف

---

١) انظر : مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغـــة ، د. محمـــد بركـــات حمـــدي أبـــو علـــي، دار النشـــر (عمـــان – الأردن) ط (١٤٠٨هـــ/١٩٨٨م) : (٩،١٥).

كلماتها ، وموقف كل كلمة فيها من الأخرى ، من حيث الموقع ، وعلاقة كل منها بالأخرى من حيث الوظيفة »[1].

فالمعنى هو ثمرة كل جهد لغوي، وقد كان وما يزال حقلاً من حقول الدراسة. «وما اختلفت المذاهب وتفرقت السبل بالناس إلا من جراء اختلافهم على المعنى ...ومن هنا تنبع خطورة المعنى، وأهميته، وأهمية كل ما له دور أو أثرٌ في عملية التفاهم بين الناس» [2].

ويعد المفسرون أكثر من اهتم بالمعنى؛ وذلك بغية فهم مراد الله – تعالى – من كلامه (القرآن الكريم) ، وتقريبة إلى الناس ، مستعينين في ذلك بكل فروع العربية لغة ونحواً وصرفاً ونقداً وبلاغة وتاريخاً ، معتبرين ذلك كلة من وسائل معرفة المعنى في القرآن الكريم. ويظهر لنا ذلك الاهتمام من خلال مقدماتهم وتطبيقاتهم في توجيه تلك المعاني، فيما وصل إلينا من مؤلفاتهم وآرائهم.

ونحن نعلم يقيناً أن كل كتاب أنزله ﷻ على نبي من أنبيائه قبل محمدٍ ﷺ – فإنما أنزله ببعض المعاني التي يحوي جميعَها كتابُه الذي أنزله على نبينا – محمد ﷺ- : كـ "التوراة" التي هي مواعظ وتفصيل، و"الزبور" الذي هو تحميد وتمجيد، و"الإنجيل" الذي هو مواعظ وتذكير، لا معجزةَ في واحدٍ منها تشهد لمن أنزله إليه بالتصديق.

والكتاب الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ يحوي معاني ذلك كله، ويزيد عليه كثيراً من المعاني التي سائر الكتب غيره منها خال[3]. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[4]. فقد جاء القرآن الكريم مهيمناً على الكتب السماوية السابقة حاوياً لمعانيها، بل لم يغفل شيئاً مما يحتاجه الخلق في أمر الدين والدنيا، مصداقاً لقوله ﷻ: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[5].

---

١) مباحث في مشكلات النحو العربي وسبل علاجها ، د ، محمد غالب عبد الرحمن وراق، (د.ت) : (٧٥).

٢) السياق وأثره في تحديد المعنى ، جعفر محمد يوسف (بحث ماجستير- جامعة أم درمان الإسلامية- السودان)، (د . ت) : (أ).

٣) السياق وأثره في تحديد المعنى: (١٥).

٤) المائدة : (٤٨).

٥) الأنعام: (٣٨).

فما دام المعنى على هذه الدرجة من الأهمية، وما دمنا في هذه الأطروحة نتناول بالدراسة تكرار المعاني في القرآن الكريم – فلا بد لنا هنا من تأصيل مفهوم المعنى.

فما هو المعنى يا ترى؟! وهل له دلالة واحدة، أم ينصرف إلى أكثر من دلالة؟ هذا ما سنبينه بإيجاز في هذا المطلب إن شاء الله.

« المعنى: هو إما "مَفْعَل" كما هو الظاهر من "عنى يعني" إذا قصد المقصد، وإما مخفف "معنَّى" بالتشديد اسم مفعول منه أي : المقصود. وأيّاً ما كان لا يطلق على الصور الذهنية من حيث هي، بل من حيث إنها تقصد من اللفظ»[1] .

وقال أهل اللغة: « لا يقال: عُنيتُ بحاجتك إلا على معنى قصدتها، من قولك: عَنَيْتُ الشيء أعنيه إذا كنت قاصداً له»[2] . « فالمعنى هو ما يقصد بشيء »[3]. «والمعاني المقصودة هي في الحقيقة طاقات تعبيرية جديدة تلحق المعاني الظاهرة، فتزيدها تدقيقاً وتأكيداً»[4].

فإذا قصد الإنسان باللفظ قصداً معيناً سُمي ذلك القصد معنى؛ ولذا عرّف بعضهم المعاني بقوله: «هي الصورة الذهنية من حيث إنه وُضع بإزائها الألفاظ، والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل من اللفظ في العقل سميت مفهوماً »[5]. فهذه الصورة الذهنية المقصودة باللفظ تتوقف على كمية اللفظ المعبِّر عنها إيجازاً وبسطاً من جهة، وتقانة استخدام اللفظ أسلوباً وصياغة من جهة أخرى.

ولا يطلق المعنى الذاتي إلا على ما كان مقصوداً لذاته، أما إذا كان المعنى مفهوماً فهماً عرَضياً من خلال قصد معنى آخر دونما قصد للمعنى العرضي، فلا يطلقون على

---

١) الكليات: (٨٤١).

٢) لسان العرب: "مادة: ع ن ي" (١٠٥/١٥).

٣) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ط (٣) (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م): (٢٢٠).

٤) خصائص الأسلوب في "الشوقيات" ، محمد الهادي الطرابلسي ، المجلس الأعلى للثقافة(مصر)، (١٩٩٦م) : (٢٨٦).

٥) خصائص الأسلوب في "الشوقيات": (٢٢٠).

الأخير معنى بالذات بل بالعرَض؛ وهناك من قال:« إن دلالة اللفظ على معناه غير ذاتيـــة. ودلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية والخلاف في هذا معلوم .. » [1]

فالمعنى – كما سبق -لا ينفصل عن اللفظ مطلقاً – وهو كذلك بالفعل - ؛ وعليه فدراسة المعنى هي دراسة للفظ المعبر عن هذا المعنى بدرجة أساس، ألا ترى أنك حينمـــا تعمد إلى التعبير عن معنى معين في موقف ما، تفكر ملياً في اختيار الألفاظ المعبرة عن هذا المعنى، مركزاً أثناء هذا الاختيار على شيئين اثنين، تجعلهما نصب عينيك يسيران في خطين متوازيين؛ هما: دقة تعبير هذه الألفاظ عن المعنى المراد، وأسلوب نظم تلك الألفاظ الدالـــة على المعنى بما يضمن قوة الدلالة، وبلاغة التأثير في المخاطبين، وهو ما يسمى مراعاة المقام دقة ووضوحاً، قوة وضعفاً، سلباً وإيجاباً، بسطاً وإيجازاً .. وهلم جرا..

وبالمقابل حينما يستدعي موقف آخر التعبير عن المعنى نفسه، مع اخـــتلاف مقـــام الخطاب في هذا الموقف عن الأول، مناسبة، وتوقيتا، ومخاطبين .. إلخ. ألا ترى أن ذلـــك يتطلب منك تغييراً في بعض الألفاظ، وتعديلاً في أساليب التعبير والنظم بما يناسب ذلـــك الموقف تماماً، ويلائم حال المخاطبين به، وهكذا ..

ويعد ذلك من محاسن خطابك، وجيد بلاغتك .. بل ويوصف تعبيرُك بأنه حَسَـــنُ السبك، فائقُ الفصاحة..على ما فيه من قصور بشري يمنعه مـــن الوصـــول إلى درجـــة الكمال.. فما بالك بكلام اللطيف الخبير ﷻالذي بلغ ذروة الفصاحة، ومنتهى البلاغـــة والإعجاز، بشهادة أرباب اللغة الذي تُحُدُّوا أن يأتوا بمثله، بل بسورة من مثله فعجزوا.

ولا يطلق المعنى على المقصود والمفهوم والمدلول فحسب، بل هناك أكثر من مرادف للمعنى؛ ومن ذلك قولهم: «المعنى والتفسير والتأويل واحد، وعنيت بالقول كـــذا: أردتُ. ومعنى كل كلام، ومعناته، ومعنيّته: مقصده.. يقال: عرفت ذلك في معنى كلامه، ومعناةِ كلامه، وفي معنيِّ كلامه»[2].

---

١) انظر: مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة: (٢١).

٢) لسان العرب: "مادة: ع ن ي" (١٥/ ١٠٦).

وإذا فهمتَ المقصود من ظاهر لفظه، واستطعت الوصول إلى هذا المقصود بغير واسطة سوى اللفظ – فهو المعنى؛ ولذا قيل: المعنى ما يفهم من اللفظ. غير أن هناك مصطلحاً يُظنُّ أنه مرادف للمعنى، هذا المصطلح هو"الفحوى"؛ فالفحوى ليست مقيدة باللفظ تماماً كالمعنى، وإنما هي مطلق المفهوم، وقيل: فحوى الكلام ما فُهم منه خارجاً عن أصل معناه[1]؛ فيمكن أن نقول: إن المعنى هو المقصود الظاهري المباشر للفظ، وأما الفحوى فهي المفهوم غير المباشر للفظ، أو بمعنى آخر: ما وراء المعنى.

مما سبق يتضح لنا أن المعنى لا ينفصل عن اللفظ بحال من الأحوال؛ إذ تعد الألفاظ دلائل المعاني، بل ويتوقف وجود المعنى على وجود اللفظ.

يقول "الجاحظ" : « المعاني القائمة في صدور العباد، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم مستورة خفية ... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره... وإنما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم، وتجليها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً...وهي "الألفاظ" التي تلخص الملتبس، وتحل المنعقد، وتجعل المهمل مقيداً، والمقيد مطلقاً، والمجهول معروفاً ... وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبْيَن وأنور، كان أنفع وأنجع. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو إليه، ويحث عليه. وبذلك نطق القرآن .. »[2]

من هنا نعلم أنه لا قيمة للمعنى المحجوب الكامن في النفس بدون لفظ منطوق يعبر عن هذا المعنى، ويخرجه لمن هو بحاجه إليه؛ ليستطيع تدبير أموره الدنيوية، هذا فيما يخص البشر بعضهم مع بعض؛ فكيف بالمعاني التي لا تصلح ولا تستقيم حياة الإنس والجن كلهم

---

١) انظر: الكليات : (٨٤٢).

٢) البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت : حسن السندوبي ، دار إحياء العلوم (بيروت – لبنان) ، ط (١) (١٤١٤هـ -١٩٩٣م) : (٨٣ ، ٨٤).

في الدنيا والآخرة إلا بها، وهي تلك المعاني التي بينها الله- سبحانه وتعالى- واضحة جلية في كتابه الكريم.

وهذا الارتباط الوثيق بين اللفظ والمعنى هو الذي حدا بدارسي المعنى إلى دراسة اللفظ أولاً، ومن ثم ربطه بمعناه ومدلولاته.

ويمكننا هنا أن نقول: إن هذه العلاقة الارتباطية بين اللفظ والمعنى هي التي تحكمت- إلى حد كبير – في أبواب النحو والبلاغة .. بل إنهم ربطوا المعنى بقضايا الصوت والصرف ، إضافة إلى البنى الكلامية[1]؛ حيث «يكاد يتفق اللغويون المعاصرون على أن المعنى هو المحصّلة النهائية لتحليل الحدث الكلامي، الذي يتكون من مستويات لغوية عديدة؛ أهمها: الأصوات، والصرف، والنحو، والدلالة »[2].

وأما قولهم: "**المعنوي**"، فنسبة إلى المعنى، وهي نسبة صحيحة تقابل "اللفظي".

المطلب الثالث: مفهوم التكرار موصوفاً بالمعنى:

قد عرفنا مفهوم التكرار في المطلب الأول، ثم مفهوم المعنى في المطلب الثاني، وبينا دلالات هذين المفهومين، وأشرنا إلى المراد من تلك الدلالات في هذا البحث، فيا ترى **ما المقصود بالتكرار موصوفاً بالمعنى؟!**

ولنا أن نتساءل في البداية عن المصطلحات التي يمكن أن نعبر بها عن ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم هل تنحصر في مصطلح "التكرار المعنوي" فقط أم أن هناك مصطلحات أخرى تعبر عن المدلول نفسه؟ فإن كان هناك مصطلحات أخرى فما هذه المصطلحات؟

فالتكرار غالباً ما يطلق على اللفظ؛ لسهولة ملاحظة انطباقه مادياً على الألفاظ، ولكنه عندما يتعلق بالمعنى فالأمر يختلف باختلاف توجيهات وتأويلات مقاصد الكلام،

---

١) انظر: مفهوم المعنى: (٢١).

٢) أبنية المشتقات الاسمية في المعلقات السبع(دراسة صرفية دلالية) ، عبد النور محمد الماحي، (رسالة دكتوراه- جامعة أم درمان الإسلامية- السودان)، (٢٠٠١م): (١٨٨).

بمعنى أوضح: إن تفسير دلالات المضمون (المعنى) وبيانها أوسع وأكثر من تفسير دلالات الشكل(اللفظ)؛ ولذا نجد تفاوتاً في الأسماء الدالة على تكرار المعنى، منها:

- "التكرار الموضوعي" أو "تكرار الموضوع".
- "التكرار المضموني" أو "تكرار المضمون".. وما شابه ذلك
- "إعادة المعنى" ، أو "إعادة المعاني".
- "تكرار المعنى" أو "تكرار المعاني".
- "التكرار المعنوي" المعتمد عنواناً لهذه الأطروحة.

إلا أن مصطلح "التكرار المعنوي" يعد من أبرز المصطلحات، وأوسعها انتشاراً ؛ إذ هو مقابل للّفظي. وهذه التسمية منصوص عليها عند العلماء، ولعلها من أشهر التسميات في هذا الباب، فيما أعلم[1].

والتكرار المعنوي أسلوب من أساليب التعبير اللغوي، يرتبط بالدراسات الأسلوبية اللغوية والمعجمية.

ولذا فإننا حينما نطلق لفظ "التكرار" موصوفاً بـ "المعنوي"، فإن الذهن ينصرف مباشرة إلى تكرار المعنى القائم باللفظ المنطوق، لا إلى أي دلالةٍ أخرى، إلا إن وجدت قرينة تدل على ذلك. وهذا أمر بدهي لا غبار عليه.

وبناء على ما تقدم فلا غرو أن نطلق لفظ "المعنوي" صفة لـ "التكرار" في عنوان هذا الأطروحة؛ كونه معلوماً ومعتمداً عند المختصين، ويتماشى مع ما نحن بصدد بحثه -كما بيّنا-..

---

١) انظر- على سبيل المثال- :

- معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د.محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان) ، ط(١)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) : (١٩٤).
- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): (١١٩).

المبحث الثاني

مفهوم الأسلوب مفهوم الأسلوب والأسلوبية

مادام هذا البحث يتخذ من الأسلوب والدلالة منهجاً لدراسة ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم وتحليل نصوصها -فلا بد لنا من الوقوف أمام مفاهيم ومصطلحات كل من: الأسلوب والأسلوبية ، والدلالة والدلالية، حتى تكون الرؤية أمامنا واضحة.

وسيكون هذا المبحث مختصاً بمفهوم الأسلوب والأسلوبية وما يتعلق بهما، أما المبحث الثاني فمعنيٌّ بمفهوم الدلالة والدلالية وما ينصرف إليه كل منهما.

يعرف الأسلوب بأنه: « الطريق »[١]، وقيل الأسلوب: « الفن »[٢]. وقال "ابن منظور": «الأسلوب: الطريق والوجه والمذهب. يقال: أنتم في أسلوب سوء. ويجمع: أساليب والأسلوب:الطريق تأخذ فيه، والأسلوب (بالضم): الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه»[٣] «وهو على أسلوب من أساليب القوم: على طريق من طرقهم»[٤].وفي المعجم الوسيط: «يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه وهو طريقة الكاتب في كتابه»[٥].

إذاً فالأسلوب في اللغة هو: الطريق والمذهب والفن ونستشف من هذا التعريف اللغوي أن الأسلوب لا يعني طريقاً بعينها أو مذهباً أو فناً بعينه، وإنما يكون كل أسلوبٍ تابعاً لصاحبه ومعنياً به. ومعنى ذلك أن الأسلوب يعني: «الخصائص الفردية حين نتحدث عن أسلوب كاتب معين»[٦].

---

١) القاموس المحيط: "مادة: س ل ب ".

٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب:محمود خاطر، ط: جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٥ه-١٩٩٥م): "مادة : سلب" (١/١٣٠).

٣) لسان العرب: "مادة: س ل ب" (١/٤٧٣) .

٤) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناري، ت: د. محمد رضوان الداية، ط:١، دار الفكر المعاصر (بيروت): (١/٤١١).

٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط:٣، (القاهرة) (د.ت): "مادة: س ل ب" (١/٤٥٧).

٦) مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، ط:١ ، دار العلم (الرياض) (١٩٨٢م): (١٤٢).

وهذه«التعريفات» اللغوية التي اتسمت بالعمومية وعدم التحديد لمفهوم الأسلوب، قد انسحبت على تحديد مفهوم الأسلوب في الاصطلاح، «وقد أدى هـذا إلى أن يقـوم كثيرٌ من الباحثين في مقدمة كتبهم لعلم الأسلوب بعرض مجموعة من التعريفات تصل في بعض الأحيان إلى نيف وثلاثين تعريفاً»[1]؛ ولهذا فإن تقديم تعريـف دقيـق وموحـد للأسلوب يكاد يكون مستحيلاً.

وسنستعرض في هذه العجالة مفهوم الأسلوب الاصطلاحي، بحسب ما توافر لدينا من تعريفات، وبقدر ما يمكن به تأدية الغرض المراد..

فيعرف " بيرجيرو" الأسلوب بأنه: «استخدام الفرد لأدوات تعبيرية من أجل غايات تأثيرية، فالتعبير عن الفكرة لا يتم إلا بواسطة اللغة »[2]. فهذا التعريف يركز علـى مـا تحدثه اللغة بعناصرها المختلفة من تأثير في المخاطب وما في معناه، فالأسـلوب في هـذا التعريف وأمثاله يعتمد على انطباع القارئ أو المتلقي. وواضح ما في هذا التعريف من تأثر بآراء "بالي" مؤسس علم الأسلوب، الذي يرى أن الأسلوب يتمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً على المستمع أو القارئ[3].

وهناك تعريفات أخرى كثيرة تعتمد على وجهة نظر الكاتب.

فينقل "الدكتور/ رجاء عيد" تعريف " جوته" للأسلوب على أنه ضرب من الإنشاء من الدرجة العالية، يقوم فيه الأسلوب بالدور الأساسي. ومن خلاله يتمكن الكاتب من أن يتغلغل ويكشف عن هوية موضوعه وباطنه [4].

فهذا التعريف مبني على وجهة نظر الكاتب نفسه. وواضح ما في هذا التعريف من بيان لاستقلالية الأسلوب وخصوصيته، ووقوفه في ناحية مضادة لمجرد التقليـد السـلبي للطبيعة ،أو النقل الآلي لموضوع ما. ويوضح هذا الأمر "موريه" في تعريفه للأسـلوب : فيقول: «الأسلوب بالنسبة لنا هو موقف من الوجود، وشكل من أشكال الكينونة، وليس

---

١) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، د. صلاح فضل، ط: ١، دار الشروق (القاهرة) (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م): (٩٥).

٢) الأسلوب والأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة: منذر العياشي، ط: (٥) ، مركز الإنماء القومي (بيروت) (د.ت): (٦).

٣) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته): (٩٧).

٤) البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث) د. رجاء عيد، منشأة المعارف (الإسكندرية) (١٩٩٣م) :(١٣).

في الحقيقة شيئاً نلبسه ونخلعه كالرداء، ولكنه الفكر الخالص نفسه، والتحويل المعجز لشيء روحي إلى الشكل الوحيد الذي يمكننا به تلقيه وامتصاصه»[1].

ويتكئ "مولينية" على القاعدة الآنفة الذكر؛ فيعرف الأسلوب بأنه: «الطريقة الفردية في إدارة مجموعة من التحديدات اللغوية في النص»[2].

وعلى غرار ذلك يقول "الكونت بوفون" إن الأسلوب هو «الإنسان نفسه؛ فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير »[3]. وقد تردد ذكر هذا التعريف مئات المرات بأشكال مختلفة.

ويبدو أن هذه التعريفات قد تأثرت بتعريف "ريشله" للأسلوب الذي يثني عليه"مولينيه" واصفاً إياه بأنه من أكثر التعريفات كمالاً، وأشدها حثاً على التفكير؛ حيث يقول: "ريشله" :« تقال هذه الكلمة- أسلوب- عند التكلم عن الخطاب. فالأسلوب هو الطريقة التي يتكلم بها كل شخص؛ لذلك هناك من الأساليب بقدر ما هنالك من أشخاص يكتبون»[4].

وبطبيعة الأمر فإن تحليل الأسلوب الفردي والخواص الأسلوبية المتعَيَّنة لمؤلف محدد – أمر منطقي ومشروع؛ إلا أن إقامة العلاقة المتبادلة بين الأسلوب ووقائع حياة المؤلف، أو ملامحه الفردية المادية أو النفسية –قد عاق خلال فترة طويلة إقامة تصور أسلوبي يعتمِد على مقولات علم اللغة من ناحية، ويتمتع بتقدير باحثي الأدب من ناحية أخرى.

وثمة تعريفات أخرى تهتم بخواص النص ذاته، بالتركيز على تحليل الأسلوب في إطار البحث الموضوعي عن خواصها وملامحها المحددة.

وقد يتألف التعريف الواحد من أكثر من عنصر؛ فقد يجمع بين وجهة نظر الكاتب، وخواص النص، وانطباع المتلقي، أو يجمع بين اثنين منها. ولا يتسع المقام لبسط القول في ذلك.

---

١) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته):(٩٧).

٢) الأسلوبية، جورج مولينية، ترجمة: بسام بركة، ط:١، المؤسسة الجامعية للنشر (بيروت) (١٩٩٩م) : (٤٩).

٣) المرجع السابق : (٥٢).

٤) المرجع السابق : (٤٨).

وإذا ما انتقلنا من تعريفات العلماء الغربيين للأسلوب إلى تعريفات العلماء العرب فسنجدها تقرب من تعريفات سابقيهم. يقول "سعد مصلوح":«الأسلوب اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين» [١].

ويؤكّد "الدكتور/أحمد الشايب" على أنَّ الأسلوب هو "طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه".. مبيناً أن هذا هو التعريف الأدبي للأسلوب، أما التعريف العام له فيرى أنه:" طريقة التعبير "؛ ليصل في النهاية إلى القول بأن الأسلوب هو: طريقة التفكير والتصوير والتعبير [٢].

وهذا التعريف الأخير يتناول -كما نرى- أغلب عناصر الأسلوب -إن لم يكن كلها-، ويقوم عل أساس الصلة بينها، وإن كان العنصر اللفظي هو مظهر الفكر والصورة؛ لأنه الجانب الحسي لهما، علاوة على ما يتوافر له من جمال خاص.

ويذكر "الدكتور/ صلاح فضل" ما يصفه بأنه أشهر تعريف للأسلوب متداول بين الباحثين الآن. هذا التعريف ينص على أن الأسلوب: «محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل»[٣].

فالأسلوب يظهر -طبقاً لهذا التعريف- نتيجة لانتقاء المؤلف من بين إمكانيات اللغة الاختيارية التي تقوم بينها علاقة التبادل؛ مما يجعل من الميسور ملاحظة الفوارق الأسلوبية في نصوص تنتمي للّغة نفسها، عندما تؤدي جميعُها المحتوى المعنويَّ ذاتَه بأشكال مختلفة. ويمكن -تأسيساً على ذلك- أن تدخل نظرية التوصيل في هذا التصور الأسلوبي.

ويستعرض "الدكتور/ رجاء عيد" ستة تعريفات للأسلوب[٤]، ويورد "الدكتور/ عدنان النحوي" أكثر من عشرين تعريفاً للأسلوب[٥]، يلخصها في النهاية بقوله:

---

١) الأسلوبية (دراسة لغوية إحصائية) سعد مصلوح، ط:٣، عالم الكتب (القاهرة) (١٩٩٢م): (٢٤).

٢) انظر: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ، أحمد الشايب، ط (٤)، مكتبة النهضة المصرية(القاهرة)(١٩٩٥م) : (٤٤- ٤٦).

٣) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاتة): (١١٦).

٤) انظر: البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث) : (١٤).

٥) انظر: الأسلوب والأسلوبية (بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام) د.عدنان علي رضا النحوي ، ط:(١) ، دار النحوي للنشر والتوزيع (الرياض) (١٤١٩هـ- ١٩٩٩م): (١٥٤- ١٥٦).

«فالأسلوب -كما رأينا من التعريفات السابقة- هو: نظام، خطاب، الرجُل، الشكل، الأداة، الأثر، اللغة، تعبير عن شخصية صاحبه، ليس تعبيراً عن شخصية صاحبه، طريقة، موقف، جزء من القراءة، ليس جزءاً من القراءة بل من الكتابة، فرادة النص، اختيار، حدث لُغوي، حدث فكري.. ومن كل تعريف تتولد اتجاهات! »[1].

ولعل السبب الرئيس في الاختلاف والتباين الحاصل في الدراسات الأسلوبية ، يرجع إلى عدم تحديد مصطلح "الأسلوب" تحديداً دقيقاً؛ ولذلك« تنوعت الدراسات الأسلوبية وتفرّعت، وأصبح من المتعذر أن ترصد دراسة واحدة الفروع المتشعبة لهذا العلم»[2].

وهذا الاختلاف في مفهوم الأسلوب هو السبب في عدم وجود نظرية واحدة يُجمِع عليها الدارسون في تناول عناصر الأسلوب وتحليل خصائصه، فهو يخضع لرؤية الكاتب وترجيحاته؛ بناء على المجال الذي يقوم بدراسته.

ومهما يكن من اختلاف في تعريف الأسلوب باختلاف المدارس والمذاهب النقدية، إلا أن إجماعاً كاد ينعقد بين عدد من النقاد والكتاب في تعريفهم للأسلوب بأنه: «طريقة الكاتب في التعبير عن مواقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة؛ باختيار ألفاظه وصياغة جملة وعباراته، والتأليف بينها؛ للتعبير عن معان القصد منها الإيضاح والتأثير»[3].

فهذا التعريف كما ترى قد جمع بين العناصر الثلاثة المشار إليها سابقاً؛ ففيه قدر كبير من الشمول والإقناع.

وبناءً على ما سبق فقد وجدت أن منهج التحليل الأسلوبي هو الأنسب لدراسة ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم؛ حيث يوفر هذا المنهج القدرة على كشف الأبعاد الجمالية في نصوصها، وفي النص القرآني بصفة عامة، وذلك عن طريق النفاذ إلى مضمونه، وتجزئة عناصره.. [4]. مع الأخذ في الاعتبار لخصوصية القرآن التي تدفع بالبحث الأسلوبي

---

١) انظر: الأسلوب والأسلوبية (بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام): (١٥٧).

٢) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، د.أحمد درويش، مكتبة الزهراء ، (د . ت) : (١٦٧).

٣) ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن (دراسة وتحليل)، ط: ١، مركز عبادي للدراسات والنشر، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م): (١٥).

٤) انظر: المداخل الإقناعية في القرآن الكريم(دراسة تطبيقية على المثل في القرآن الكريم)، حسناء سعد عبد السميع (رسالة ماجستير- جامعة المنيا- مصر)، (٢٠٠٠م) : (١٦١).

والدلالي فيه إلى الاهتمام بخواص النص وتأثيراته على المعنى والمتلقي أكثر من أي شـــيء آخر..

وما دمنا في هذا البحث نتناول ظاهرة التكرار المعنوي في القـــرآن الكـــريم فإننـــا محكومون بضوابط كثيرة أهمها الخصوصية والقداسة التي يتمتع بها أسلوب القرآن المعجـــز في تناول المعنى الواحد بصيغٍ تعبيرية متعددة تتشابه أحياناً وتختلف أخرى.

والمتأمل في نظم القرآن يجده عجيب النظم، بديع التأليف، لايتفاوت، ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها ونجد الكلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور [1].

ودراسة أسلوب القرآن على ما فيه من هذا الإحكام -تحتاج إلى تمكن عالٍ في أساليب اللغة ووجوهها، ويظل الإنسان قاصراً بطبيعة الحال..

وإذا كان من اليسير -إلى حد ما- تحديد الفروق اللغوية الأســـلوبية في تعـــبيرات القرآن المتعددة عن المعنى الواحد، فمن العسير جداً تحديد هذه الفـــروق في الصـــياغات التعبيرية المتشابهة والمشكلة لأداءات التعبير عن هذا المعنى. فضلاً عن تحليـــل خصـــائص الأسلوب والدلالة فيها.

يقول"محمد الطرابلسي":«إن دراسة التعابير في الكلام تشكل صعوبة خاصة، ذلـــك أن التعابير ليست بالأشكال المحسوسة كلياً أو المجردة كلياً؛ فيسهل إخضاعا لمجاهر البحث العلمي بصفةٍ محكمة الضبط . فلعل التعابير أكثر مظاهر الكلام استعصاءً علـــى وســـائل البحث التي تمدنا بها اللسانيات في وضعها الراهن »[2].

ومادمنا قد نصبنا أنفسنا لما نصبناها له من التعرض بالدراسة والتحليل لخصـــائص الأسلوب القرآني المعبر عن المعنى الواحد بصياغات متشابهة؛ فلا بد لنا من استفراغ الجهد في الاستقراء، والدراسة، والتحليل، والموازنة، والترجيح، وغيرها من الوسائل المعنيـــة في تحليل خصائص الأسلوب والدلالة للوصول بهذا البحث إلى غايته المرجوة.. راجيين منه -سبحانه- أن يغفر لنا أي خطأ أو تقصير.

---

١) مناهج في تحليل النظم القرآني، منير سلطان، منشأة المعارف(الإسكندرية): (٧٧).

٢) خصائص الأسلوب في "الشوقيات": (٣١٨).

وبالعودة إلى ما نحن بصدد الحديث عنه فيما يختص بالأسلوب... فقد بينا مفهوم الأسلوب وبقى لنا بعض الأمور التي يتعلق بها الأسلوب وأهمها العلم الذي ينتمي إليه، والمسمى بـ«علم الأسلوب».

فيا ترى **ما هو علم الأسلوب؟!**

تعرف المدرسة اللغوية الفرنسية علم الأسلوب بأنه«دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة»[1]. وهو تعريف مبسط مقبول في جملته، لكنه يثير عديداً من المشاكل، من أهمها مفهوم كل من "الفكر" و"اللغة" الذي يوشك أن يتسع تدريجياً حتى يشمل كل وجوه النشاط الإنساني، إلا أن المشكلة المحددة هنا تتصل بكلمتي: "طريقة" و"تعبير" فهما يتسمان باللبس والتعقيد، ويتعين لتوضيحهما تحليل مراتب التعبير وكيفيات توظيفه.. وهذا يحتاج إلى وقفات طويلة استغنينا بالإشارة إليها عن بسط القول فيها.

ويمكننا أن نقول إن علم الأسلوب هو العلم الذي يقدم لنا رؤية واضحة عن تفضيلٍ أو اختيارٍ ما من ضمن مجموعة من البدائل المتاحة في مجال معين – ونعني به هنا المجال اللغوي – ويبين لنا دلالات وسمات هذا التفضيل وهذا والاختيار.

وقد استعرض "الدكتور/ صلاح فضل" آراء "شارل بالي" في علم الأسلوب، واستخلص منها أن مهمة علم الأسلوب عنده هي : البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة، والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة. [2]

وهدف علم الأسلوب الحقيقي -كما يقول "صلاح فضل" -: هو البحث عن العلاقات المتبادلة بين الدوال والمدلولات عبر التحليل الدقيق للصلة بين جميع العناصر الدالة وجميع العناصر المدلولة؛ بحثاً يتوخى تكاملها النهائي، ويقتصر عند الممارسة العملية على أهمها وأخطرها[3].

---

١) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته): (١١٦).

٢) علم الأسلوب (مبادئ وإجراءاته): (٩٧).

٣) المرجع السابق: (١٤١).

ومن هنا كان تركيز الباحث في دراسته على إيراد أبرز النماذج التي تمثل ظـــاهرة التكرار المعنوي في القران الكريم في أوضح صورها ومن ثم تحليلها أسلوبياً ودلالياً حتى يتم التعميم على الظاهرة بشكل عملي صحيح ودقيق، منطلقين من الجزئيات إلى الكليـــات ومن الخاص إلى العام.

وإذا كنا قد بينا مفهوم الأسلوب، ثم علم الأسلوب، **فما هي الأسلوبية إذن؟**

"الأسلوبية" هي لفظة مؤلفة من جزأين : كلمة "أسلوب" وتتبعها لاحقة من يـــاء النسب، وهذه اللاحقة تعني الانتساب إلى مجال العلم والاتصاف بخصائصه.

وعليه فالأسلوبية هي الانتساب إلى علم الأسلوب. والأسلوبية مصـــطلح حـــديث يدرس الأسلوب في اللغة حيث يمارسها الإنسان كلاماً ينطق به أو يكتبه. وتمتد الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب.. وحيثما وجد الأسلوب (style)، وجـــدت معـــه الأســـلوبية (stylistic)، وحيثما تعدد مفهوم الأسلوب تعدد معه مفهوم الأسلوبية.[1]

وقبل أن ندلف إلى بيان التعريفات الخاصة بمفهوم الأسلوبية لا بد لنا من الإشارة إلى أن الأسلوبية هي أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة في العصر الحديث.وهـــذا المجـــال – بصورته الحالية– ما يزال في بداياته المبكرة في نطاق الدراسات العربية.

أما فيما يخص مفهوم الأسلوبية وما يتعلق به، فهناك تعريفـــات متعـــددة لهـــذا المفهوم؛ نأخذ منها ما يأتي:

يعرف **"مولينيه"** الأسلوبية بأنها:«تحليل لخطاب من نوع خـــاص»[2]، فهـــي وإن كانت تعتمد على قاعدة نظرية (لسانية، أو سيميائية، أو برغماتية)، فإنهـــا أولاً وأخـــيراً تطبيق يمارَس على مادة هي الخطاب . الذي يقصد به في المفهوم اللساني: كل نص يـــأتي نتيجة لعمل إرسال لساني يقوم به مرسل ما، ويكون موجهاً بطريقة حتمية إلى قـــارئ أو سامع "فعلي أو متخيل" يقوم بعمل التلقي والتفسير... ولا بد لهذا الخطاب –في المنظور

١) الأسلوب والأسلوبية (بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام): (١٤٥).

٢) الأسلوبية، مولينيه: (٦٤).

الأسلوبي- أن يكون محدداً بدقة وبصورة دائمة[1]؛ لأنه المادة التي يقوم عليها التحليل الأسلوبي.

ويعرف"الهادي الجطلاوي" الأسلوبية بأنها: «تحليل لغوي موضوعه الأسلوب، وشرطه الموضوعية، وركيزته الألسنية» [2].

وتحدد الأسلوبية عند "عبد السلام المسدي" بدراسة الخصائص اللغوية التي يتحول الخطاب بموجبها عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية[3].

ويعرض لنا "الدكتور/ عدنان النحوي" تعريفات متعددة للأسلوبية[4]؛ منها أن الأسلوبية هي: دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير. وهي أحد مجالات نقد الأدب اعتماداً على بنيته اللغوية دون ما عداها من مؤثرات اجتماعية أو سياسية أو فكرية وغير ذلك.

وتعريف آخر مفاده أن الأسلوبية: تعني بدراسة النصوص سواءً أكانت أدبية أم غير أدبية، وذلك عن طريق تحليلها لغوياً؛ بهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية، والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصه.

وتعريف ثالث يقول: الأسلوبية علم يدرس تناسق العناصر المؤلفة للكلام وتداخلها.

ورابع يقول: الأسلوبية علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية..

وهناك تعريفات أخرى لا يمكنا استقصاؤها في مبحث كهذا؛ فتراجع في المصدر المشار إليه سلفاً .

ومن خلال التعريفات السابقة تبين لنا مدى الخلاف بين المذاهب المتعددة للأسلوبية، على غرار ما رأينا من تعريفات الأسلوب.

---

١) انظر: المرجع السابق :(٦٤).

٢) مدخل إلى الأسلوبية، الهادي الجطلاوي ، ط:١، مكتبة عيون (الدار البيضاء) (١٩٩٢م):(٣٧).

٣) الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي ، ط:٣ ، الدار العربية للكتاب.(ليبيا)، (١٩٨٢م): (٣٦)

٤) انظر تلك التعريفات جميعاً في: الأسلوب والأسلوبية (بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام): (١٥٨ ،١٥٩).

والذي يبدو لي أن الأسلوبية علم يهتم بدراسة نتاج الفرد وإبداعه، وصولاً إلى معرفة شخصيته، وطريقة تفكيره..إلخ.

ونحن نجد أن بعضهم يرى أن الأسلوبية علم، وبعضهم يرون أنها نقد، وبعض يرى أنها فلسفة، وآخرون يرون أنها نهج.

ومهما يكن من أمر الاختلاف في تحديد مفهوم الأسلوبية، فيمكن أن نقول: إن الأسلوبية -بناءً على ذلك كله – هي ممارسة -قبل أن تكون علماً أو منهجاً- أساسها البحث في طرافة الإبداع وتميز النصوص. هي قراءةٌ للنص، وقراءة النص لا تتوقف عند مستوى الحروف والكلمات والتراكيب، بل تتجاوز ذلك إلى الأحاسيس والمشاعر وأجراس الكلمات وإيقاعاتها[1].

وإذا ما أردنا الجمع بين هذه المفاهيم والمصطلحات يمكننا القول: إن الأسلوب هو طريقة التعبير عن المعاني الظاهرية أو مكنونات النفس ودواخلها.

وعلم الأسلوب هو وصف هذه الطريقة، وبيان سماتها وخصائصها المميزة عن غيرها من الطرق.

وهذا الوصف يتم من خلال تحليل مكونات هذه الطريقة، وصولاً إلى معرفة هذه السمات والخصائص، هذا التحليل هو الأسلوبية. فالأسلوبية- هي أداة علم الأسلوب في وصف الأسلوب.

ومما سبق يتضح لنا أن التحليل الأسلوبي يختلف باختلاف ثقافة الدارسين والممارسين، ثم باختلاف الظواهر المدروسة وزوايا النظر التي ينظرون منها إلى النص؛ فمنهم من يمثل تحليله نقطة التقاء اللسانيات وعلم البلاغة، أو اللسانيات وعلم النقد الأدبي، أو التقاء مبادئ نظرية الإخبار في تحديد الجهاز الأدنى في التخاطب، ومبادئ اللسانيات العامة، ومقاييس النقد الأدبي.

ومن المعلوم أن الدرس اللساني في -حد ذاته- ماتزال تشوبه بعض الضبابية فيما يتعلق بالمجالات اللغوية التي يقوم بدراستها، والعمل في إطارها -ناهيك عن الغموض الذي

---

١) انظر : تحاليل أسلوبية ، محمد الهادي الطرابلسي، ط:٢، دار الجنبو للنشر(تونس)، (١٩٨٩)م: (١٠١).

يكتنف تحديد الأهداف الدقيقة التي يسعى اللساني إلى تحقيقها، شأنها في ذلك شأن كثير من الوافدة في العصر الحديث؛ حيث«تعاني اللسانيات مبدئيا ما تعانيه العلوم المقترضة من مشكلات متعددة، كوضع ثمرات العلوم في متناول الباحثين، من حيث اللغة والأسلوب والأدوات العلمية الخاصة ، ومتابعة التطور السريع الذي يرهق في عصرنا المتتابع بله المتباطئ »[1].

ولذلك يختلف التحليل الأسلوبي اللساني باختلاف الهدف المراد من هذا التحليل؛ كتحديد مقومات الكلام العادي عن مقومات الخطاب الأدبي والعكس، أو تحديد ردود فعل المتلقي إزاء الرسالة اللغوية المجسمة في النص المدروس. ويختلف التحليل الأسلوبي كذلك باختلاف مداخل التحليل؛ بنيوياً كان، أم دلاليا، أم بلاغياً.

ويمكن لدارس اللغة أن يسلك أياً من مناهج البحث في اللغة: الوصفي، والمقارن، والتاريخي، والمعياري،في دراسة أي ظاهرة لغوية أو أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي[2].

وبناء عليه فلا توجد وصفة جاهزة تعتمد في التحليل، يمكن أن تطبق تطبيقاً آلياً على النصوص، ولكنها اختيارات واجتهادات ومهارات، تعتمد -بدرجة أساس- على الباحث القائم بعملية التحليل..

ومهما يكن من أمر التحليل الأسلوبي، إلا أنه يجب أن نعرف أن الدارس الأسلوبي ليس ملزماً بطريقة واحدة في التحليل، أو محصوراً في أنموذج بعينه.

غير أن هناك أسساً ومرتكزات لا ينبغي إغفالها في عملية التحليل الأسلوبي. هذه المرتكزات هي [3]:

الأول: اقتناع الباحث الأسلوبي -قبل القيام بعملية التحليل- أن النص جدير بالتحليل.

---

١) اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د. أحمد محمد قدور، ط(١)، دار الفكر (بيروت – دمشق)، (١٤٢هـ): (١٣).

٢) المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمَد، ط(١)، دار عمار (عمان) (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م): (٢٤).

٣) انظر: الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، سليمان فتح الله، ط(١)، الدار الفنية للنشر (القاهرة) (١٩٩٠م): (٥٣).

ثانياً: ملاحظة التجاوزات النصية وتسجيلها أثناء التحليل؛ بهدف الوقوف على شيوع الظاهرة أو ندرتها؛ وذلك بتجزيء النص، ومن ثم تحليله لغوياً.

ثالثاً: الوصول عقب التحليل إلى تحديد السمات والخصائص الأسلوبية الخاصة بالنص. ويتم ذلك بطريقتين:

١- حصر السمات الجزئية الناتجة عن التحليل واستخلاص النتائج العامة منها للوصول إلى الكليات انطلاقاً من الجزئيات.

٢- تحليل البنية اللغوية للنص، دونما إغراق في وضعية اللغة؛ لأن ذلك ربما يفضي إلى الوقوع في الصنعة. فما أمكن إخضاعه لوسائل التحليل الأسلوبي وعناصره -يتم تحليله، وما لم يمكنه ذلك فليس ثمة داع لتحليله؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى تكلف خصائصَ وسماتٍ لا تمت إلى النص أو اللفظ (موضع التحليل) بصلة.

المبحث الثالث

مفهوم الدلالة والدلالية

"الدلالة" في اللغة مصدر الفعل "دلّ" وهي مأخوذة من الدليل، وهو ما يستدل به[١]. وقد دله على الطريق يدله دَلالة(بالفتح) ودِلالة(بالكسر) والفتح أعلى[٢]. «والدلالة في مفهومها العام من المباحث المنطقية فقد اكتسبت من علم المنطق المعنى الاصطلاحي الخاص بها» [٣].

قال "الشريف الجرجاني"-معرفاً الدلالة في الاصطلاح-: «الدلالة : هي كون الشيء حالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»[٤] والمطلوب بالشيئين هو اللفظ وغيره.

ومن خلال التعريفات السابقة ندرك أن "الدلالة" هي العلاقة القائمة بين الدال والمدلول.

ولما كانت اللغة «أصواتٌ يعبر كلُ قومٍ عن أغراضهم» [٥]-كما حدها "ابن جني"- كان الصوت والمعنى، أو الرمز والصورة الذهنية والعلاقة بينهما (الدلالة)، هي الأسس التي تقوم الدراسات اللغوية عليها، أو –بالأصحّ- على بحثها ودراستها.

وتعد قضية الدال والمدلول والعلاقة بينهما من القضايا التي شغلت حيزاً كبيراً من جهود علماء الإسلام والعربية منذ وقت مبكر. ويظهر ذلك جلياً في مقدمات الأصوليين.

---

١) انظر : مختار الصحاح: "مادة: د ل ل" (٨٨/١).

٢) انظر : لسان العرب : "مادة: د ل ل" (٢٤٩/١١).

٣) الدلالة والحركة (دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في طار المناهج الحديثة) ، د/ محمد محمد داود ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة(٢٠٠٢م): (٤١).

٤) كتاب التعريفات: (١٣٩).

٥) الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، ت : محمد علي النجار ، ط:٢،دار الهدى (بيروت) (د.ت): (٣٣)

وقد ذكر "الشريف الجرجاني" تعريف الأصوليين للدلالة فقال: «وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص... فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغةً لا اجتهاداً» [1].

فقوله: "لغة" أي : يعْرِفه كلُ من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل.

وقد عرفَتْ أممُ الشرق القديم – ومن ضمنها العرب – الدراساتِ اللغويةَ قبل أن يعرفَها الغربيون.

وما يعنينا هنا هو الدراسة الدلالية، التي كانت من أول فروع علم اللغة التي عرفها العرب عندما جاءهم القرآن يتحداهم في بيانه وإعجازه.. فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز تبحث في دلالات ألفاظه منذ القرن الثاني الهجري؛ فتنوعت وتعددت..

ثم توالت الأبحاث والدراسات وبخاصة الدلالية منها في جانبيها التطبيقي (المعاجم) والنظري؛ «فنجدهم يدرسون ويبحثون جميع القضايا الدلالية؛ من اشتراك، وأضداد، وترادف،واشتقاق، وحقيقة، ومجاز، وعموم، وخصوص، وما يتصل بالمعرب، والدخيل. ويظهر ذلك واضحاً في كتب مثل: "الخصائص لابن جني، وفقه اللغة للثعالبي، والصاحبي لابن فارس، والمعرب للجواليقي، وشفاء العليل للخفاجي، والمزهر للسيوطي"، وغيرها من الأبحاث التي كانت الدراسة الدلالية مركزية في أبحاثهم» [2].

هذا فضلا عما ورد في مقدمات الأصوليين وبخاصة، ما كتبوه بشكل عام – وقد أشرنا إلى ذلك قبل قليل – .

وقد تقدمت الدراسات اللغوية بعامة، والدلالية بخاصة في القرن الرابع الهجري على يد"ابن جني" (ت:٣٩٢هـ)، الذي تحدث عن الصوت اللغوي ودلالته.

---

١) التعريفات: (١٣٩).

٢) علم الدلالة (بين النظر والتطبيق)، الدكتور/ أحمد نعيم الكراعين ط(١) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت – لبنان) (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م): (٨٥)

ولا ننسى في هذا المقام فضل علماء التجويد السباق فيما يتعلق بالصوت اللغـــوي، «والحق أن كل الإضافات التي أضيفت إلى أعمال الأولين من علماء الأصوات – كالخليل وسيبويه، وابن جني من بعدهما – وكل التفصيلات التي ظهرت فيما بعد، وكل التطبيقات العملية لآثار هؤلاء العلماء وأمثالهم – هذه الإضافات والتفصيلات والتطبيقات كلـــها أو جلها يرجع الفضل فيها إلى رجال "التجويد" أو علماء "الأداء القرآني" كمـــا يســـمَّون أحياناً، وهم وحدهم-فيما نظن –الذين حملوا عبء هذه الدراسات وتولوا رعايتها فيما بعد، وتابعوا البحث فيها وإن كان ذلك بطريقة خاصة ومنهج معين »[1].

كانت تلك إطلالةً سريعة على جهود العلماء العـــرب في البحـــث الـــدلالي، رأى الباحث أن من الضروري هنا -بين يدي الحديث عن مفهوم الدلالة عند الغـــربيين- أن يلفت النظر إلى هذه الجهود السبّاقة إلى غالبية الأنواع والنظريات الدلالية الـــتي ظهـــرت وكأنها جديدةٌ في أبحاث ونظريات علماء اللغة الغربيين. وإن كنا لا ننكر جهـــودهم في التطوير والإثراء.

وقد عرّف "هياكاوا" الدلالة بقوله : "إنها في الأصل تعني الدراسة التاريخية لتغيرات معاني الكلمات"... ثم توسع استعمال هـــذا المصـــطلح فاســـتخدمه علمـــاء الـــنفس والأنثروبولوجيا والفلسفة الاجتماع والبلاغة؛ لأن هذه العلوم تقوم ببيان العلاقات بـــين الأسماء ومسمياتها، أو بين الدال والمدلول» [2].

وظل تحديد مصدر العلاقة بين الدال والمدلول من مسائل الخلاف بـــين الفئـــات الدينية والفكرية؛ فمن معتقد بأن مصدر اللغة والعلاقة بين ألفاظها ومعانيها همـــا أمـــران نابجان عن الوحي الإلهي، أو العطاء الأسطوري غير الطبيعي، ومن قائل أن الألفاظ تـــدل على المعاني بذواتها، وآخر يقول :بل بوضع الناس لها، ورابـــع يجمـــع بـــين التوقيـــف والاصطلاح.. وبعد قرون طويلة صاغ اللساني الشهير "فريديناد دي سوسير" نظريتة حول

---

١)علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر (القاهرة)، (٢٠٠٥م): (٥٧٩).

٢) علم الدلالة (بين النظر والتطبيق): (٨٩ ،٩٠).

هذه العلاقة، ورأى أن ما يربط الدال بالمدلول ليس سوى اصطلاح غير معلل، أي اعتباطي[1].

وإذا كنا قد عرَفنا مفهوم الدلالة، **فما الذي نعنيه بـ "علم الدلالة" ؟!**

والجواب عن هذا السؤال سهل يسير. فعلم الدلالة: هو العلم الذي يتخذ من الدلالة موضوعاً له، ويسمى علم دراسة المعنى. وهو فرع من فروع علم اللغة،«وهو غاية الدراسات الصوتية والفُنُولُوجية، والنحوية، والقاموسية؛ إنه قمة هذه الدراسات» [2].

كما أن علم الدلالة (Semantics) يعد قطاعاً من قطاعات الدرس اللساني الحديث شأنه في ذلك شأن الأصوات والتراكيب. «ومجال هذا العلم دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات وما يتعلق بها من وسائل» [3].

فعلم الدلالة-إذن- يهتم بالرموز اللغوية، ويحاول توضيح الصلة القائمة بين الرمز ومدلوله.

والرمز اللغوي يتميز بأنه قابل للتحليل من النواحي اللغوية المختلفة؛ الصوتية والصرفية، والنحوية، والسياقية، والدلالية.

وعطفاً على ما سبق.. أجد من نافلة القول أن أُذكّر بأن اللسانيين المحدثين يُلحون على جعل علم الدلالة خاصاً بدراسة معنى الكلمات، أو بالمعنى اللغوي عامة دون التطرق لمسائل منطقية أو نفسية، أو مسائل أخرى تتعلق بعلم الأجناس، أو السيمياء، أو غير ذلك من العلوم التي تتناول أجزاء من دراسة المعنى[4].

ومعنى هذا أن الباحث الدلالي معنيٌّ ببيان المعنى ودراسته، وبالتالي فلا يعاب عليه إيراد معاني بعض المفردات أو النصوص الغامضة، أو تلك التي يرى أن في إيرادها خدمة لبحثه.

---

١) انظر ذلك في: مبادئ اللسانيات ، أحمد محمد قدور ، ط:١، دار الفكر (دمشق) (١٤١٦هـ-١٩٩٦م): (٢٨٥،٢٨٦).

٢) علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، دار النهضة العربية (بيروت) (د.ت): (٢٦١).

٣) مبادئ اللسانيات: (٢٧٩).

٤) انظر: مبادئ اللسانيات: (٢٨١).

ومن الكتب التي أثارت الاهتمام بالبحث الدلالي كتاب (معنى المعنى) (The Meaning of Meaning) للغويَّيْنِ "أوجدن وريتشارز" الذَيْنِ عرضا فيه مشكلة المعنى من جوانبها المختلفة [1]. ثم ما كتبه العالم "مالينوفسكي" في الكتاب نفسه من تعليقات على مباحث دلالية ذات أهمية بالغة في علم الدلالة. ومن العادة أن يذكر الكتاب الآنف الذكر في سياق كهذا؛ نظراً لأهميته.

على أن هناك جهوداً كثيرة بُذلت في سبيل تطوير الدرس الدلالي واستقلاله، لا يتسع المقام لذكرها[2].

«والحق أن نمو علم الدلالة الحديث، وتشعب مقارناته المنهجية –كما يقول "عبدالسلام المسدي"–جعله قطب الدوران في كل بحث لغوي مما لا ينفصل عن نظرية الإدراك وفلسفة المعنى» [3]؛ لذلك بات علم الدلالة أوسع مجالاً وأرحب ميداناً من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح.

ونظراً لشمول البحث الدلالي وتشعباته التي أشرنا إليها « فلا بد للباحث في علم الدلالة بغية الإفادة منه في العربية، أن يعاني صعوبة البحث، إذا ما أراد أن يخلص للمنهج السليم، ولاسيما في عصوره الحديثة »[4].

إذا كانت تلك هي الدلالة، وهذا علم الدلالة؛ فيا تُرى–ما المقصود بـ **"الدلالية"؟! وما الأنواع والمستويات اللغوية التي تقوم عليها الدراسات الدلالية ؟**

إنّ ما قلناه عن مصطلح الأسلوبية، نقوله أيضا عن مصطلح الدلالية؛ من كون هذه الأخيرة عبارة عن لفظة مؤتلفة من جزأين : كلمة "دلالة" محذوفة التاء للإدماج مع ياء النسب، وتتبعها لاحقة من ياء النسب، وتعني: الانتساب إلى مجال العلم والاتصاف به.

ومعنى ذلك أن "الدلالية" في اللغة هي : الانتساب إلى علم الدلالة.

---

١) انظر: علم الدلالة (بين النظر والتطبيق): (٩٠).

٢) من أراد الوقوف على ذلك بتوسع فيمكنه الرجوع إلى:(علم الدلالة (بين النظر والتطبيق): (٨٩-١٠٥)، وكتاب مبادئ اللسانيات: (٢٧٩ومابعدها).

٣) مبادئ اللسانيات: (٢٧٩).

٤) في شرف العربية، د.إبراهيم السامرائي، ط: (١)، سلسلة فصلية تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (قطر) (١٤١٥هـ): (١٠٥).

ويقوم منهج الدراسة الدلالية على عدد من الأنواع والمستويات اللغوية هي - بإيجاز-: [1]

١- الدلالة الصوتية(Phonetical semantic feature):

سواء أكانت طبيعية أم تحليلية؛ والطبيعية هي ما تختص بالمناسبات الطبيعية الكائنة بين اللفظ ومعناه.

أما التحليلية فترتبط بتغير الوحدات الصوتية (Phonemes) في اللفظ فيتغير المعنى تبعاً لتغيرها، بالإضافة إلى النبر(Stress) والتنغيم (Intonation).

٢- الدلالة الصرفية(Morphological semantic feature):

وهي ما يتعلق ببنية الكلمات؛ حيث تبحث في أثر الصيغة على الدلالة.

٣- الدلالة النحوية أو دلالة التركيب(Grammatical semantic feature):

وتختص بالنسب أو العلاقات القائمة بين مواقع الكلمات في الجملة.

٤- الدلالة الاجتماعية أو السياقية(Contextual semantic feature) :

وهي تلك الدلالة التي يقصدها المتكلم، ويفهما السامع من خلال الحدث الكلامي تبعاً للظروف المحيطة، ويمكن تقسيم السياقات إلى أربعة أنواع هي: (اللغوي، والعاطفي، والموقف، والثقافي).

٥- الدلالة المعجمية(Lexical semantic feature):

ويُقصد بها المعاني الدلالية المتعددة التي يوردها المعجم للألفاظ المفردة.

وبناءً على كل ما تقدم.. فقد رأي الباحث أن أنسب منهج يستطيع من خلاله دراسة ظاهرة التكرار المعنوي في القران الكريم هو منهج يجمع بين التحليل الأسلوبي من جهة والدلالي من جهة أخرى؛ وذلك نظراً للخصوصية التي تتمتع بها النصوص القرآنية، ثم لما يتيحه هذا المنهج من حرية للباحث في الحركة والتجديد في طرائق التناول المشَكّلة لمنهج البحث، بما يتناسب مع طبيعة الظاهرة المدروسة.

---

١) انظر : علم الدلالة (بين النظر والتطبيق): (٩٦-١٠٥).

الفصل الثاني

دراسات التكرار المعنوي

في القرآن الكريم، وفوائده

المبحث الأول: دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند القدماء

المبحث الثاني: دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند المحدثين

المبحث الثالث: فوائد التكرار المعنوي في القرآن الكريم

تمهيد

لقد بذل علماء الإسلام جهوداً عظيمة في خدمة كتاب الله الكريم، تمثلت في خوض غمار علوم القرآن المختلفة ، فأنتجوا لنا مكتبة قرآنية متكاملة، تضم كمّاً هائلاً من المصنَّفات في مختلف الدراسات والعلوم القرآنية ، فمصنفات في علم التفسير بمختلف أنواعه ، ومصنفات في معرفة أسباب نزول آيات القرآن الكريم ، وأخرى في ناسخه ومنسوخه، وكذلك في قراءاته ، وفي غريبه ، وفي مكيِّه ومدنيَّه، وجمعهِ وترتيبه ، ومحكمه ومتشابهه ، وإعجازه ، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم .

وهناك من جمع هذه المباحث وتلك الأنواع والعلوم القرآنية كلها أو جلها في مؤلف واحد، وهي ما تسمى كتب علوم القرآن[1]، ويشبهها -إلى حدٍ مّا- كتب الإعجاز القرآني [2]. وقد أشرنا إلى أهم مراجعنا منها في المقدمة.

وقد تناولت هذه الكتب جملةً من وجوه الإعجاز القرآني أشهرها : إخبار القرآن عن الغيوب ، وإخباره عن قصص الأولين ، وكذا الإعجاز اللغوي الواقع في النظم والتأليف والرصف لكلمات القرآن وجمله وأساليبه وفواصله وسوره ؛ ومن أهم ما تعرضوا له في هذا الجانب -الأساليب اللغوية التي استخدمها القرآن الكريم، والتي كانت موضع التحدي لأرباب العربية أن يأتوا بمثلها أو بشيء منها فعجزوا..، على الرغم من كونها أساليب مستخدمة في كلامهم، وجاءت على مذاهبهم الخطابية .

ومن هذه الأساليب التي اهتم العلماء بدراستها وبحثها لمعرفة وجوه الإعجاز فيها- أسلوب التكرار في القرآن الكريم ؛ فقد أفردوا لذلك عدداً من المصنفات، فضلاً عن

---

١) يضاف إلى ذلك كتبٌ أخرى كثيرة أُلفت في علوم القرآن، ومن أشهرها على سبيل الإجمال:

(أ) البرهان في علوم القرآن لمؤلفه: علي بن إبراهيم بن سعيد الشهير بالحوفي (ت: ٣٣٠هـ)، ويقع في ثلاثين مجلداً كلها مخطوطة .

(ب) فنون الأفنان في علوم القرآن لأبي الفرج بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

(ج) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان- وقد أشرنا إليه- وآخر لصبحي الصالح ، وغيرها كثير.. ولكن لا يتسع المقام لذكرها)، وبالإمكان العودة إلى كتب علوم القرآن ومراجعها لمعرفة المزيد.

٢) ومن هذا النوع من الكتب - أيضاً على سبيل المثال لا الحصر - :

(أ) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، لكمال الدين عبد الواحد الزملكاني (ت:٦٥١هـ).

(ب) معجزة القرآن الجديدة (بنية الآيات والسور) لعمر النجدي ـــ وهو كتاب قيم اطلع عليه الباحث ـــ تحدث فيه عن الآيات المتشابهات ، والتكرار ، والإعجاز العددي ، وبعض الأسرار والقوانين التي أودعها الله ﷻ في القرآن الكريم).

التعرض له في طيّات كتب الإعجاز القرآني وعلوم القرآن؛ لما لهذا الأسلوب من أهمية بالغة في إعجاز القرآن الكريم، وإن كان الجانب البلاغي هو المهيمن على هذه الدراسات، فلا يكاد يغادره مصنف بلاغي واحد. يقول "فتحي فريد": «وما من مؤلف في البلاغة إلا قد تناول شرح بلاغة التكرار وسر روعته في القرآن الكريم»[1].

غير أن اللافت للنظر أن هؤلاء جميعاً-قدماء ومحدثين- قد تناولوا ظاهرة التَّكرار في القرآن الكريم بصفة عامة؛ سواءً أكان تكراراً لفظياً أم معنوياً [2]؛ والظاهر أن ذلك ناشئ عن عدم اكتراثهم بتحديد المصطلحات الدقيقة في هذا الأمر ما دام يجمعها اسم التكرار، كما أن عدم التوسع في الدراسات المتعلقة بهذا الشأن كان له دور في هذه العمومية.

وقد سميت هذه الدراسات في علوم القرآن بـ"علم الآيات المشتبهات"، «والمراد بها تلك الأساليب المتشابهة في الكتاب العزيز والتي تتمثل فروقها في ذكر فاء مكان واو، أو لفظها هنا وحذفها هناك ، أو في تقديم هنا وتأخير هناك ،والقصص والحوادث التي تتكرر معها عناصر كثيرة في الأسلوب بينها فروق ، ترتبط بالسياق إرتباطا بالغ الدقة والرهافة ، والكشف عنه يحتاج إلى مهارة ووعي ، وإحاطة شاملة ، وليس هناك أدخل في باب البلاغة العالية من مثل هذه البحوث »[3]. وهي غير المتشابه ، الذي يذكر في مقابل المحكم .

وعلى كل فلا بد من الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم ، فلهم-قدماء ومحدثين- شرفُ السبق إلى الحديث عن هذه الظاهرة الأسلوبية المهمة في القرآن، أو الإشارة إليها ، أو بيان مواضعها.. بالطريقة والمنهج الذي رأوه مناسباً لتخصصاتهم ورؤاهم..

---

١) بلاغة القرآن في أدب الرافعي، فتحي عبد القادر فريد ، ط: دار المنار (القاهرة) (د.ت): (١١١).

٢) إلا ما ندر من بعض الأبحاث الحديثة، التي اختصت بالتكرار اللفظي، وسنشير إليها في المبحث الثاني من هذا الفصل، والخاص بدراسات التكرار المعنوي عند المحدثين . (انظر:(٦٢- ٧١) من البحث) .

٣)دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ، د. محمد محمد أبو موسى ، ط(٢)، مكتبة وهبة (القاهرة)، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م): (٣٤٧ ، ٣٤٨).

المبحث الأول

دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند القدماء

لم يحظ التكرار المعنوي منفرداً بالدراسة والتحليل من قبل القدماء، بل كان مشتركاً مع التكرار اللفظي، فيما عُرف بـــ"علم المتشابه اللفظي" .

ولقد بدأ التأليف في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم منذ عهد مبكر ؛نظراً لكـــون مقاصد التصنيف فيه عظيمة وجليلة ؛ ولذلك نجد أن أقدم من أَفـــرد المتشـــابه اللفظـــي بالتصنيف هم أئمة القراءات، الذين غلب عليهم تخصصهم، فلم يحاولوا إماطة اللثام عـــن أسرار المتشابه، ومنهم :

"الإمام حمزة بن حبيب الزيات" (ت: ١٥٨هـــ) ، و "الإمام نافع بن عبد الرحمن" (ت:١٧٠هـــ) و"الإمام علي بن حمزة الكسائي"[١] (ت: ١٨٩هـــ) ، وهم من القـــراء السبعة، ومن القراء العشرة "الإمام خلف بن هشام البزار" (ت : ٢٢٩هـــ)[٢].

وهناك من اهتم بمعاني القرآن؛ فبحث في وجوه من القراءات، مبيناً بعض ما أشكل من وجوه الإعراب والمعاني . ومن أشـــهر هـــذه الكتـــب كتـــاب "معـــاني القـــرآن" لـــ"الفراء"(ت: ٢٠٧هـــ)؛ وهو كتاب يقع في ثلاثة مجلدات، يتناول فيه "الفـــراء" مـــا أشكل من معاني القرآن وإعرابه، ويخرّج فيه بعض وجوه القراءات.. وهو كتاب قـــيم في بابه ، وقد وقف الباحث عليه، وجعله من مراجعه؛ لما وجد فيه من نفائس عظيمة، وفوائد جليلة.

كما لفتت ظاهرة التكرار أنظار النقاد العرب منذ زمن بعيد؛ ففي القرن الهجـــري الثالث عرض "الجاحظ" (ت: ٢٥٥هـــ) للإطناب – والتكرار فرع منه – في خطاب بني إسرائيل مبالغة في إفهامهم، إذ كانوا قوماً لا سليقة لهم على عكس العرب.

---

١) اسم مصنفه " ما تشابه من ألفاظ القرآن وتناظر من كلمات الفرقان " .

٢) انظر: البرهان في متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، مراجعة : أحمد عز الدين خلف الله، ط:١ ، دار الوفاء (المنصـــورة-مصر) (١٤١١هـــ-١٩٩١م): (٦٣) (مقدمة المحقق).

كما أن "ابن قتيبة" (ت: ٢٧٦هـ) في كتابه "تأويل مشكل القرآن" قد تعرض لهذه الظاهرة، و لم يقتصر في بحث التكرار على اللفظ وحده، أو العبارة، بل يعمم فينظر إلى التَّكرار في القرآن بوصفه ظاهرة عامة، فيتحدث عن التكرار في القصص، وفي بعض المعاني القرآنية، والصور الأخرى في القرآن كله .

وفي القرن الرابع الهجري يَرُدّ "أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي" (ت: ٣٨٨هـ)، في رسالته "بيان إعجاز القرآن" على ما عيب من التكرار، ويبين أن التكرار الوارد في القرآن هو مما يُحتاج إليه، ويحسُن استعماله؛ لأنه يختص بالأمور المهمة التي تعظُم العناية بها ؛ فتركه في الموضع الذي يتطلبه المقام إخلال بمقاييس البلاغة ..وليس في القرآن شيءٌ من هذا الإخلال على الإطلاق .

وفي القرن الرابع نفسه نجد "ابن فارس" – أيضاً – (ت:٣٩٥هـ) في "الصاحبي" يهتم بموضوع التكرار ويستند في ذلك إلى كلام العرب وسننهم.

وفي القرن الخامس الهجري يقرر "الشريف الرضي" (ت:٤٠٦هـ) أن تكرار القرآن من مقتضيات المقام ومستلزمات الحال في كتابه "حقائق التأويل في متشابه التنزيل".

ويعرض له "الشريف المرتضي" (ت: ٤٤٦هـ)، في "أماليه" فيتحدث عن بلاغة التكرار في السور التي يظهر فيها ظهوراً بيّناً.

ونجد "ابن رشيق" (ت: ٤٥٦هـ)، في "العمدة" يعقد له باباً خاصاً سماه "باب التكرار" [١].

أما في القرن السادس فيأتي "الزمخشري" (ت: ٥٣٨هـ) الذي نهج في "الكشاف" نهجاً موضوعياً تطبيقياً في شرح الأسرار البلاغية للتكرير في سور القرآن الكريم، وهو منهج يقوم على التحليل النفسي، والتعمق في كشف الأسرار البلاغية التي وُجِد هذا

١) انظر في ذلك: الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، ط(٢)، المكتب الإسلامي ودار اعمار (بيروت)،(١٩٨٦م): (٢٦٠-٢٦٢).

التكرار بسببها في كلام الله – عز وجل – إذ يرى أن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور..[1]

وقد كان "الزمخشري" يقظاً في إدراك الفروق بين صور الأداء التعبيري التي اختلفت أغراضها، واتحد فيه المعنى واللفظ؛ فلم يعدّ هذه الصور من التكرار [2].

كما عقد "أبو الفرج ابن الجوزي"(ت : ٥٩٧هـ)للمتشابه في القرآن الكريم عدداً من الأبواب ، سلكها جميعاً في نسق واحد ضمن كتاب "فنون الأفنان" فقال في عنوان يشملها جميعاً : « أبواب المتشابه » . وقد شغلت حيزاً كبيراً من كتابه ...[3] .

وفي القرون المتأخرة يزداد احتفال النقاد ورجال البلاغة بالتكرار فيفرد له "ضياء الدين بن الأثير" (ت: ٦٣٧هـ) نوعاً مستقلاً في كتاب "المثل السائر" هو النوع السابع عشر، ويفصل القول في هذا الأسلوب أيما تفصيل، مبيناً أنواعه وفوائده .. إلخ [4]. ويعقد له "ابن أبي الأصبع" (ت: ٦٥٤هـ) باباً خاصاً في كتابه "بديع القرآن" [5].

وعرض له كذلك "السكاكي"(ت: ٦٢٦هـ) في "المفتاح"، جاعلاً من التكرار المعنوي بأساليب نظمية مختلفة هو موضوع "علم البيان" برمته؛ الذي حدّه بقوله :«هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »[6].

---

١)انظر: الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث (بيروت) (د.ت): (٣٣٩/٣).

٢) انظر:البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد حسنين أبو موسى ، دار الفكر العربي(القاهرة)، (د.ت) : (٦٠٣).

٣) انظر : فنون الأفنان في علوم القرآن ، أبو الفرج ابن الجوزي ، ت: د. حسني ضياء الدين عمر ،ط(١)، دار البشائر الإسلامية (١٩٨٧م) : (٩٤ــ ٩٦) (مقدمة المحقق) ، (ولمعرفة طريقة التناول.. انظر أمثلة من الكتاب نفسه : (٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٤١٠ ، ٤١١).

٤) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، ط:المكتبة العصرية (صيدا ، بيروت) (١٩٩٠م) : (١٤٦/٢-١٧١).

٥) انظر: الفاصلة في القرآن : (٢٦٢).

٦) مفتاح العلوم، الإمام/ يوسف بن أبي بكر السكّاكي ، ضبط وشرح: أ. نعيم زرزور ، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) : (١٦٢) .

وعرض له كذلك "يحي بن حمزة العلوي"في "الطراز"؛ الذي تصدى فيه للمشككين في بلاغة التكرار ، مبيناً بعض فوائده وأغراضه..[1]

وقد توسع الأئمة والعلماء المتقدمون في بحث الآيات المتشابهات في القرآن الكريم؛ إما إجمالاً في كتب علوم القرآن، وإما تفصيلاً في كتبٍ أفردت هذا العلم بالتصنيف ، حتى إن بعض كتب علوم القرآن العامة فصلت القول في الآيات المتشابهات؛ لأهمية ذلك ، ومن هؤلاء الذين توسعوا في هذا البحث "ابن قيم الجوزية" (ت: ٧٥١هـ) الذي خصص للتكرار قسماً من كتاب "الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن" هو القسم الحادي عشر وذكر له أكثر من فائدة ..[2]، و" الزركشي" (ت: ٧٩٤هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" فقد تحدث عنه كثيراً، مفرداً له خمسة عشر فصلاً تندرج تحت النوع الخامس من الأنواع التي يحويها كتاب "البرهان"، وسماه « علم المتشابه »، وعدَّد له سبع فوائد عظيمة[3]..

وأفرد " السيوطي" (ت: ٩١١هـ) في كتابه "الإتقان" النوع الثالث والستين لـ«الآيات المتشابهات »، وخصّص في كتابه "معترك الأقران" الوجه السادس من وجوه الإعجاز في « مشتبهات آياته ». وبيّن أنه أجمع من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة وذكر له فوائد جليلة [4].

ويرى الباحث أن هذه النظرات إلى ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، والمبثوثة هنا وهناك –تعد أساساً مهماً للمختصين في دراسات الأسلوب البياني للقرآن ، والمعنيين بمظاهر الإعجاز القرآني وظواهره .

---

١)انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، دار الكتب العلمية (بيروت)(د.ت) (١٧٦/٢).

٢) انظر: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن : (١٥٩ – ١٦٧).

٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ،ت: مصطفى عبدالقادر عطا، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (١٩٨٨م) : (١٤٥/١ – ٢٠١).

٤) انظر: أ- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي ، ت: محمد شريف سكر و مصطفى قصَّاص، ط(٢)، دار إحياء العلوم (بيروت) (١٩٩٢م) : (٢/ ١٨٣- ١٩٠).

ب- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي ، ت:علي محمد البجاوي، ط: دار الفكر العربي، (د.ت) : (٣٣٩/١-٣٥٠).

وكثيرة هي الكتب التي تحدثت عن التكرار والتشابه في القرآن الكريم ، وعقد أصحابها أبواباً وفصولاً في هذا الأمر، سواء أكانت كتب علوم القرآن، أم تلك المختصة بالإعجاز .

ولو أردنا استقصاء ما ضُمّن -في تلك الكتب وغيرها- من حديث عن هذه الظاهرة، لما وسعتنا هذه الصفحات.. ونكتفي بالأمثلة السابقة، من باب دلالة الجزء على الكل.. راجين أن يكفي، وآملين أن يقنع..

أما الكتب التي أفردت ظاهرة التكرار والتشابه في القرآن بالتصنيف على اختلاف في منهج التناول فنذكر منها :

(أ) كتب الوجوه والأشباه والنظائر، ومنها على سبيل الإجمال لا التفصيل :

١- "الأشباه والنظائر في القرآن الكريم" "لمقاتل بن سليمان البلخي" (ت: ١٥٠).

٢- "قاموس القرآن" المسمى "إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم" "للفقيه الدامغاني" (ت : ٤٨٠هـ).

٣- "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" "لجمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي" (ت : ٥٩٧هـ).

٤- "الأشباه والنظائر للإمام جلال الدين السيوطي" (ت: ٩١١هـ) .

وقد اتفقت كتب الوجوه والأشباه والنظائر في منهج تناولها للظاهرة إلى حد كبير..

(ب) أما الكتب التي أُلّفت في المتشابه اللفظي فنذكر منها :

١- "درّة التأويل في متشابه التنزيل"، لمؤلفه"أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل- الشهير بالراغب الأصفهاني" (ت: ٥٠٢هـ) .

٢- "هداية المرتاب" ، وهي منظومة في المتشابه، "لأبي الحسن السخاوي" (ت:٦٤٣هـ) .

٣- "ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من آي التنزيل"، لمؤلفه : "أبي جعفر بن الزبير الغرناطي" (ت: ٧٠٨هـ) ، وهو من الكتب المبسوطة في المتشابه ويقع في مجلدين .

٤- "كشف المعاني عن المتشابه من المثاني"، "لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة" (ت: ٧٣٣هـ) .

وبهذا نصل إلى أهم مؤلفين وقف عليهما الباحث يختصان بدراسة مواضع التكرار والتشابه اللفظي في القرآن الكريم -ويدخل في ذلك التكرار المعنوي بألفاظ متشابهة- ، وهذان الكتابان هما :

١- **"درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز"** لـ"أبي عبدالله محمد بن عبدالله الرازي" المعروف بـ"الخطيب الإسكافي" ، (ت: ٤٢٠هـ)؛ ويعد هذا الكتاب من أهم مراجعنا في هذه الدراسة . وسنتناوله هنا بشيء من التفصيل لأهميته :

يُعَدُّ كتاب "الإسكافي" أقدم مصنَّف وصل إلينا في المتشابه اللفظي بمعناه العلمي ، ويقول "الإسكافي" في خطبة كتابه ما يفهم منه أنه لم يعثر على مؤلف أفرد هذا النوع من المتشابه بالتأليف ـــ مبيناً أيضاً منهجه في التناول حيث يقول: «تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروّية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة ، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة ؛ تطلباً لعلامات ترفع لبس إشكالها ، وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها، فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين ، وفتشت على أسرار معاني المتأولين المحققين المتبحرين ، فما وجدت أحداً من أهلها بلغ غاية كنهها ، كيف و لم يقرع بابها ، و لم يفتر لها عن نابها ، و لم يسفر عن وجهها ، ففتقت من أكمام المعاني ما أوقع فرقاناً ، وصار المبهم المتشابه وتكرار المتكرر تبياناً ، ولطعن الجاحدين رداً، ولمسلك الملحدين سداً »[1].

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، أبو عبدالله الإسكافي، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت)، (د.ت): (٣) .

وقد تعرض الإسكافي للآيات المكررة في القرآن الكريم ، وكذلك الآيات المتشابهة والتي قد تختلف بحرف أو حرفين أو تغيير كلمة ، أو تقديم أو تأخير أو حذف أو ما أشبه ذلك مبيناً وجوه هذا التشابه وبعض دلالاته، معتمداً في دراسته لهذه المواضع على ما آتاه الله من العلم ، وما سمعه أو اطلع عليه من تفسيرات وتعليلات أهل النظر من العلماء الذين تعرضوا لهذه الآيات المكررة ، والمتشابهة.

وكانت الدراسة التي تناول بها "الإسكافي" ـــ رحمه الله ـــ مواضع التكرار والتشابه بين آي القرآن شاملةً لكل القرآن ؛ فلم يكتف بجزء منه ، و لم يلتزم دراسة الآيات المكررة أو المتشابهة في كل سورة على حدة ، أو المتقاربة من بعضها فقط ، بل التزم بحث الآيات المكررة ، وكذلك المتشابه في كل القرآن بغض النظر عن التقارب أو التباعد فيما بينها .

لقد سلك "الخطيب الإسكافي" ـــ رحمه الله تعالى ـــ منهجاً تعليمياً في كتابه هذا ، حيث يبدأ بتنبيه المستمع أو القارئ إلى موضع الاستدلال بقوله : « لسائل أن يسأل كذا .. [أو] يقول كذا .. » وهذه طريقة تعليمية تنبه الطالب، وتدله على الموضع المراد .. كما أن المصنِّف رتب كتابه حسب ترتيب السور في المصحف تيسيراً على المتلقي وتنظيماً للكتاب .

ومن منهج "الإسكافي" في "درة التنزيل" أنه لا يكرِّر الموضع الذي سبق ذكره أو مقارنته بموضع آخر، وهذه ميزة، ومن منهجه – أيضاً – أنه يتناول مواضع التكرار والتشابه بين آي القرآن مبيناً أسبابه ودلائله من كل الأوجه الممكنة؛ سواء أكانت معنوية، أم نحوية، أم بلاغية، أم غيرها .

وقد أحصى الباحث المواضع المتكررة ، والمتشابهة التي تناولها "الإسكافي" في كتابه فوجدها تصل إلى مائتين وثمانية وسبعين موضعاً تقريباً .

٢- **"البرهان في متشابه القرآن"** ، "للإمام/ محمود بن حمزة بن نصر الكرماني"، (ت: ٥٠٥هـ) : والكتاب مع سابقه من أهم مراجعنا في البحث كما ذكرنا سلفاً؛ ولذلك سنعرض له بشيء من التفصيل أيضاً :

يعد كتاب "البرهان" من الكتب التي أفردت المتشابه اللفظي بالتصنيف ، وهو من أهم الكتب في هذا الباب ، وقد تناول مؤلفه الآيات المكررة ، وكذا المتشابهة في الكتاب العزيز ، وسلك منهجاً في تناول هذه الآيات مقارباً لمنهج "الإسكافي" في "الدرة " .

والكتاب محقق تحقيقاً جيداً من قبل : "أحمد عز الدين عبدالله خلف الله" حيث احتوت مقدمة المحقق على مبحثين من تسع وتسعين صفحة : المبحث الأول : التعريف بالمصنِّف، والمبحث الثاني : التعريف بالمصنَّف؛ ففي حديث عن منهج "الكرماني" يقول: «وقد اتخذ "الكرماني" من التصنيف في المتشابه سلماً لبيان دلائل الإعجاز ومدخلاً موصلاً إلى هذه الغاية الرئيسة التي لم تغب عنه طوال مادة الكتاب . وهذا المسلك قل من يستطيع أن يسلكه من الأئمة الأعلام فضلاً عن غيرهم ... وقد برَّ "الكرماني" بوعده فاشتغل بذكر الوجوه والعلل والفروق التي تطلبت وجود الاختلاف...»[1].

ومن أنواع المتشابه اللفظي التي تناولها "الكرماني" في "البرهان" التكرار اللفظي، والتكرار المعنوي؛ المتمثل في إعادة المعنى بتقديم أوتأخير ، أوزيادة أوحذف ، أوإبدال حرف مكان حرف ، أو كلمة بأخرى، وما شابه ذلك.. وهي مشابهة للأنواع التي تناولها كتاب "الإسكافي" السابق ، وقد أوضح "الكرماني" ــ رحمه الله تعالى ــ منهجه في تناول الآيات المتشابهة والمكررة ، وذلك في مقدمة كتاب "البرهان" حيث قال : « فإن هذا الكتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن ، وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان – [التكرار اللفظي، وهو لا يعنينا في هذا البحث]– ، وأُبيِّن ما السبب في تكرارها ، والفائدة في إعادتها . وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال ، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة الأخرى التي تشاكلها أو لا : ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها ، وتمتاز بها من أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها » [2] .

---

١) البرهان في متشابه القرآن : (٦٦) (مقدمة المحقق) .

٢) البرهان في متشابه القرآن : (١١٠) .

وكتاب "البرهان" مرتب -كسابقه- حسب ترتيب السور في المصحف الشريف .

ويتفق الكتابان في عدد كبير من مواضع التشابه والتكرار في القرآن الكريم ، بيد أن كلاً منهما انفرد بذكر مواضع لم يذكرها الكتاب الآخر هذا من جانب ، ومن جانب آخر يمتاز كتاب "درة التنزيل" عن كتاب "البرهان" ببسط القول عند تناوله للمواضع بينما يميل الثاني إلى الإيجاز ، ولذلك احتوى على مواضع أكثر من المواضع التي ذكرها "الإسكافي" في "درة التنزيل" ، وقد أحصى الباحث مواضع التشابه والتكرار التي تناولها "الكرماني" في كتاب "البرهان" فوجدها تربو على خمسمائة وسبعين موضعاً ، إلا أن بعضها مكرر.

ولعل الاختلاف بين كتابي "البرهان" و "الدرة" في عدد المواضع يرجع إلى أن حصر أنواع المتشابه هو محاولة اجتهادية جاءت ثمرة للاطلاع على مصنفات الأئمة في المتشابه أو كلامهم عنه في كتب التفسير ، وقد يضيف صاحب المحاولة أنواعاً لم يذكرها غيره ، أي أن بيان أنواع المتشابه إنما يقوم على الأمر الواقع لا على أساس تعيين المتشابه ثم حصر أنواعه[1] .

لقد كان كتابا "البرهان" و "درة التنزيل" وما يزالان من أهم الكتب التي أفردت علم المتشابه اللفظي في القرآن بالتصنيف ، وأجادت في دراسة هذا العلم ، وحازت الأفضلية في ذلك .

وهكذا نرى أن جهود القدماء في «التكرار» وافرة:(إشارات، وفقرات، وفصول). هذا بالإضافة إلى الكتب المستقلة التي أفردت ظاهرة التكرار والتشابه في القرآن بالتصنيف؛نظراً لأهمية هذا العلم، على الرغم من صعوبة مرتقاه، وقلة من يدرك أسرار هذا الأسلوب القرآني البديع .

وأعود فأقول في ختام هذا المبحث: إنه على الرغم من وجود هذا الزخم الكبير من جهود القدماء في دراسة ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، إلا أنها ركزت على الجوانب

---

١) وقد حاول "الراغب الأصفهاني" في مصنفه المشهور "المفردات في غريب القرآن" وضع تقسيم دقيق للمتشابه، معتمداً في ذلك على استقراء ما وصل إليه في هذا الشأن. كما اعتنت مصنفات علوم القرآن فيما بعد بسرد أنواعه ـــ كما بيّنّا ذلك سابقاً ـــ ، ولكن كلما أثرى التصنيف في المتشابه أضيفت إليه أنواع جديدة بقدر ما أوتي المصنفون من عمق في المعرفة بهذا العلم الغزير.

البلاغية والبيانية بدرجةٍ أساس ، ثم الجوانب التركيبية؛ ولذلك فهي تفتقر كثيراً إلى الدراسة المتعلقة بالمستويات الأخرى للغة المشكلة لأداءات النصوص والمعاني المكررة، هذا من جانب .

ومن جانب آخر، لم يكن هناك فصلٌ بين دراسة التكرار المعنوي عن التكرار اللفظي..فيا ترى هل انسحب هذا الأمر على المحدثين أيضاً، أم كان لهم مذاهب أخرى في دراسة هذه الظاهرة الكبرى من ظواهر القرآن العظيم ؟!

المبحث الثاني

دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند المحدثين

بمثل ما قلناه عن عدم إفراد ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن بالدراسة المستقلة، نقول أيضاً إن هذا النوع من الدراسات ما يزال نادراً –إن لم نقل منعدماً–؛ ولعل ذلك يرجع إلى الصعوبة البالغة في دراسة هذه الظاهرة الأسلوبية المتسمة بدقة مآخذها، وخصائصها المتعددة . يقول "الرافعي"–في حديثه عن أسلوب القرآن–:«وهنا معنى في التحدي، ما نظن العرب إلا وقد بلغوا منه عجباً: وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن؛ فتختلف فيه طرق الأداء، وأصل المعنى واحدٌ في العبارات المختلفة...بيد أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته، وأنهم يخلّون عنه[(يتركونه بلا معارضة)]؛ لقوة غريبةٍ فيه، لم يكونوا يعرفونها إلا توهماً، ولضعفٍ غريبٍ في أنفسهم، لم يعرفوه إلا بهذه القوة »[1] .

فإذا كان هذا هو حال أرباب اللغة وأهل الفصاحة، فما بالك بمن ظهر في زمان ضعفت فيه السليقة، وعزّ فيه الذوق الرفيع، والبيان البديع؛ ولذلك وجدنا عزوفاً واضحاً من قبل كثير من الباحثين عن الاقتراب من هذه الظاهرة، وتقحم عقباتها، والخوض في غمارها مستقلةً عما سواها من جوانب التكرار الأخرى.

ومن خلال استقرائي المتواضع لجهود من وقفت عليهم من المتأخرين وجدت أنهم لم يفيضوا في التكرار كما أفاض فيه المتقدمون.. ويؤكد استنتاجي هذا قول"الحسناوي"–في هذا الأمر–:« لا تقاس جهود المحدثين بجهود القدامى من حيث الوفرة أو الجودة لأن القدامى لم يكادوا يغادرون من بعدهم إلا القليل . وعلى الرغم من ذلك سنرى أن المحدثين أتوا بجديد يُحسب حسابه في هذا الميدان الذي يتسع فيه القول جيلاً بعد جيل »[2].

---

١) تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ط (٢) ، دار الكتاب العربي(بيروت) (١٣٩٤هـ–١٩٧٤م) : (١٩٣/٢) .

٢) الفاصلة في القرآن: (٦٣).

وقد كان الاعتماد في أغلب هذه الفوائد على ما ذكره المتقدمون؛ لأن المتأخرين أو المعاصرين قد اقتفوا آثار من سبقهم من المتقدمين في هذا المجال؛ فل يزيدوا على أن أكدوا ما أكده أسلافُهم من أن التكرار في القرآن من دلائل الإعجاز فيه .

ومما يحسب للمحدثين والمعاصرين أنهم حاولوا ربط بعض مظاهر التكـــرار المعنـــوي في القرآن الكريم بالدراسات الحديثة، في علوم النفس والاجتماع، منتهين إلى إثبات قيمة التكرار وأثره في إحداث الإعجاز القرآني في أكثر من جانب .

كما انبرى هؤلاء المحدثون – أيضاً– يدافعون عن القرآن الكريم عامـــة ، ويـــردون شبهات الملاحدة وغيرهم حول أسلوب التكرار خاصة؛ مفندين هذه الشبهات، ومبيـــنين بطلانها .

ولقلة المسهمين من المحدثين في هذا المضمار نعرض بإيجاز لجهود أهم مـــن تنـــاول ظاهرة التكرار والتشابه في القرآن الكريم، والتي يعد التكرار المعنوي جزءاً مهمـــاً منـــها، وذلك بحسب ما استطعنا الحصول عليه من مواد البحث، ثم بحسب ما تسمح بـــه هـــذه الصفحات :

أولاً: المؤلفون في الدراسات القرآنية: ومن أهمهم:

١) مصطفى صادق الرافعي :

لقد تحدث "الرافعي" عن بلاغة التكرار في القرآن مبيناً أنه من أظهر وجوهه ومحاسنه البلاغية، وذلك في كتابـــه القـــيم "تـــاريخ آداب العـــرب" الجـــزء الثـــاني المســـمى «إعجاز القرآن» [1] .

٢) سيد قطب:

لقد وقف "سيد قطب" أمام ظاهرة التكرار في القرآن الكريم طويلاً في "التصـــوير الفني"، و"مشاهد القيامة"، و"في ظلال القرآن" .

فرأى في "مشاهد القيامة" أن الجرس في ألفاظ القرآن وعباراته يشترك في تصـــوير المعنى ووقعه في الحس .

---

١) انظر: تاريخ آداب العرب: (١٩٣/٢ وما بعدها) .

وأطال الحديث عن مظاهر التكرار المعنوي في القصص القرآني وأنواعه، وكان يعقد المقارنات بين المواضع، مشيراً إلى ما يتميز به كل موضعٍ عن الآخر .

كما التفت "سيد قطب" إلى ظاهرة التكرار ومدلولاتها في كتابه القيم "في ظلال القرآن" .

وأداة "سيد قطب" في ذلك كله ذوقه الفني الرفيع مع احتفال يسير بالمصطلحات والموروثات الثقافية القديمة .وسنستشهد ببعض ما ذكره عند التحليل الأسلوبي والدلالي لمواضع التكرار المعنوي في الباب الثاني-إن شاء الله- .

٣) محمد قطب:

تحدث "محمد قطب -في كتابه القيم "دراسات قرآنية"- باستفاضة عن ظاهرة التكرار في القرآن؛ مبيناً أنها أشد وضوحاً في السور المكية عنها في السور المدنية، وأن التكرار لم يأت إلا لهدفٍ مقصود؛ بحكم أن القرآن كتاب تربية للأمّة.

كما استعرض المعاني القرآنية(عقدية-تشريعية-قصص)؛ مبيناً أن المعاني العقدية قد لازمت جميع معاني القرآن الأخرى، بيد أنها أوفر حظاً في السور المكية، بينما المعاني التشريعية أوفر حظاً في السور المدنية .

كما تعرض بشيء من التفصيل للتكرار القصصي، موضحاً بعض دلائل الإعجاز فيه..[١]. وفصّل القول في تكرار القصص في كتاب" القصة في القرآن"[٢].

٤) عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ):

تنبهت في موضعين من كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم"، الكريم للتكرار: «التكرار المؤكد في المكي»؛ لأن له أهميةً قصوى في التأثير والتقرير والإقناع والجزم من

---

١) انظر- كل ما أشرنا إلي بالتفصيل في-: دراسات قرآنية ، محمد قطب ، ط (٧) ، دار الشروق(القاهرة) (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) : (٢٥٣-٢٨٣) .

٢) انظر: القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) ، محمد قطب ، ط : دار قُباء للطباعة والنشر(القاهرة) (٢٠٠١م) : (٢١٥-٢٤٤) .

حيث العهد بالرسالة قريب.. كما تحدثت – كذلك- عن « التكرار في الإطناب والإيجاز» .. إلخ [1] .

٥)عبد الكريم الخطيب:

الذي أرسل قلمه مرتاداً جوانب التكرار في القرآن الكريم مستأنساً بأقوال القدماء حتى تبين له أن التكرار كان عن قصد، ومن أغراضه ، أولاً :إيقاظ المشاعر، ثانياً: إن تفرُّد القرآن بهذا اللون من الأسلوب، مع احتفاظه بمستواه الذي عرف له من روعة النظم وجماله ، واتّساق نغمه ، هو شهادة قائمة تشهد للقرآن بالإعجاز . ثالثاً: إن هذا التكرار في ذاته يخدم غرضاً أصيلاً من أغراض الدعوة وهو تثبيت القلوب على الحق، وإقامتها على الشريعة التي تحملها مبرهناً على أن هذا النظم المعجز في القرآن بأكمله ليس من عند النبي ﷺ ، بل من عند الله تعالى .

كما أفاض في بيان خصائص التعبير والدلالة المتعلقة بالتكرار القصصي في القرآن، وذلك في كتابه الشهير: "القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه)" [2] .

٦) عبد العظيم المطعني:

له كتاب غايةٌ في الروعة، موسومٌ بـ"خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية"، الذي عقد فيه مبحثاً واسعاً للتكرار في القرآن الكريم ؛ مبيناً أنواعه، ووظائفه، ووجوهه المتعددة، وبسط القول في الحديث عن تكرار القصة، مبيناً أسببه ودواعيه، وشافعاً ذلك كله بأمثلة استدلالية وتحليلية[3].

---

١) انظر: الفاصلة في القرآن للحسناوي: (٧٩) (ولم تكن إحالة الباحث لكتاب الحسناوي إلا لعدم عثوره على كتاب "التفسير البياني").

٢) انظر: القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه) ، عبد الكريم الخطيب، ط (١) ، مطبعة السنة المحمدية(لقاهرة)، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) : (٢٣٨، وما بعدها إلى نهاية الباب السابع).

٣) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم بن إبراهيم المطعني ، ط(١)، مكتبة وهبة (القاهرة) (١٩٩٢م): (٣٢١/١-٣٦٦).

٧) فاضل السامرائي:

له عدة كتب في أسلوب التعبير القرآني؛ ومن أهم كتبه التي تناول فيها التكرار المعنوي في القرآن كتاب"التعبير القرآني" و "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل" ؛ وهما مختصان بالدراسات البيانية في الأسلوب القرآني. وقد أفاد الباحث كثيراً من تحليلاتهما الفريدة في جانب التكرار القصصي .

وكثيراً ما نجد" الدكتور/ السامرائي" يعقد مقارنات بين النصوص المتشابهة من آي التنزيل تصدر عن رؤى سديدةٍ، ونظرات ثاقبة، لها ثقلها في التحليل الأسلوبي والدلالي[1].

ثانياً: الرسائل والأبحاث:

هناك أبحاث لغوية وأسلوبية أفاد منها الباحث في دراسته لظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم .. ومن أهمها :

أ) رسائل الدكتوراه :

١- "الأحاديث القدسية (دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي)"، وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث "علي عبدالله أحمد النعيم" إلى كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية (١٩٩٤م) .

٢- "الخصائص الأسلوبية لنثر الإمام علي ﷺ في نهج البلاغة"، وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث "سعد محمد علي جاسم التميمي" إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية(السودان) (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

٣- "أبنية المشتقات الاسمية في المعلقات السبع (دراسة صرفية دلالية)"، وهي رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث "عبد النور محمد الماحي" إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية(السودان) (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .

---

١) انظر –فيهما على سبيل المثال لا الحصر- : التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي ، ط (٢) ،دار عمار(عمّان- الأردن) (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) :(٢٨٣-٣٣٦) . ولمسات بيانية في نصوص التنزيل ، د.فاضل صالح السامرائي ، ط (٢) ،دار عمار (عمّان- الأردن) (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) : (٨٣-١١٣) .

ب) رسائل الماجستير :

١- "التكرار القرآني ودلالاته" ، وهو بحثٌ مقدمٌ من الطالب "يحيى بن محمد بن علي المهدي " إلى كلية حنتوب للتربية بجامعة الجزيرة (السودان)؛ لاستكمال متطلبات الحصول عل درجة الماجستير (١٩٩٨م) .

٢- "التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني (دراسة لغوية أسلوبية)"، وهو بحثٌ مقدمٌ من الطالب "خالد قاسم حسين بني دومي" إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة اليرموك (الأردن)؛ لاستكمال متطلبات الحصول عل درجة الماجستير (١٩٩٩م) .

٣- "المداخل الإقناعية في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية على المثل في القرآن الكريم)"، وهو بحثٌ مقدمٌ من الطالبة "حسناء سعد عبد السميع" إلى كلية الآداب بجامعة المنيا(مصر) ؛ لنيل درجة الماجستير (٢٠٠٠م) .

٤- "السياق وأثره في تحديد المعنى" ، وهو بحثٌ مقدمٌ من الطالب "جعفر محمد يوسف" إلى كلية اللغة العربية بجامعة أم درمان الإسلامية(السودان)؛ لنيل درجة الماجستير (د . ت) .

ثالثاً: المعاجم والفهارس الخاصة بمعاني القرآن وموضوعاته وألفاظه ، التي أمكن الباحث الاطلاع عليها :

أ) المعاجم والفهارس الخاصة بمعاني القرآن وموضوعاته :

١- " المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم " إعداد / محمد بسام رشدي الزين، وإشراف / محمد عدنان سالم ، من منشورات دار الفكر المعاصر.

وهذا المعجم يتكون من مجلدين عدد صفحاتها (١٣٧٦) صفحة من النوع الطويل وهو معجم يتناول المعاني القرآنية مرتبة حسب الترتيب الألف بأئي ؛ حيث يجمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع واحد ، ويقوم بتفريغهما إلى أفكار جزئية ، ويضع لها رؤوس موضوعات مناسبة، كل ذلك حسب الترتيب الألفبائي .

٢- كما وجدت فهرساً للمعاني القرآنية أحدث من كل الفهارس، صدر عام : (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) واسمه: " الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم

"، إعداد: "لمحمد عوض العايدي" ، مراجعة وتقديم: "الأستاذ الدكتور/ محمد طلعت أبو صير" وهذا الفهرس يتكون من ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها (٢٥٤٨).

وهو مرتب ترتيبا هجائيا ألفبائيا (كلمة بكلمة) لا (حرف بحرف) حيث اعتمد على رأس الموضوع المباشر والأكثر تخصصا ، مبتعداً عن رؤوس الموضوعات العامة أو الفضفاضة – حسب تعبيره-.

٣- "الترتيب والبيان عن تفصيل آي القرآن"، "لمحمد زكي صالح"؛ وهو معجمٌ موضوعيٌ يختص بمعاني القرآن .

٤- "تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة"، "لمحمد عبد الله الجزار"؛ وهو معجم موضوعي لمعاني القرآن –أيضا- يشمل ثلاثين فصلاً، كل فصل يقسم إلى أبواب بحسب معانيه التفصيلية .

٥- " تبويب آي القرآن الكريم من الناحية الموضوعية"، "للدكتور/أحمد إبراهيم مهنا"؛ وهو معجم تفصيلي لموضوعات القرآن .

٦- "المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم"، "لصبحي عبد الرءوف عَصَر، وهو معجمٌ –كاسمه- يختص بموضوعات القرآن؛ حيث قسمها إلى ثلاثة موضوعات رئيسة، هي: (أركان الإسلام والإيمان – التقوى – الكفر والفجور)، مقسماً كل موضوع إلى أقسامٍ عديدة .

٧- "تصنيف آيات القرآن الكريم"، تقديم:"محمد محمزد إسماعيل"، وهو أكبر معجم مفهرس لموضوعات القرآن ومعانيه –حسب اطلاع الباحث-. وهذا المعجم غني في بابه، شامل في موضوعه، دقيق في تصنيفه؛ حيث قسم موضوعات القرآن إلى أحد عشر قسماً رئيساً. وقد جمع في ترتيبه بين ترتيب المصحف وترتيب النزول، فكان مميزاً وشاملاً .

٨- "الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم"، "لمحمد مصطفى محمد"، وهو معجم يعنى بإيراد الآيات المتعلقة بالمعنى الواحد. وقد استفاد منه الباحث في تحديد المعاني القرآني المكررة بشكل واضح أكثر من غيرها .

٩- اطلع الباحث على كتاب " تفصيل آيات القرآن الحكيم " لـــ: "جول بو لام" بنقل "محمد فؤاد عبد الباقي" محتوى الكتاب إلى العربية ، ويعد حسب علمي من أقدم ما صنّف في موضوعات القرآن ومعانيه..

١٠- "متشابه النظم في قصص القرآن" ، لمؤلفه : "عبد الغني الراجحي".

ب) المعاجم والفهارس الخاصة بألفاظ القرآن الكريم :

١- اطلع الباحث على كتاب " الدليل الكامل لآيات القرآن" "للدكتور / حسين محمد فهمي الشافعي"، فإذا به كتاب يتناول الآيات القرآنية حسب الحـــرف الأول من كل آية ، وهو مرتب ترتيبا ألفبائيا .

٢- كما اطلع الباحث على كتاب " معجم الألفاظ والأعلام القرآنية" ، "لمحمـــد إسماعيل إبراهيم" ، وهو يختص بالألفاظ والأشكال .. مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

٣- " معجم كلمات القرآن العظيم " "لمحمد عدنان سالم" ، ومحمد وهبي سليمان يختص بترتيب كلمات القرآن حسب حروف المعجـــم حســـب أوائلـــها ، مستبعدا الضمائر المنفصلة والحروف وهو يشبه إلى حد كبير المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ؛ فهو بالدرجة الأولى معجم ألفـــاظ ، لكنه مرتب ترتيبا جيداً وسهلاً، والسور فيه مرتبة حسب ترتيب المصحف .

٤- " الترجمان والدليل لآيات التنـــزيل " ، "لمختار أحمد محمود الشنقيطي" وهو معجم للألفاظ الغريبة يورد معنى اللفظ أولا ثم يذكر الآية التي ورد فيها اللفظ ، وهو مرتب ألفبائيا ،ولم يذكر المؤلف منهجه لكنه نهج فيه منهج "الراغـــب الأصفهاني" في كتابه "مفردات غريب القرآن " .

٥- اطلعت على كتاب " إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القـــرآن المـــبين" ، "لمحمد منير الدمشقي" وهو معجم لفظي يعتمد الترتيب الألفبائي متشـــابها في ذلك مع المعاجم التي تسير على هذا النمط..

٦- واطلعت على " عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ " وهو معجم لغـــوي لألفاظ القرآن الكريم مكون من أربعة أجزاء "للشيخ / أحمـــد بـــن يـــونس المعروف بـــ (السمين الحلبي)" .

٧- واطلعت على " المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم " لواضعة "الأستاذ الدكتور / محمد زكي محمد خضر" ، وهو معجم مرتب ألفبائياً، يجمع التراكيب المتشابه في الألفاظ؛ حيث يقوم بإيراد التركيب ثم يشير إلى السور وأرقام الآيات التي ورد فيه هذه التركيب نصيا معتمداً على الألفاظ مراعيا أصول الكلمات وتشكيلها . وهو معجم مفيد في حصر عدد مرات التكرار للتراكيب المتحدة في الألفاظ.

٨- اطلعت على كتاب " المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته " جمع وتنسيق وتدقييق "محمد فارس بركات" ؛ وهو مرتب ألفبائيا يورد الكلمة ثم يورد جزءاً من الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة، وينص على وجود الكلمة فيه؛ فهو معجم لفظي واضح .

٩- ومن أشهر معاجم ألفاظ القرآن وأفضلها: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" ، لمؤلفه : "محمد فؤاد عبدالباقي".

١٠- "قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها" لمؤلفه : "محمد حسين أبو الفتوح" ، وهو ـــ كعنوانه ـــ عبارة عن سرد للكلمات ودرجات تكرارها، فهو أشبه ما يكون بالفهرسة لكلمات القرآن ، مثله في ذلك مثل الكتب التي تناولت الكلمات الواردة في القرآن الكريم ، وعدد تكرار هذه الكلمات ومواضع تكرارها .

١١- "هداية الراجز لألفاظ وآيات القرآن"، إشراف:"محمد صالح البنداق"، ومراجعة"لجنة إحياء التراث العربي"؛ وهو دليل ألفبائي لمواضع ألفاظ وآيات القرآن .

وقد أفاد الباحث من بعض هذه المعاجم والفهارس في تتبع المعنى المتكرر، وحصر مواضعه؛ إذ كانت هذه المعاجم بمثابة الدليل النظري في ذلك.

وقد حرص الباحث على إيرادها في هذا المبحث؛ لأهميتها البالغة في هذا الباب؛ كونها تمثل جهوداً عظيمة وجبارة فيما يختص بألفاظ القرآن ومعانيه، ولها فوائد جليل في حصر مواضع التكرار المعنوي في القرآن الكريم لأي باحث، وعلى أي منهج .

ولولا وجود هذه المعاجم لاحتاج الباحثون في القرآن إلى زمن طويل في تتبع كـــثير من الظواهر القرآنية –ناهيك عما استفادته منها محركات البحث الإلكتـــروني في تيســـير عمليات البحث في القرآن الكريم– .

وبعد هذا التطواف في جهود القدماء المحدثين المتعلقة بدراسات التكرار في القرآن عموماً، والمعنوي منه على وجه الخصوص– وجدنا أنهم مجمعون على أن التَّكرار الوارد في القرآن الكريم إنما هو بلاغةٌ عالية، وحسن لا يضاهى في أسلوب القرآن، ولا يصلح أن يكون ميداناً للطعن أو مجالاً للافتراء والبهتان، كما يزعم الحاقدون والجهلة .. وهذا يسلمنا إلى المبحث الثالث من هذا الفصل، وهو «فوائد التكرار المعنوي في القرآن الكريم».

المبحث الثالث

فوائد التكرار المعنوي في القرآن الكريم

إن ظاهرة التكرار في القرآن الكريم كانت وما تزال ساحة كبرى لمعارك عنيفة تدور رحاها في مختلف الجوانب المتعلقة بها؛ إذ إن الظاهرة برمتها تصنف ضمن الظواهر المختلف في تعليلاتها « فبعضهم ذهب إلى أنها من المتشابه ،والذي لا يعرفه-في أحسن الأحوال إلا الراسخون في العلم ، أو لا يعلمه إلا الله . بينما ذهب آخرون إلى أن هذا التكرار لغاية بيانية قُصد بها الإعجاز والتعجيز فلم يستطع أحدٌ مجاراة القرآن في هذا الميدان.. »[1].

وإلى هذا التوجيه الأخير ذهب معظم علماء التفسير ، لكنه منقودٌ بأنه يتمحور حول الجانب البلاغي للنص ، وهو جانب محدود ؛ فالبيان هو إيراد المعنى الواحد بأساليب مختلفة ؛ كأن المعنى جوهر واللغة مظهره التي يظهر بها في أشكال متعددة .

إلا أن هناك حثالة قليلة من أعداء الإسلام، أو المتأثرين بهم ،أو من أولئك الذين لم يظهروا إلا بعد أن فسد الذوق البياني ، وضعفت السليقة العربية- أخذوا يثيرون بعض الشبهات الواهية، والمطاعن الفاسدة، والتساؤلات حول ظاهرة التكرار في القرآن الكريم إما بقصد أو بغير قصد، حسب مصدر ورود هذه الشبهة أو تلك؛ كالمستشرقين الذين يحاولون جاهدين الطعن في بلاغة القرآن الكريم وأحكامه ؛ بغية تشكيك المسلمين في دستورهم الرباني ؛ حتى يكون هؤلاء المستشرقون أقدر على مغالطة المسلمين وإغوائهم وإثنائهم عن دينهم؛ عن طريق زعزعة ثقتهم في أخص خصائصهم ..

كما أن هذه المطاعن قد تصدر عن بعض المارقين والملحدين المتأثرين ببعض الثقافات الفاسدة ؛ متمثلة في ادعائهم الباطل وجود حشو في أسلوب القرآن ، وفضول في تعبيراته وتراكيبه؛ وذلك لغرض خدمة مذاهبهم واتجاهاتهم الباطلة .. يقول "الرافعي": «وقد خفي هذا المعنى (التكرار) على بعض الملاحدة وأشباههم ومن لا نفاذ لهم في

---

١) أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد ، عبد الوهاب زيد المصباحي (رسالة دكتوراه-جامعة الجزيرة- السودان- (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م) : (٦٣).

أسرار العربية ومقاصد الخطاب، والتأتّي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد – فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو – أخزاهم الله– كان أروع وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها ، ولو أعجزهم أن يجيئوا بمثله ما أعجزهم أن يعيبوه إن كان عيباً !» [1].

كما قد تأتي هذه المطاعن أو الشبهات من بعض الجهلة وأدعياء الثقافة وأولئك المتدثرين بلباس العلماء الذين لاحظَّ لهم من العلم إلا الاسم ؛ فيتوهمون عدم الفائدة من أسلوب التكرار القرآني، لعدم إعمالهم الفكر بشكل سليم؛ بغية إدراك وجوه البلاغة القرآنية وأسرارها ، أو لعدم رجوعهم إلى العرف اللغوي ، والذوق الفني، ليعرفوا مآخذ القول وطرق البيان، فجمعوا في ذلك بين ضعف العلم ، وقلة الفهم ، وضيق الأفق.

ونحن في هذا المبحث سنشير ابتداءً إلى أهم الشبهات، والمطاعن، والتساؤلات التي تثار حول ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم ، والتي لم يكن الباحث ليفترضها من لديه ، أو ينشئها من بنات أفكاره ، فهي ليست وليدة اللحظة ، بل هي مبثوثة أو مشارٌ إليها في كتب علوم القرآن وإعجازه ، وفي كثير من الدراسات القرآنية المختلفة(مع العلم أنها ليست خاصة بالتكرار المعنوي فحسب، بل هي موجهة إلى التكرار بعامة في القرآن الكريم ، سواءً أكان لفظيًا أم معنويًا) [2]؛ لأسباب ذكرتها في تمهيد هذا الفصل[3]، وحملاً على التجوّز؛ ولذلك كان الرد –الممثل في بيان فوائد التكرار– غير مختص بالتكرار المعنوي وحده ، بل كان معنياً بالتكرار عامة ؛ بوصفه ظاهرة لغوية بارزة، وحاضرة بقوة

---

١) انظر : تاريخ آداب العرب، (١٩٤/٢).

٢) لمزيد من التأكد يمكن الرجوع إلى :

أ–كتاب: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي: (١٧٦، وما بعدها).

ب–كتاب: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي، ت: د. بكري شيخ أمين ، ط: ١ ، دار العلم للملايين (بيروت)(١٩٨٥م) (وقد أفرد فصلاً خاصاً في« بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل»(انظر: (٣٨٨، وما بعدها).

ج–كتاب: بلاغة القرآن في أدب الرافعي: (١١١، وما بعدها).

د– كتاب: مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، ط: ٣ ، دار الفكر (بيروت)(١٤٠٨هـ–١٩٨٨م): (٣٢٦ ، وما بعدها) وغيرها كثير..ولعل كثيراً من المراجع الذي يتضمنها هذا المبحث فيها إشارات إلى هذه المطاعن.

٣) انظر بيان ذلك: ص: (٥١) من هذا البحث.

في أسلوب القرآن الكريم . وسنحاول التركيز هنا – قدر الإمكان – على ما يختص بالتكرار المعنوي .

وأهم هذه الشبهات والمطاعن والتساؤلات :

١- لماذا يكرر المعنى الواحد أساساً ، وكان من الممكن أن يذكر مرة واحدة ، بل إن العرب -كما يقول "ابن جني"-: إلى الإيجاز أميل ، وبه أعنى ، وفيه أرغب[١]. أليس في هذا مجرد زيادة في عدد صفحات المصحف دونما أدنى فائدة؟!

٢- كما أننا نجد اختلافًا في أسلوب القرآن المعبر عن المعنى الواحد؛ فنجده يتكرر بلفظين مختلفين ، وأحياناً بألفاظ متشابهة فيها تقديم، أو تأخير، أو حذف، أو زيادة، وهكذا .. أليس هذا ترفاً في الأسلوب ، وتلاعباً بالألفاظ ليس إلا ؟!

٣- لماذا يكرر المعنى الواحد بصور مختلفة من حيث الطول والقصر ، فمرة بإيجاز ، ومرةً بإطناب ، ومرة بتوسط ، ومر بتفصيل وأخرى بإشارة ؟ فما الفائدة من وراء هذا كله؟! وإذا كنا قد سلمنا بتكرار المعنى موجزاً..فلماذا التطويل بالذات؟!

٤- إذا كان الهدف من تكرار الألفاظ والمعاني هو التأكيد فيكفي إيرادها مرتين أو ثلاثاً بوصفها حداً أعلى لأداء بلاغة التأكيد -كما هو معروف- فلماذا إذاً وصلت مواضع التكرار إلى عشرات المواضع أحيانا ؟ وهل هناك أمرٌ أبلغ من التأكيد؟!

٥-لماذا تكررت القصة الواحدة في أكثر من موطن في القرآن [٢]، وبأساليب مختلفة أحياناً ومتشابهة أحياناً أخرى ، وكان يكفى إيرادها مرة واحدة ، بأسلوب واحد ؟ فإن قلتم:إن في ذلك بلاغة عالية ، وتحد كبير ، وشفعتم كلامكم بما يقنع من الأدلة والشواهد، فلم لم تتكرر قصة يوسف على الرغم من كونها متعددة الأحداث، ومتنوعة المعاني..؟

---

١) الخصائص : (٨٦/١).

٢) انظر –على سبيل المثال ما ذُكر من شبهات في ذلك-: الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني ،ت: محمد عصام القضاة ، ط: ١ ، دار ابن حزم (بيروت)(١٤٢٢هـ-٢٠٠١): (٨٠٠) .

وهناك العديد من التساؤلات التي تنبئ عن ضعفٍ واضح في الفهم ، وعدم معرفة بأبجديات أساليب العرب في كلامهم ، أو تكون ناشئاً عن أفكار هدامة ، أو حقد دفين .

يقول"الدكتور/فضل حسن عباس"-مشيراً إلى هذه المطاعن ودواعيها-:«الناظرون في كتاب الله -تعالى- من أجل تلا وته وتدبره ، أو بهدف التشكيك والطعن فيه ، يجدون لأول وهلة أن هناك قضايا ذكرت أكثر من مرة ، وفي أكثر من موضع ؛ كالقصص، وموضوعات العقيدة ، وبعض الجمل والآيات، وسموا ذلك تكراراً [أي تكراراً محضاً بدون فائدة] .

ومع إجماعهم على هذه التسمية، اختلفت مذاهبهم، وتعدّدت مشاربهم...الكثرة الكثيرة من المتدبرين رأوا أن هذا التكرار سحر بيان ، وتثبيت بنيان؛ فعدوه بلاغة وإعجازا...وفئة قليلة عميت أو تعامت ، هيمن عليا الحقد؛ فعدت هذا مثلبةً ومطعناً في كتاب الله.. »[1].

وهذا بيان بأهم الفوائد والأغراض الكامنة وراء التكرار المعنوي في القرآن الكريم:

لقد انبرى لبيان فوائد التكرار في القرآن الكريم خلق كثير من العلماء المحققين الأفاضل، الموسومين بالعلم الواسع، والنظر الثاقب، والتحري الدقيق، والذين لهم باع كبير في معرفة أساليب العرب، ولديهم اطلاع واسع على مذاهبهم الكلامية ، يضاف إلى فهمهم الدقيق لوجوه الإعجاز وأسرار البلاغة والفصاحة القرآنية المتميزة .

ونبدأ بتفنيد الشبه السابقة على النحو الآتي:

١- من الثابت المقطوع به أنه لم يرد لفظ من ألفاظ القرآن الكريم، أو معنى من معانيه إلا في موضعه الذي فرضه السياق الأسلوبي والدلالي، واقتضاه مقام الخطاب القرآني الذي ورد فيه ، وعليه فإن كل ما تكرر من معاني القرآن هو من مقتضيات الحال ومتطلبات المقام .

ولا يمكن إدراك بعض حكم القرآن، وخصائصه التعبيرية المعجزة إلا لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، وصدق "ابن القيم" إذ يقول:«إذا أردت الانتفاع

---

١) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس ، ط: ١ ، دار الفرقان(عمّان-الأردن)(١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م): (٥٧).

بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك وأحضر حضورمن يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله »[1].

وفي تكرار المعنى الواحد من الفوائد والأغراض ما لا يمكن لهذه الأسطر المحدودة أن تحصيه بشواهده واستدلالاته .. ومن أهم هذه الفوائد بإيجاز :

- بيان أهمية المعنى المتكرر .
- التأكيد على تثبيت المعنى المتكرر في الأذهان، وتقريره في النفوس ؛ فإن ما تكرر تقرر. « و العرب إذا أرادت تثبيت معنى من المعاني وأرادت تمكينه في النفس احتاطت له واجتهدت في تثبيته والتمكين له وأحاطته بسياج يمنع المخاطب من أن يقع في الوهم أو أن ينصرف ذهنه إلى معنى آخر أو أن يفوت عليه شيء من المعنى »[2].

ومن أهم المعاني التي تكررت في القرآن معاني العقيدة، التي ارتبطت بكل المعاني القرآنية، وظل النبي ﷺ يكررها ؛ بغية ترسيخها وتثبيتها في نفوس أصحابه في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة ؛ فهناك من يرى أن وظيفة التكرار هي تثبيت العقيدة في النفوس؛ إذ التكرار يخلق القناعات ، ويورث العادات، بل ويشكل الشخصية [3]؛ فالتكرار -على هذا- وسيلةٌ مهمة من وسائل التربية، وبناء الشخصية . « فحين ننظر إلى القرآن على أنه كتاب التربية لهذه الأمة ، وللبشرية كلها التي ينبغي أن تدخل في دين الله ، تزول عنا غرابة هذه الظاهرة ، وتصبح بعض حكمتها —على الأقل- مفهومة لدينا..إن التربية ليست قولة تقال مرةً وتنتهي ! »[4].

- ليس الإيجاز هو المفضل في كل الأحوال — وسنبين ذلك بالتفصيل عند الرد على الشبهة الثالثة- وأما استدلالكم بقول "ابن جني" فهو مردود عليكم من وجهين:

أحدهما: أن "بن جني" قد استخدم أفعل التفضيل فقال :"أبين-أعنى-أرغب"، و لم يجعل الأمر مطلقاً .

---

١) كتاب الفوائد، الإمام ابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة (بيروت) (د . ت): (٩).

٢) الجملة العربية والمعنى، الدكتور/ فاضل صالح السامرائي، ط(١)، دار ابن حزم(بيروت)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م): (١٤٢) .

٣) انظر: أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد: (٦٣).

٤) دراسات قرآنية: (٢٥٣).

وثانيهما: أنكم اجتزأتم قول "ابن جني"،فأخذتم ما يروق لكم، و لم تكملوا الـــنص، حيث يقول -تكملةً للنص السابق الذي أوردتموه عنه-: « .. وأنهم[أي:العرب] متى اضطروا إلى الإطالة لداعي حاجة، أبانوا عن ثقلها عليهم ، واعتدّوا بما كلفوه مـــن ذلـــك أنفســـهم، وجعلوه كالمنبِّهْ على فرط عنايتهم ، وتمكن الموضع عندهم ، وأنه ليس كغيره مما ليســـت لـــه حرمته، ولا النفس معنية به .

نعم ولو لم يكن في الإطالة في بعض الأحوال إلاّ الخروج إليها عما قد أُلِفَ ومُلَّ من الإيجاز لكان مقنعاً » [1]. وهذا ردٌ كافٍ ومسكت لكل معاند..

- كما أن من الفوائد العامة للتكرار المعنوي في القرآن عموما، أنك تجد إضافات معنوية جديدة في السياق، يضيفها النص في كل مرة. والممعن النظر في ظاهرة التكـــرار المعنوي، لا يجد تكراراً إلا في المعنى العام ، أما الذي سيجده بالفعل فإنما هو تنويع بـــارع في الأساليب ، وإضافة في الدلالات الدقيقة للمعنى؛ لها تأثيرها الكبير والمتجدد في نفـــس المتلقي. يقول "محمد قطب":« ولكن الذي نريد الإشارة إليه هنا هو أننا حين نتلوه مجمّعاً على صورته في المصحف، وحتى حين نتلوه متقارباً لا يفصل زمن كبير بين الآية وشبيهتها ، فإننا لا نجد فيه تكراراً حقيقياً بالمعنى المفهوم من اللفظ ، إنما نجد ظـــاهرةً أخـــرى في الحقيقة، تستحق منا النظر من حيث هي جمال فني في التعبير ، ومن حيث هي لون مـــن التأثير الوجداني فريد» [2] .

- أن في تكرار المعنى تذكيراً به؛ مع تقادم العهد وطول الزمن « فالقرآن قد نزل على مدى ثلاثةٍ وعشرين عاماً متطاولة ، فكان المدى بعيدًا بين نزول الآية وشبيهتها إلى حدٍ قد يبلغ عدة سنوات » [3].

٢- أما بالنسبة للاختلاف والتشابه الحاصل في أسلوب القرآن المعبر عـــن المعـــنى الواحد؛ ففيه من الأسرار والفوائد الشيء الكثير.. نذكر من ذلك:

---

١) الخصائص: (١/٨٦،٨٧).

٢) دراسات قرآنية : (٢٥٣، ٢٥٤).

٣) المرجع السابق : (٢٥٣).

- أنه قد يكرر المعنى بلفظين مختلفين؛ لغرض إشباع المعنى والاتساع في الألفاظ[1].

- أنّ في إبراز الكلام الواحد(المعنى العام الواحد) في فنون كثيرة من القول ، وأساليب مختلفة من التعبير – ما لا يخفى من الفصاحة [2] ، وهو أبلغ في لإعجاز . فالتعبير عن المعنى الواحد بهذا المقدار من صور الأداء اللغوي المحكم ، يُعد شاهدا واضحاً وعظيماً من شواهد الإعجاز القرآني في جانب التكرار المعنوي.

- وقد يكون الغرض من التشابه–لا التماثل–تنويع الأسلوب المعبر عن المعنى الواحد، وتجديده ؛ لغرض توكيد معنى معين أو صفة ما، وهذا مستحسنٌ عند العرب . قال"ابن قتيبة":« وربما جاءت الصفة ، فأرادوا توكيدها ، واستوحشوا من إعادتها ثانية؛ لأنها كلمةٌ واحدة؛ فغيروا منها حرفًا، ثم أتبعوها الأولى» [3] .

٣- أما تكرار المعنى الواحد بصور مختلفة من حيث الطول والقصر ؛ فذلك ناشئ عن أسباب متعددة، ودواع كثيرة من أهمها:

- إن القرآن قد نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبهم في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد ، والإشارة إلى الشيء [4].وقد نزل القرآن بلسانهم وعلى مذاهبهم.

- كما أن المقصود من التعبير هو الذي يفرض مقدار هذا التعبير . قال " أبو هلال العسكري "–نقلاً عن الخليل– : « يختصر الكتاب ليُحفَظ ، ويُبسَط لِيُفْهَم . وقيل "لأبي عمرو بن العلاء": هل كانت العرب تطيل. قال: نعم ، كانت تطيل ليسمع منها ، وتوجز ليحفظ عنها» [5].

---

١) تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرح:السيد أحمد صقر ، ط: ٣ ، المكتبة العلمية (المدينة المنورة) (١٤٠١هـ– ١٩٨١م) : (٢٤٠) ..

٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: (٣٤٨). والبرهان في علوم القرآن للزركشي: (٣٠/٣).

٣) تأويل مشكل القرآن: (٢٣٦).

٤) انظر: تأويل مشكل القرآن: (٨٦).

٥) الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، ت : د.مفيد قميحة ، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت)، (١٩٨١م): (٢١١).

وقد ذكر " ابن قتيبة " أن من مذاهب العرب التكرار: إرادة التوكيد والإفهام. كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز [1] .

- بما أن القرآن خطاب للناس جميعاً ، وهم يختلفون من حيث سرعة الفهم ؛ «ومن الحكمة الإلهية للتكرار أن بعض العقول لا تفقه إلا بالإسهاب والتطويل(الإطناب)، وبعضها يكفيه الإيجاز والتركيز» [2] ، وبعضها يكفيه الإشارة، وهكذا.. يقول "الدكتور/حامد قنيبي":« ذلك أن من الناس من لا يكفيه الوجيز من القول ، والخلاصة من الحديث ، حتى ينصت إلى الأمر مفصلاً مُطنباً ، وفي الناس من تكفيه الخلاصة ، ويقنعه الإيجاز ؛ فاقتضى الأمر أن تُصرف المعاني القرآنية في طرائق مختلفة من التعبير والبيان » [3] ؛ لتتناسب مع جميع المخاطبين .

فالقرآن الكريم –إلى جانب عرضه الشامل للحقائق-يتسم بالوضوح عند عرضه للحقيقة، فـ «لا يعقد هذه الحقيقة ، ولا يلفها بالضباب! بل يخاطب بها الكينونة البشرية في كل مستوياتها .. ولا يملك الأداء البشري هذا ؛ فكل كاتب يخاطب مستوى معيناً، ولا يكاد غيره يفهم عنه ! » [4] . وهذا وجهٌ عظيمٌ من وجوه الإعجاز .

- إن للسياق الذي يكرر فيه المعنى دوراً كبيراً من حيث بسط الحديث ، والزيادة فيه (الإطناب) لفائدة يقتضيها هذا السياق ، كما يقتضي السياق التوسط، أو الإيجاز، أو الإشارة .. فكلٌ حسب سياقه.

فإذا أردت الوقوف على الأسباب الحقيقية لتكرار معنى ما؛ فأنعم نظرك في سياقاته السابقة واللاحقة؛ وستجد أن هذا التكرار قد فرضته هذه السياقات؛ فأصبح لازماً من لوازمها التي لو لم يذكر فيها بذلك القدر المحدد-من طُول أو قِصَر- لضعفت بلاغة التعبير عن أداء مقاصدها المرجوة على الوجه الأكمل .

---

١) انظر : تأويل مشكل القرآن: (٢٣٥).

٢) أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد: (٦٤).

٣) المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية)، د. حامد صادق قنيبي ، ط: ١ ، مكتبة المنار (الزرقاء- الأردن)، (١٩٨٤م) : (٢٩٨).

٤) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ط(١)، دار الفرقان (عمّان- الأردن)، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م): (٣٠٢).

قال " ابن الأثير " : «وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره ، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه ، لتنكشف لك الفائدة منه » [1].

ويقول " صبّاح دراز " – مبيناً أهمية التكرار وقيمة كل لفظ مكـــرر في الســـياق المعنوي – : « إن المكرر مطلقاً، سواء تداخل مع التأكيد أم انفرد عنه، وسواءً وافقه عند العلماء أم اختلف عنه –التكرار في أغلب مواطنه نازل على مقتضى المقـــام ، ونســـمح لأنفسنا باستعمال التعبيرات المجازية فنقول : حين يحمى الموقف، ويتوتر المقام ، وتتداخل المشاعر المثارة، ويحتد الأسلوب، ويتوهج الانفعال، وينتشر ويترقى الحديث صاعداً عالي النبرة، جهير النغمة؛ ولذا يتكرر التعبير؛ ليتوزع فيه الانفعال بحيث لو حذف المكرر لكان التعبير مبتوراً كصيحة لم تتم ، أو جملة لم تكتمل » [2] .

ويؤكد هذا " فضل حسن عباس " مبيناً أن الفائدة تختلف باختلاف السياق [3].

فبان بهذا كله أن لكل سياق مقتضياته ودواعيه، التي تستلزم صيغةً معينة، وقـــدراً معيناً من الألفاظ التعبيرية .

- وإذا كان النقد يوجه كثيراً نحو الإطالة تحديداً ، فنقول –عطفاً على ما سبق– : إنه يجب التفريق بين ما يسمى بالتطويل وما يسمى" بالإطناب «فالإطنـــاب بلاغـــة.. والتطويل عي .. لأن التطويل بمنـــزلة سلوك ما يَبعُد جهلاً بمـــا يَقْـــرُب .. والإطنـــاب بمنـــزلة سلوك طريق بعيد نَزِهٍ يحوي زيادة فائدة ... والإطناب إذا لم يكن منه بدٌ إيجاز: [أي ما دام لا يتضح المعنى إلا به] وهو في المواعظ خاصة محمود . كمـــا أن الإيجـــاز في الإفهام ممدوح ... وكلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب ... حتى اســـتعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع وجاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير ...» [4] .

---

١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: (١٤٩/٢).

٢) في البلاغة القرآنية "أسرار الفصل والوصل" ، صبّاح عبيد دراز ، ط(١)، مطبعة الأمانة (القاهرة) ، (١٩٨٦م): (١١٢).

٣) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)،د/ فضل حسن عباس ، ط(٣)، دار الفرقان (الأردن) (١٩٩٢م): (٤٨٧ ، ٤٨٨).

٤) الصناعتين : (٢١٠، ٢١٢).

ويقول" العلوي":« ورُبَّ كلام يكون الإطناب فيه أبلغ من الإيجاز ، وتصير البساطة له كالعَلَمِ والطِّراز .. »[1].

ويذكر "أحمد المراغي" أن من دواعي الإطناب (توكيد المعنى وتثبيته في النفس، ودفع اللبس الذي يحتمل وجوده، مع الإيجاز التعظيم والتهويل[2].

ويؤكد هذا ما ذكره " عبد القادر حسن "؛ حيث يقول: «وهكذا فالإطالة لا بد لها من سبب يدعو إليها؛ كأن يكون المقام مقام مدحٍ ، أو ذمٍ ، أو إغلاظٍ ، أو وعيدٍ ، أو غير ذلك مما يتحتم معه الإطالة ، حتى تكون أوقع في النفس ، وأقرب إلى التأثير، وبهذا تصبح الزيادة في عدد الجمل زيادة في بلاغة الكلام وفخامته» [3].

وبناءً على ما تقدم يتضح لنا أن تكرار المعنى مبسوطاً في القرآن بعد ذكره موجزاً ، أو العكس ؛ فيه ما لا يخفى من الفوائد ، فهو- إلى جانب كونه متوافقاً مع أساليب العرب في التعبير- دليل ظاهر من دلائل الإعجاز التي يتميز بها أسلوب القرآن عن غيره من الأساليب .

٤- أما فيما يخص تجاوز المواضع المكررة - التي يعبّر في كلٍّ منها عن معنى واحد – إلى أكثر من ثلاثة مواضع ؛ فذلك راجع إلى كل ما ذُكر آنفاً من أهمية المعنى، ومناسبة السياق ، وغرض الإيراد. هذا بالإضافة إلى التأكيد الذي لا تخلو منه مواضع التكرار المعنوي في القرآن الكريم .

والتأكيد غرض مهم من أغراض التكرار المعنوي ، له أهميته البالغة وفوائدُه الكثيرة؛ ولذا فلا يمكن إغفاله ، أو التقليل من أهميته ؛ لأسباب أهمها:

- أن في التأكيد تثبيتاً للمعنى وترسيخاً له في الذهن ؛ فهو أسلوب ناجعٌ من أساليب التربية .

---

١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: (١٨١/٢).

٢) انظر: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ، أحمد مصطفى المراغي، دار القلم (بيروت)، (د . ت): (١٨٣) .

٣) فن البلاغة، عبد القادر حسن، عالم الكتب، ط(٢)، (١٩٨٤م): (١٨٤).

• أن في التأكيد تمكيناً للمعنى في النفس ؛ فتكون أدعى إلى الالتزام به في باب الأوامر، والانتهاء عنه في باب النواهي ، فهو -كما يقول "العلوي": تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وهو كثير الفوائد؛ ومنها إزالة الشكوك، وإماطة الشبهات ، وأنه دقيق المأخذ [1].

وقد ذكر"القزويني" أن من أسباب التكرار تأكيد الإنذار، أوزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقى الكلام بالقبول ، أو لطول في الكلام، وذكر نكتاً أخرى، ومثل لكل منها بمثال من القرآن [2].

ويقول" فضل حسن عباس ":« واعلم أن التكرار أسلوب من أساليب العربية يؤتى لتأكيد القول وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك » [3] وقد مثل لكثير من هذه الفوائد بآيات من كتاب الله اشتملت على التكرار.

• أن التأكيد قد يكون مقتصراً على المعنى فقط ، وقد يكون معنياً باللفظ والمعنى، فيركز على ألفاظ بعينها في تعبيره عن المعنى الواحد . ومع التكرار يتم استيعاب اللفظ والمعنى معاً .. إلى غير ذلك من الفوائد المتعلقة بالتأكيد .

يقول " العلوي "-مبيناً ذلك ، ورادّاً على من يثير الشبهات حول ظاهرة التكرار في القرآن بعامة- : « وكم من كلام هو عن التحقيق طريد ، حتى يخالطه صفو التأكيد ، فعند ذاك يصير قلادة في الجيد ، وقاعدة للتجويد ، ثم ما يكون متعلقاً بعلوم البيان قد يكون تأكيداً في اللفظ والمعنى، وقد يتعلق بالمعنى دون اللفظ ... ومن أجل ورود التأكيد من جهة اللفظ والمعنى والتكرير في كتاب الله تعالى، ظن بعض من ضاقت حوصلته ، وضعفت بصيرته عن إدراك الحقائق ، والتطلع إلى مآخذ الدقائق أنه خال عن الفائدة ، وأنه لا معنى تحته إلا مجرد التكرير لا غير ، وهذا خطأ وزلل ، فإن كتاب الله -تعالى- لم يبلغ حد الإعجاز في البلاغة والفصاحة سواهُ من بين سائر الكلمات ، ولو كان فيه ما هو

---

١) انظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : (١٧٦/٢).

٢) انظر : شروح التلخيص ، مع هامش الشروح المحتوية على كتابي الإيضاح للقزويني، وحاشية الدسوقي، سعد الدين التفتازاني، أبويعقوب المغربي، وبهاء الدين السبكي، ط(٤)، دار الهادي (بيروت)، (١٩٩٢م): (٢١٨/٣، ٢١٩).

٣) البلاغة فنونها وأفنانها: (٤٨٨).

خال عن الفائدة بالتّكرير لم يكن بالغاً هذه الدّرجة، ولا كان مختصاً بهذه الْمَزِيَّة، وأيضاً فإن سائر الكلمات التي هي دونه في الرتبة قد يوجد فيها التكرير مع اشتمالها على الفائدة، فكيف هو؟!» [1].

ويقول "الزرقاني": «دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية : إنها "مقحمة"، وفي بعض حروفه إنها " زائدة " زيادة معنوية، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة "التأكيد"، فيرمي بها في كل موطن يُظَنُّ فيه الزيادة، لا يبالي أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لا تكون، ولا يبالي أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أولا حاجة له به ...وخذ نفسك بالغوص في طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح ، فإن عمى عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف فإياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون ، ولكن قل قولاً سديداً هو أدنى إلى الأمانة والإنصاف قل: «الله أعلم بأسرار كلامه ، ولا علم لنا إلا بتعليمه» .. » [2].

والممعن النظر في أسلوب القرآن ، يجد فيه من القوة والبيان ما لا يمكن لأحدٍ مجاراته، «فأول ما يتسم به أسلوب القرآن هو الفخامة والقوة والجلال، يكتسبها من انتقاء ألفاظ، لا امتهان فيها ولا ابتذال، ومن استخدام ألوان التوكيد والتكرير. تشعر بهذه الفخامة في كل ما تناوله القرآن من أغراض... »[3].

وهكذا يتضح أن التكرار المعنوي في القرآن الكريم لم يأت اعتباطاً ؛ إنما جاء لهدف مقصود ، وغايات عظمى .

وإذا كان هذا هو شأن بلاغة التأكيد ، وهذه هي مكانته في أسلوب التكرار المعنوي في القرآن فإن ذلك-على جلالة قدره- لا يعني أنه أبلغ ما في هذا الأسلوب، فهناك شحنة من المعاني الكامنة وراء التأكيد أو إلى جانبه ستظل مناطاً لتأمل العقل البشري في النظم القرآني الذي سما إلى مرتبة الإعجاز .. بل إن هناك من فوائد التكرار الأخرى ما قد

---

١) انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: (١٧٦/٢ - ١٨١).

٢) انظر: مناهل العرفان: (٣٢٦/٢).

٣) من بلاغة القرآن ، د. أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر، (٢٠٠٤م): (١٨٦).

يكون أبلغ من التأكيد، فضلاً عن أسلوب التكرار نفسه، الذي هو من محاسن الفصاحة وعيون البلاغة . وما التأكيد إلا فائدة من فوائده .

وقد ذكر غير واحد فوائد أخرى كثيرة للتكرار في القرآن عموماً – ومن ضمن ذلك التكرار المعنوي–، ومن أهم هذه الفوائد على سبيل الإجمال والخلاصة [١]:

- التقرير: لأن الكلام إذا تكرّر تقرر [٢].
- التطرية والتجديد: عندما يطول الكلام ويخشى تناسي الأول .
- التفخيم والتعظيم والتهويل- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة: ليكمل تلقي الكلام بالقبول .
- تعدد المتعلّق ؛ بحسب المعنى والسياق..، فقد يكون الغرض منه تحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء الشكر، إلى ما يكون من هذا الباب .
- توكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتبيت الحجة. ونحوها.. [٣]
- التناسق العجيب بين الألفاظ المعبرة عن المعنى بدقة ، مع وجود تغاير في الألفاظ والتراكيب المعبرة عن هذا المعنى في كل موضع[٤]، ولكنه لا يفسد هذا التناسق ، كما أن إبراز المعنى الواحد بصور مختلفة وأساليب متباينة مدعاة للمتابعة ، وعدم الملل [٥] ؛ فهو يبعث على التشويق ودوام الانتباه والتركيز ، بواسطة ما يحويه من تنويع وتجديد .
- بروز ظاهرة التقديم والتأخير والحذف؛ وفقاً لمقتضيات المعاني .
- الروع والتخويف، وحسم الأطماع، ومغايرة المعنى.. إلى غير ذلك من المعاني المتعددة الناشئة عن التكرار في القرآن الكريم . وهذه هي سمة التراكيب القرآنية التي لا

---

١) انظر ذلك بالتفصيل في: الإتقان : (١٨٥/٢ ، ١٨٦) . ومعترك الأقران : (٣٤١/١ ،٣٤٢) . علم المعاني وأساليبه البلاغية ، طاهر عبد الرحمن قحطان ، ط (١)، مكتبة الإرشاد (صنعاء) (١٩٩٤م): (١٦٣ ، ١٦٤).

٢) انظر: معترك الأقران: (٣٤١).

٣) انظر: تاريخ آداب العرب للرافعي: (١٩٣/٢).

٤) انظر: النظم القرآني في سورة الرعد ، محمد بن سعد الدبل ، عالم الكتب (مصر) (د . ت) : (١٨١).

٥) انظر: دراسات في علوم القرآن، د. محمد سالم عبيدات ، ط: ١ ، دار عمار (عمّان- الأردن)(١٤١١هـ- ١٩٩٠م) : (٢٣٥).

يصل إلى قرار معانيها باحث، ولا يحيط بحكمها بشر مهما أوتي من ذلاقة اللسان ، ورقة البيان، وعمق الفهم .

وهناك فوائد أخرى جليلة وعظيمة ، تتعلق بالجوانب الدعوية والتربوية، ومن أهمها:

- تنويع الأساليب حسب المقام .
- تأكيد المبادئ والثوابت التي لا تقبل المساومة .
- التركيز على مواضيع بعينها، وتكرار طَرْقها نظراً لأهميتها؛ وذلك كقضية التوحيد، والشكر، والاتعاظ، وجوانب الوعد والوعيد.. وغيرها من الجوانب الإيمانية والعقدية، التي تشكل قضايا مصيرية في حياة الناس، والتي تنتفي بانتفاء وجودها أهمية الحياة لدى الإنسان. «ولا شبهة على أحد في تعاظم النفع بتكرير الزجر والوعظ، وعظيم موقعه في النفس، وتوفيقه للقلب ، والتثبيت على طاعة الله، والاذّكار لجنته وناره» [1].

ويذكر " الدكتور/ فضل حسن عباس"-نقلاً عن "الرماني" في معرض رده لشبهات الطاعنين في التكرار القرآني ، مضمناً ذلك حديثه عن فوائد التكرار-:«وأمّا ما عابه من التكرار فإن تكرار الكلام على ضربين:

أحدهما مذموم: وهو ما كان مستغنىً عنه ، غير مستفادٍ به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول ؛ لأنه حينئذٍ يكون فضلاً من القول، ولغواً . وليس في القرآن شيءٌ من هذا النوع .

والضرب الآخَر: ما كان بخلاف هذه الصفة؛ فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه، مثل تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار ، وإنما يُحتاج إليه ويحسُن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ، ويُخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها » [2] ؛ وذلك كله وصولاً إلى تثبيت تلك الأمور المهمة، والمبادئ العظيمة والثوابت الجليلة في النفوس، وتمكينها من التوطن في القلوب والعقول لدى الدعاة والمربين، بل لدى كل من يسمع آيات الله تتلى عليه فلا

---

١) الانتصار للقرآن: (٨٠١).

٢) قصص القرآن الكريم : (٥٩).

يستطيع أن يُصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها؛ لأنها تقرع أذنه مرة بعد أخرى، فلابد أن تصل إليه يوماً ما، أو في لحظة ما، فلا يستطيع تغافلها، فضلاً عن ردّها أو تجاهلها.. ولذلك يجد الداعية المؤمن في هذا الأسلوب دروساً عظيمة، وحكماً بالغة تعينه في دعوته إلى ربّه.

إننا لو حاولنا استقصاء فوائد التكرار في القرآن الكريم ؛ لعجزت صفحات هـذا البحث المحدودة أن تستوعب ذلك ؛ لأن الكلام إن استُقصيَ في هذا الأمر بعيد الأطراف، واسع الأكناف؛ لعلو شأنه ، وشريف مكانه ، وإنما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل؛ لأن كتاب الله لا تفنى عجائبه، ولا تحدّ فوائده ، ولا تنتهي حكمه .

يقول "الزرقاني": « إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقل ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني. أجل: تلك ظاهرة بارزة فيه كله . يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز ، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب . ولذلك نسميه إيجازاً كله، لأننا نراه في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصة، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما. ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلي بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها، فليس فيه كلمةٌ إلا هي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرفٌ إلا جاء لمعنى» [1].

«وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرّر، وتوكيده، وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثل، وللاعتقاد أبين، وثانيتهما من الناحية الأدبية: فإن دور التكرار فيها متعدد، وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني، وإبرازها في معرض الوضوح والبيان»[2].

فانظر إلى أي درجة من درجات الإعجاز في حسن الأداء، وقوة البيان، واتساع الدلالات وغيرها – يصل هذا الأسلوب القرآني الفريد، فهو أعظم وأقوى من أن تقف أمامه شبهة من تلك الشبهات الضعيفة الواهية .

---

١) مناهل العرفان في علوم القرآن: (٢/٣٢٦).

٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: (١/٣٢٢).

٥- أما ما يتعلق بفوائد التكرار القصصي في القرآن الكريم، فهي كثيرة جداً، نحاول الأخذ بأطرافها فيما يأتي:

فوائد تكرار القصص القرآني :

لقد كان القصص القرآني ميداناً واسعاً للبحث والدراسة من قبل العلماء قديماً وحديثاً، خاصة ما يتعلق بتكراره في أكثر من موطن في القرآن الكريم، وبأساليب مختلفةٍ في الغالب الأعم . فالجانب القصصي هو أبرز جوانب التكرار المعنوي في القرآن الكريم على الإطلاق .

ومن المعلوم أن القرآن يشتمل على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة من التقديم والتأخير،والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. لحكمٍ وفوائد عديدة؛ من أهمها:

- الدلالة على صحة نبوة محمد ﷺ ، وصدق رسالته ؛ كونه أخبر عن هذا القصص الذي لم يكن معلوماً عند العرب من قبل ، هذا بالإضافة إلى كون رسول الله ﷺ لم يكن متعلماً ، بل كان أمياً ، ونظم القرآن قد أعجز دهاقنة البيان وأرباب الفصاحة ، ممن بلغوا في العلم بلغة العرب والتمكن من أساليبها وامتلاك نواصي القول فيها- مبلغاً عظيماً -ناهيك عن غيرهم من الإنس والجنّ- فكان ذلك أبلغ في الإعجاز ، وآكد على أنه لا يمكن إلا بالوحي .

يقول "الباقلاني" : « الذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا محمد ﷺ بنيت على هذه المعجزة ... فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة ، عمت الثقلين ، وبقيت بقاء العصرين ، ولزم بها الحجة من أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد»[١].

- تسلية قلب النبي ﷺ مما اتفق للأنبياء قبله ، وما حصل لهم من أذى من أقوامهم ؛ فكذلك هو ، فلا يبتئس[٢]. قال"الفخر الرازي": « والله – تعالى – إنما أنزل القرآن على رسوله في ثلاثٍ وعشرين سنة، حالاً بعد حال. وقد علم من حاله أنه كان يضيق

---

١) إعجاز القرآن ، أبو بكر بن محمد الباقلاني ، تقديم وشرح : محمد شريف سُكّر ، ط(١)، دار إحياء العلوم (بيروت)، (١٩٨٨م): (٢٧، ٢٨).

٢) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: (٣/٣٠).

صدره لما ينالُهُ من الكفار ، وكان تعالى يسليه بما ينـــزل عليه من أقاصيص من تَقَدَّمَ من الأنبياء ، ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح »[1] .

ثم إن تكرار هذا القصص يشيع-بعد ذلك- روح التثبيت للنبي ﷺ وللمؤمنين.

• التخويف للناس بتكرار الحديث عما أصاب الأمم السابقة؛ لأخذ العظة والعبرة ، مصداقاً لقوله-تعالى-: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2][3] . قال "السيوطي"-منبهاً إلى ما يشيعه تكرار القصص القرآني من دلالات التخويف-:« وقد نبه تعالى عن السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[4]»[5] .

وقال "ابن قتيبة": « وأما تكرار الأنباء والقصص فإن اللهﷻ أنزل القرآن نجوماً في ثلاثٍ وعشرين سنة، بفرض بعد فرض؛ تيسيراً منه على العباد ، وتدريجاً لهم إلى كمـــال دينه ، ووعظٍ بعد وعظٍ ؛ تنبيهاً لهم من سِنَةِ الغفلة ، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد الموعظة ... يقول ﷻ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[6] ... وكان رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة ؛ مخافة السآمة عليهم ، أي: يتعهدهم بها عند الغفلة ، ودثور القلوب»[7] .

لقد جاء الاهتمام بشأن القصة، وإيرادها أكثر من مرة؛ « لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام. كما هو الحال في قصـــة موســـى مـــع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل-مع أن القصة لا تتكرر في الســـورة الواحدة مهما كثر تكرارها»[8].

---

١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: (٣٨٨).

٢) هود: (١٢٠).

٣) انظر: الانتصار للقرآن : (٨٠١).

٤) طه: (١١٣).

٥) الإتقان في علوم القرآن: (١٨٥).

٦) الفرقان: (٣٢).

٧) تأويل مشكل القرآن: (٢٣٣).

٨) مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ط(١٩)، مؤسسة الرسالة (بيروت)(١٤٠٦ه – ١٩٨٣م): (٣٠٧،٣٠٨).

• لئلا تقول قريش وغيرها من مكذبي العرب ومعانديهم للنبي ﷺ كيف تتحدانا أن نأتي بمثل هذا الكلام الذي حُكيت به قصة نوح وموسى وإبراهيم ، وليس له لفظٌ يحكى إلا اللفظ الذي بدأت به، وسعيت إليه ؛ «فأراد الله تعالى حسم أطماع العرب في التعلق بذلك ؛ فكرر القصة الواحدة ، والقصص المتماثلة ، والمعنى الواحد بألفاظ مختلفة من بحرٍ واحد، وعلى وزن واحد هو وزن القرآن الخارج عن جميع النظوم والأوزان ؛ ليعلمهم اقتداره ، وعظم البلاغة في كلامه، ويعرفهم عجزهم عن ذلك ، ويقطع به شغَبهم وشبههم، وهذا من جيد ما يعتمد عليه في فوائد التكرار »[1]؛ لأن هذا يقطع دابر المكذبين والمعاندين في أي زمان من الأزمنة .

وأوضح "الإمام الزركشي" ذلك بقوله": « ويكثر (المتشابه) في إيراد القصص والأنباء ، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طُرقِ ذلك: مبتدئاً به ومتكرّراً»[2].

وقال في موطن آخر: «إن الله-تعالى- أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد ﷺ ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع ؛ إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بأي نظمٍ جاءوا، وبأي عبارةٍ عبّروا»[3]. وذهب إلى هذا القول"ابن فارس" [4].

• لو لم تكن الأنباء والقصص مكررة ؛ لوقعت قصة موسى إلى قوم ، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم ؛ ذلك أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله ﷺ ، فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن ، فيكون ذلك كافياً لهم « فأراد الله -بلطفه ورحمته- أن يشهر هذا القصص في أطراف الأرض ، ويلقيها في كل سمع ، ويثبتها في كل قلب ، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير » [5] .

---

١) الانتصار للقرآن : (٨٠١).

٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي : (١٤٦/١).

٣) البرهان في علوم القرآن : (٣٠/٣).

٤) انظر: فقه اللغة ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ت: د.جمال طلبة، ط(١)، دار الكتب العلمية(بيروت)،(١٤١٤هـ-١٩٩٤م) : (١٧٨).

٥) تأويل مشكل القرآن : (٢٣٤).

• في التكرار القصصي تنوع فريد في طرائق العرض للقصة الواحدة ، وتنوع طرق المفاجأة التي ترسمها الصور القصصية المتعددة للقصة الواحدة ، وفي هذا من الإعجاز ما لا يمكن إدراكه..[١]. ويذكر "محمد قطب" أن الظاهرة الحقيقية للتكرار في القرآن هي التنويع وليست التكرار بالمعنى المفهوم من اللفظ[٢] . وهذا مظهر مهم من مظاهر إعجاز القرآن وبلاغته .

• اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ؛ فتذكر بعض معانيها المناسبة للغرض في مقام ، ويضاف إليها أو يُنقص منها في مقام آخر ؛ حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[٣]. «ومن أجل فإن القرآن الكريم لا يلتزم ذكر القصة وفقاً لتسلسلها التاريخي »[٤] . فالمتأمل للقصص القرآني يجد أن القصة في القرآن لم تسرد كل حوادث القصة ووقائعها سرداً تاريخياً، تبعاً لسلسلة الوقائع والأحداث وإنما تقتصر من حوادث القصة على ما يتعلق به الغرض الذي جيء بها من أجله .

« ففي كثير من الأحيان ترد القصة القرآنية مكررة في مواضع متعددة، ومواقف مختلفة . وهذا التكرار لا يتناول القصة دفعة واحدة-في أغلب الأحيان-وإنما هو يورد بعض حلقاتها . ومعظم التكرار إشارات سريعة إلى موضع العبرة والعظة، أما جسم القصة ذاتها فلا يكرر إلا نادراً»[٥] .

يقول"الدكتور/ فضل حسن عباس":« إن كل قصة قرآنية مجملة أم مفصلة ، قصيرة أم غير قصيرة ، جاءت تفي بالغرض الذي سيقت من أجله؛ فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيءٍ من النقص ؛ بل ربما يذكر في القصة القصيرة ما لا يذكر في غيرها »[٦] .

---

١) انظر ذلك بالتفصيل في: الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، د. صلاح الدين عبد التواب ، ط: ١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان(القاهرة) (١٩٩٥م): (٩١-٩٧).

٢) انظر: دراسات قرآنية : (٢٥٣-٢٥٥).

٣) انظر: مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان: (٣٠٧،٣٠٨).

٤) دراسات في علوم القرآن، د. محمد سالم عبيدات: (٢٣٥).

٥) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن): (٢١٦).

٦) قصص القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس : (٦٧).

• وجود إضافات جديدة تضيء جوانب دقيقةً من المعنى الدلالي العام ،لم تذكر من قبل ، وذلك في كل موضع يتكرر من قصة ما، فكلما تأملنا النصوص القصصية المكررة التي نقرؤها« يبدو أننا إنما نقرأ في كل مرة خبراً جديداً، يشوقنا أمره ، وتفجؤنا أحداثه»[1] ؛ فلا تشعر النفس بأي نوع من أنواع الجمود والرتابة –حتى لكأنها ترى في كل موضع معنى جديداً البتة – بل تشعر بحاجتها الماسّة إلى أن يعرض عليها هذا الخبر من كل تلك الجوانب، وبكل تلك الأساليب .

• يقوم التكرار القصصي بوظيفة العرض التكاملي ، الذي يستخدم الزوايا المتعددة في التصوير ؛ مما يثري الحدث ، ويعمق فهمه وتأثيراته[2]. وما كان ذلك ليحصل ؛لولا هذا التكرار. فإذا ما جمعت كل تلك المعاني الموزعة على جميع مواضع القصة الواحدة، اتضحت لك الرؤية الكلية للقصة من جميع جوانبها .

إننا نجد أن القرآن يعرض القصة بكل حقائقها في تكامل ووضوح «يعرض الحقيقة– كما هي في عالم الواقع — في الأسلوب الذي يكشف كل زواياها ، وكل جوانبها ، وكل ارتباطاتها ، وكل مقتضياتها »[3]. وهذا أسلوب فريد من نوعه، جمع بين الاستقلالية والوضوح في المعنى الجزئي ، والتكامل مع المعنى الكلي ، بدرجات متناهية من الدقة والنظام في الأسلوب والدلالة معاً.

وهذا التكامل يؤكد على أن القرآن وحدة موضوعية واحدة في سوره وقصصه ، التي ذكرت بضروب شتى، ليعلموا عجزهم عن جميع طرق ذلك[4].

• بيان الأهمية الكبرى للموضوع الذي يتكرر في القصة باستمرار؛كموضوع التوحيد الحاضر بقوة في كل القصص القرآني ، والصراع بين الحق والباطل ، المتمثل في قصة موسى مع فرعون ، وما شابه ذلك .

---

١) المشاهد في القرآن الكريم (دراسة تحليلية وصفية): (٢٩٧).

٢) أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد: (٦٤).

٣) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب: (٣٠٢).

٤) مناهج في تحليل النظم القرآني: (٧٦).

• التأكيد على أن دعوة الأنبياء والرسل واحدة « والذي يتتبع القصص القرآني ؛ يجد أن أحداثه كلها- تقريباً- تدور في محيط الدعوة إلى الله، وإلى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها إلى عبادة الإله الواحد، الخالق، رب العالمين» [1].
التوحيد هو أهم أمر في دعوات الأنبياء والرسل أجمعين، قال تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2]. فالقصص القرآني جاء ليعمق العقيدة في النفوس، ويبصر بها العقول ، ويحيي بها القلوب ، ويسلك لتلك القضية المهمة أحسن الطرق إمتاعاً وإقناعاً؛ إمتاعاً للعاطفة ، وإقناعاً للعقل ، وذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع، منتزعاً من النفس تارة ، ومن الآفاق تارة، وتسلك -لذلك كله- الترغيب تارة والترهيب أخرى.

• إن في إلباس القصة الواحدة أثواباً من فنون القول، وحللاً من أساليب التعبير ما لا يخفى من دلائل الإعجاز التي لا يُقادَر قدرُها، ولا يُبْلَغُ مداها ؛ ولذلك قال " الزركشي"- في بيان فوائد التكرار القصصي- : «ومنها [من فوائد التكرار القصصي] ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد؛ وقد كان المشركون في عصر النبي ﷺ يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النظم وفنونه ، وبيان وجوه التأليف ؛ فعرّفهم الله —سبحانه- أن الأمر بما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا يلحقه نهاية ، ولا يقع على كلامه عدد »[3]؛ لقوله -تعالى-: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[4] ، ولقوله — عز وجل- :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[5].

---

١) القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه): (٤٥،٤٦).
٢) الأنبياء: (٢٥) .
٣) البرهان في علوم القرآن: (٣/٣٢).
٤) الكهف: (١٠٩).
٥) لقمان: (٢٧).

• إن الدواعي لا تتوافر على نقل القصص كتوافرها على نقل الأحكام ؛ فلهذا كُرّر القصص دون الأحكام [1].

• « إنه لّما سَخِر العرب بالقرآن، تحداهم المولى ﷻ بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[2]، وقال في موضع آخر : ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾[3].

فلو ذكر قصة آدم مثلاً في موضع واحد ،واكتفى بها لقال العربي: " بما قال الله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ ، إيتونا أنتم بسورة من مثله» ؛ فأنزلها سبحانه في تعداد السور ؛ دفعاً لحجتهم من كل وجه"[4].

• إذا كنا قد بينا أن من فوائد التكرار القصصي- وهي من فوائد التكرار عموماً- وجودَ إضافاتٍ جديدة فيما يختص بالمعاني الدقيقة في كل موضع ، ثم ما يقوم به التكرار القصصي من وظيفة العرض التكاملي بين أجزاء المعنى الموزعة على المواضع المتعددة — فهناك إضافاتٌ وتجديداتٌ من نوعٍ آخر، لا تقل أهمية عن سابقتها ، تتمثل في التجديد الحاصل في أساليب الأداء اللغوي ، والبراعة في التصوير والتجسيم للمعاني الدقيقة ، فتتعدد هذه الأساليب وتتنوع بتعدد المواضع ، وتنوع المعاني ، وعلى الرغم من ذلك كله نجد« أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يُوقع في اللفظ هُجْنةً ، ولا أحدث مللاً ؛ فباين بذلك كلام المخلوقين»[5].

• ثم إنه ألبس الألفاظ في كل المواضع المتكررة- إلا ما ندر جداً "والنادر لا حكم له"- زيادة ونقصاناً، وتقديماً وتأخيراً.. إلى ما هنالك من المغايرات الأسلوبية الفريدة ، والموضوعة بحكمة اللطيف الخبير ؛ لتتناسب بدقة بلغت درجة الإعجاز مع ما وردت فيه من سياق ، وما وُضِع لها من معنى ، أُريد التعبير بها عنه ؛ «ليخرج بذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعيانها، فتكون شيئاً معاداً ؛ فنزهه عن ذلك بهذه التغييرات » [6].

---

١) انظر: البرهان في علوم القرآن : (٣٠).

٢) البقرة: (٢٣).

٣) هود: (١٣).

٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (٣/٣١).

٥) المرجع السابق: (٣/٣١).

٦) المرجع السابق: (٣/٣١).

• ومن الفوائد التي ذكرها" الزركشي" للتكرار المعنوي في القصص القرآني – إضافة إلى ما سبق- :« أن المعاني التي اشتملت عليها القصةُ الواحدة من هذا القصص صارت متفرقة في تارات التكرير ؛ فيجد البليغ-لما فيها من التغيير- ميلاً إلى سماعها ؛ لما جُبِلت عليه النفوس من حُبّ التنقل في الأشياء المتجددة، التي لكلٍ منها حصةٌ من الالتذاذ به مستأنفة» [1]. فلو جمعت في موضع واحد ؛ لأشبهت ما وُجد الأمر عليه في الكتب المتقدمة.

كما أن تكرار القصة الواحدة بهذه الصورة الموزعة والمتجددة هو ديدن الفصحاء والبلغاء ؛ يقول "الإمام الفخر الرازي" في الفصل الخاص بـ"بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل" -: «اعلم أن عادة الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواضع مختلفة لأغراض مختلفة ، تتجدد في المواضع . وذلك من الفضائل لا من المعايب. وإنما يعاب التّكرار إذا كان في الموضع الواحد... وأيضاً فـلأنَّ ظهور الفصاحة ومزيّتها في القصة الواحدة إذا أعيدت أبلغ منها في القصص المتغايرة . فهذا هو الفائدة فيما تكرر في كتاب الله من قصّة "موسى وفرعون" وسائر الأنبياء » [2] .

• كما أن اختلاف جو السورة يلقي بظلاله على صور الأداء المعبر عن القصة الواردة فيها فالممعن النظر يدرك أن الأظهر في أغلب مواضع التكرار المعنوي في القصص القرآني هو الاختلاف ؛ وذلك تبعاً لاختلاف جو السورة التي ترد فيها القصة ، ومراعاة لمقتضى الحال والمقام، ومن ثم يكون لكل أسلوب ملامح خاصة في كل مرة، وهو في الحقيقة مظهر إعجازي، حيث إن المعنى الأصل واحد، وتحدث بتكراره زيادات ومعان ثانية لا تزيده إلا حلاوة وطلاوة . على خلاف ما عُهد في بلاغة الناس .. وسنتناول هذا وغيره على نحو من التفصيل في مبحث التكرار الخاص بالقصص القرآني-إن شاء الله_ .

• أما فيما يختص بعدم تكرار قصة يوسف؛ فذلك راجع إلى وجوهٍ كثيرة.. نجمل أهمها فيما يأتي:

١. لما فيها من الإغضاء والستر عن تشبيب النسوة، وافتتانهن به.

---

١) السابق: (٣/٣١).

٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : (٣٨٨).

٢. أنها اختصت بحصول الفَرَج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص.

٣. إشارة إلى عجز العرب؛ كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي تصدير القرآن على الفصاحة، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلتُ في قصص سائر الأنبياء [١].

وبلاغة القرآن في أساليبه عامة مشهود لها من قبل أعداء الدعوةِ قديماً والمستشرقين حديثاً -فضلاً عن المسلمين- وشهادات هؤلاء معلومة بينة لا تحتاج إلى إثبات هنا ؛ فهي أشهر من أن تذكر، وأوضح من أن تنسب.. [٢].

يقول "فتحي فريد": «وجاء المعاصرون فأكدوا ما أكده السابقون من أن التكرار في قصص القرآن وآياته من محاسنه، ومن أبرز وجوه البلاغة فيه، و لم يكن ميداناً للطعن ومجالاً للافتراء كما يزعم المغرضون، ويفتري الحاقدون» [٣].

ذلك هو جانب التكرار المعنوي في القرآن الكريم، فليأت بلغاء الدنيا وفصحاؤها بمثله، وليرنا الطاعنون أين موضع العيب فيما جاء من القرآن مكرراً ؟! وإلا فكفى لغواً..

فإن كانوا ضالِّين قلنا لهم :

وإذاَ لَمْ تَرَ الْهِلاَلَ فَسَلِّمْ لأُنَاسٍ رَأَوْهُ بالأَبْصَارِ

وبعد هذا كله – فإن ما سطرناه في هذا المبحث من بيان لفوائد التكرار المعنوي في القرآن -وإن كان موجزاً- وما أمليناه فيه –وإن كان خفيفاً- فإنه ينبه على الطريق، ويدل على الوجه، ويهدي إلى الجهة . ومتى عظُم الأمرُ، فقد يكون الإسهاب فيه عيّاً، والإكثار في وصفه تقصيراً .

---

١) انظر:البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي: (٣٣/٣).

٢) انظر: الإسلام يتحدى ، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، ط(١٠)، مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٩٩٣م : (١٥٢،١٥٣) . وانظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ، محمد متولي الشعراوي ، دار العودة (بيروت)، طبعة عام ١٩٨٨م .

٣) بلاغة القرآن في أدب الرافعي: (١١٣).

الباب الثاني

الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في القرآن الكريم

(الإطار التحليلي)

الفصل الأول

الخصائص الأسلوبية والدلالية

للتكرار المعنوي

فى الجانب العقدي

إن المعاني العقدية هي أكثر المعاني تكراراً في القران الكريم بلا منازع؛ حيث إن الموضوع الذي تتمحور حوله سور القرآن في مجملها هو موضوع العقيدة، لا فرق في ذلك بين السور المكية والمدنية. فالقرآن الكريم-بوصفه الدستور الإلهي للعالمين- قد حوى كل ما من شأنه صلاح أحوال العباد الدينية والدنيوية، وربَطَها جميعاً بموضوع العقيدة.

والإسلام في أساسه جملةٌ من المعتقدات التي تدور حول مبدأ التوحيد؛ ولذلك «نستطيع أن نقول : في الحقيقة أن العقيدة هي الموضوع الرئيس في القرآن كله مكيه ومدنيه على السواء، ولكنها في السور المكية تستغرق المساحة كلها، وتستوعب الحديث كله» [1]، في حين هي في السور المدنية بمثابة المبادئ الأساسية التي تقوم عليها التشريعات والتنظيمات الاجتماعية، والمرجعية الوحيدة التي تستمد منها روحَها وديمومتها.

ولذلك رأينا أن أغلب مساحة السور المدنية قد اختصت ببيان التشريعات والأحكام، دونما إغفال أو انفصال عن موضوع العقيدة بمختلف معانيه؛ وما ذاك إلا للأهمية الخاصة للجانب العقدي في حياة المسلم؛ إذ ينبني على هذا الجانب بقية الجوانب الأخرى.

ومن هنا كان لا بد من أن تبدأ الدعوة بترسيخ المعاني العقدية في النفوس المؤمنة، وهو ما حصل بالفعل في العهد المكي؛ فقد مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة؛ يثبت هذا المبدأ في نفوس أتباعه، حتى تشبّعت بها. فاستطاعوا -بعد ذلك- أن يحملوا عبء الدعوة وتبعاتها.

وإذا كان هذا البحث يُعنى بالتحليل الأسلوبي والدلالي لأبرز المعاني التي تكررت في القرآن الكريم من خلال أظهر مواضعها، فإننا سنتناول في هذا الفصل اثنين من أهم المعاني العقدية التي كثر دورانها في القرآن الكريم وهما:

١-الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى.

٢-آيات الوعيد.

وذلك من خلال المبحثين الآتيين:

---

١) دراسات قرآنية: (٢٢).

المبحث الأول

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي

في الآيات الدالة على وحدانية الله ﷻ

في الآيات الدالة على وحدانية الله

إذا كان المعنى الرئيس الذي تدور حوله معاني القرآن الكريم وتتشعب كلها منه هو المعنى العقدي الذي يقوم على أساس توحيد الله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته..فقد ركز القرآن على كلمة التوحيد(لا إله إلا الله)، التي هي أساس العقيدة ومفتاح الإسلام، حيث ذكَرها في مواطن كثيرة، وذلك في مناسبات سياقية متعددة وبصياغات أسلوبية متنوعة حملت في ثناياها دلالات فريدة، ارتبطت معنوياً بكثير من المعاني العقدية الأخرى.

ونظراً لما تمثله كلمة التوحيد من أهمية بالغة في العقيدة؛ فقد ذُكرت في القرآن الكريم بمختلف صياغاتها التعبيرية المحتملة:

وقد تتبع الباحث ذلك فوجد الآتي:

١- «لَا إِلَهَ إِلَّا الله» تكررت مرتين [١].

٢- «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» تكررت تسعاً وعشرين مرة [٢] (وللعلم فقد احتسبت الآية:(١٨) من سورة آل عمران موضعاً واحداً مع أنه قد تكرر فيها (لا إله إلا هو) مرتين).

٣- «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» تكررت ثلاث مرات [٣].

٤- «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنت» ذكرت مرة واحدة [٤].

---

١) انظر: (الصافات : (٣٥) ، محمد : (١٩).

٢) انظر(البقرة:(١٦٣،٢٥٥) ، آل عمران:(٢،٦،١٨) ، النساء:(٨٧) ، الأنعام:(١٠٢، ١٠٦) ، الأعراف:(١٥٨) ، التوبة:(٣١،١٢٩) ، هود:(١٤) ، الرعد:(٣٠)، طه :(٨ ، ٩٨) ، المؤمنون:(١١٦) ، النمل:(٢٦) ، القصص:(٧٠، ، ٨٨) ، فاطر:(٣) ، الزمر:(٦) ، غافر:(٣ ، ٦٢ ، ٦٥) ، الدخان:(٨) ، الحشر:(٢٢، ٢٣) ، التغابن:(١٣) ، المزمل:(٩).

٣) انظر: (النحل:٢ ، طه: ١٤ ، الأنبياء : ٢٥).

٤) انظر: الأنبياء : (٨٧).

فهذا معنى واحد تكرر في القرآن خمساً وثلاثين مرة بهذه الصيغ، وقد كان نصيب السور المكية منها ثلاثةً وعشرين موضعاً؛ في حين حوت السور المدنية اثني عشر موضعاً فقط.فيا ترى ما الذي يحمله هذا التكرار من تجليات أسلوبية ودلالية؟!.

واتّباعا لمنهج البحث سنقوم باختيار موضع واحد لكل صيغة متكررة بالإضافة إلى الصيغة الرابعة التي لم ترد إلا مرة واحدة؛ وذلك على النحو الآتي:

١- قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) ﴾ [١].

٢- وقال تعالى مخبراً عن يونس عليه السلام : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [٢].

٣- وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [٣].

٤- وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾ [٤].

وتحليل ذلك يتمثل في الآتي:

من المعلوم أن الضمائر ثلاثة أقسام: متكلم ، ومخاطب ، غائب ، وهي تتفاوت من حيث قوة التعريف فـ «أعرَفُ الأقسام الثلاثة قولنا:"أنا"؛ لأن اللفظ لفظ يشير به كل أحد إلى نفسه ، وأوسط هذه الأقسام قولنا:"أنت"؛ لأن هذا خطاب للغير بشرط كونه حاضراً ؛ فلأجل كونه خطاباً للغير يكون دون قوله:"أنا"، ولأجل أن الشرط فيه كون ذلك المخاطب حاضراً يكون أعلا من قوله:"هو" فثبت أن أعلا الأقسام هو قوله:"أنا" ،

---

١) النحل: (٢).

٢) الأنبياء: (٨٧).

٣) محمد: (١٩).

٤) آل عمران: (١٨).

وأوسطها "أنت"، وأدناها "هو" وكلمة التوحيد وردت بكل واحدة من هذه الألفاظ»[1]. كما أنها وردت بالاسم الظاهر أيضاً. فلم يبق أي احتمال من احتمالات ورودها بـــه إلا وجاءت بصيغته.

وليس هذا من باب الصدفة، أو لمجرد استيفاء كل الوجوه المحتملة لورودها فحسب، وإنما لغايات ومقاصد عظيمة، سنبين ما بدا لنا منها فيما بعد.. فمما لا شكّ فيه« أنّ كل مفردةٍ[في القرآن] وُضِعَتْ وضعاً فنياً مقصوداً في مكانها المناسب. وأن الحذف من المفردة مقصود، كما أن الذكر مقصود، كما أن الأصل مقصود. وكل تغيير في المفردة أو إقـــرار على الأصل مقصود له غرضه »[2].

وهذا كله يؤكد الأهمية البالغة التي تمثلها كلمة التوحيد ، كما أنه يقرر معنى هذه الكلمة في النفوس لتسعى إلى تطبيق ما يترتب عليها من تبعات في واقع الحياة.

وقد حمل كل موضع من المواضع المذكورة خصائص ودلالات نبينها فما يأتي:

١- قوله تعالى -في سورة النحل-: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ(٢)﴾[3].

لقد جاءت هذه الآية عقب تنـــزيه الله —سبحانه وتعالى- نفسه عن الشـــريك في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(١)﴾[4]. فقد تبرأ عز وجل من أن يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء ، أو من إشـــراكهم؛ «لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب. وذلك من الشرك »[5]. فقال بعـــد ذلـــك: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ. .﴾ الآية.

---

١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب..) ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط:١ ، دار الكتب العلمية(بيروت) (١٤٢١هـــ): (١٢٣/١).

٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د.فاضل صالح السامرائي ، ط (٢) ، دار عمار(عمّان-الأردن)، (١٤٢٢هـــ-٢٠٠١م) : (٦).

٣) النحل: ٢.

٤) النحل:١.

٥) الكشاف: (٥٥٤/٢).

وسور النحل كسائر السور المكية، تعالج موضوعات العقيدة الكبرى، وعلى رأسها وحدانية الله ﷻ في ألوهيته، وإلى جانب ذلك تتحدث عن دلائل القدرة والوحدانية في ذلك العالم الفسيح»[1]؛ فيبدو سياق السورة من البداية وكأنه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير، واستجاشة العقل والضمير، «حملة هادئة الإيقاع، متعددة الأوتار... تخاطب كل حاسة، وكل جارحة في الكيان البشري... وتحشد الكون كله... كما تحشد دنياه وآخرته، وأسراره وغيوبه..كلها أدوات توقع بها على أوتار الحواس والجوارح والعقول والقلوب.. »[2].

فأخبر تعالى أن الوحي الذي تنـــزل به الملائكة هو من عند الله على من يشاء مـــن عباده الذين اختصهم الله بصفات تؤهلهم لذلك . فسمى الوحي الذي من جملته القـــرآن روحاً على سبيل الاستعارة ؛«فأنه يحي القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد»[3]. فالتعبير بالروح يشمل كل المعاني التي من شأنها أن تحيـــي روح العقيـــدة، وتبعث الحياة في النفوس.

وقوله: ؛«أن أنذروا » في موضع جر على البدل من الروح ، والتقدير : ينـــــزل الملائكة بأن أنذروا أهل الكفر والمعاصي ، أي: حذروهم بأنه «لا إله إلا أنا فاتقون »[4]. ويفرد الإنذار ، فيجعله فحوى الوحي والرسالة؛ لأن معظم سياق السورة يـــدور حـــول المكذبين والمشركين والجاحدين لنعمة الله[5].

وفي هذا التعبير تحذير من عبادة الأوثان ؛«ولذلك جاء الإنذار ؛ لأن أصله التحذير مما يُخاف منه، ودل على ذلك قوله: ﴿ فَاتَّقُونِ ﴾ »[6] .

---

١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط: (٤)، دار القرآن الكريم (بيروت) (١٤٠٢هـ-١٩٨١م) : (١١٨).

٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ،ط (١٥)، دار الشروق (بيروت، القاهرة)، (١٩٨٨م): (٢١٥٨ ، ٢١٥٩).

٣) تفسير أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث (بيروت) (د . ت): (٩٥/٥).

٤) إعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد محمد النحاس، ت: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب (بيروت) (د . ت): (٣٩١/٢).

٥) في ظلال القرآن: (٢١٦٠).

٦) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي ، دار الشعب (القاهرة) (د . ت): (٦٧/١٠).

أما قوله: ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾، فهو نفي وإثبات ؛ نفي لألوهية غيره -سبحانه وتعالى-، وإثباتها له وحده ، أي: لا معبود بحق غير الله سبحانه وتعالى. وهذا ينطبق على كافة المواضع الخاصة بكلمة التوحيد الواردة هنا.

وقد اختص هذا الموضع باستثناء ضمير المتكلم "أنا" العائد على الذات الإلهية —جل وعلا-. وهذا الضمير كما قلنا —هو أعرف الضمائر على الإطلاق ؛ ولذلك «فهذا الكلام لا يجوز أن يتكلم به أحد إلا الله أو من يذكره على سبيل الحكاية عن الله ؛ لأن تلك الكلمة تقتضي إثبات الإلهية لذلك القائل ، وذلك لا يليق إلا بالله —سبحانه-.

واعلم أن معرفة هذه الكلمة مشروطة بمعرفة قوله: "أنا" . وتلك المعرفة على سبيل التمام والكمال لا تحصل إلا للحق —سبحانه- فثبت أن قوله: ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ لم يحصل العلم به على سبيل الكمال إلا للحق تعالى »[1] .

ولم تكرر كلمة بهذه الصياغة سوى ثلاث مرات في القرآن الكريم كله؛ هي هذه التي في النحل، والثانية في"طه": ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[2] ، والثالثة في الأنبياء: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾[3] .

والملاحظ في هذه المواضع الثلاثة أن الأمر بالعبادة جاء مباشرة بفاء التعقيب بعد بيان التوحيد (فاتقون- فاعبدني- فاعبدون)؛«لأن التوحيد أصل والعبودية فرع ، والتوحيد شجرة والعبودية ثمرة ، ولا قوام لأحدهما إلا بالآخر »[4].

وفي الموضع الذي نحن بصدد تحليله بيانٌ واضح للغاية التي أنزل الله من أجلها الوحي مع ملائكته الكرام على رسله جميعاً، هذه الغاية هي توحيد الله -سبحانه وتعالى- وعبادته، جاءت على سبيل الإخبار..

---

١) التفسير الكبير: (١/١٢٣).

٢) طه: (١٤).

٣) الأنبياء: (٢٥).

٤) التفسير الكبير: (١/٢٠٣).

أما موضع سورة "طه" فهو خطاب إلى موسى يمثل الأمر الأول من أمور الوحي المناطة به، حيث جاء بعد قول: ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي .. ﴾[1]. وفي قوله: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ دلالة التعظيم.

وأما موضع سورة الأنبياء فالخطاب موجه فيه إلى محمد ﷺ على سبيل الحصر بالنفي والاستثناء أن الرسل الذين أرسلهم الله من قبله لم يختلفوا عنه في زبدة رسالتهم وأصلها، وهي « الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطله» [2] ، فكلهم أُرسلوا برسالة التوحيد.

وكان الحديث قبل ذلك عن دلائل ربوبيته وألوهيته –سبحانه وتعالى– في قوله: ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) ﴾[3].ثم أنكر بعدُ على أولئك ادعوا لله ولداً، متوعداً من يدّعي في نفسه الألوهية بعذاب جهنم.

فكان إيراد كلمة التوحيد في هذا السياق القبلي والبعدي ملائماً من حيث مناسبة الأسلوب وقوة الدلالة في الضمير "أنا"، وكذلك الحال في موضع النحل و"طه" السابقَين.

٢– قوله تعالى– مخبراً عن يونس عليه السلام–: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[4] لم ترد كلمة التوحيد بصيغة الخطاب الموجه إلى الله–سبحانه وتعالى– إلا في هذا الموضع فقط.

فقوله: ﴿ مُغَاضِباً ﴾ أي: غضبان، وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكاً، ونُصب على الحال[1].

---

١) طه: (١٣ ، ١٤).

٢) تفسير السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت: محمد صالح العثيمين ، مؤسسة الرساله (بيروت) (١٤٢١هـ–٢٠٠٠م): (٥٢١/١).

٣) الأنبياء : (١٩ ــ ٢٤).

٤) الأنبياء: (٨٧).

ولم يُصدر يونس عليه السلام ذلك النداء إلا وهو في موقف بالغ الشدة، فقد بينه الله-تعالى-في قوله: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾[٢]، والمكظوم: المملوء غماً أو كرباً. والغم في القلب،والكرب في الأنفاس. وقيل: مكظوم: محبوس[٣].

وعبّر الله عن ذلك في هذه الآية بقوله: ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ أي أنه لم يكن في ظلمة واحدة بل كان في أكثر من ظلمة .. «وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت...أنْ مفسّرة، أو مصدرية على تقدير: نادى بأن »[٤].

وقد استخدم هنا ضمير المخاطب "أنت"، وهي درجة عالية في التعريف؛ إذ تصنّف في الدرجة الثانية من التعريف بعد ضمير المتكلم "أنا"، الذي بيّنّاه في تحليل الموضع السابق.

وكلمة التوحيد في هذا الموضع صادرة من العبد لا من المعبود —سبحانه-؛لأن هذا يصح ذكره من العبد لكن بشرط أن يكون حاضراً لا غائباً،«لكن هذه الحالة إنما اتفق حصولها ليونس عليه السلام عند غيبته عن جميع حظوظ النفس؛ وهذا تنبيه على أن الإنسان ما لم يَصِر غائباً عن كل الحظوظ، لا يصل إلى مقام المشاهَدة »[٥].

ولذلك لم يقل يونس عليه السلام هذه الكلمة العظيمة بهذه الصياغة إلا عندما انقطعت به السبل تماماً، وأيقن أن لا ملجأ من الله إلا إليه. نل أيقن أنه لن يعود إلى هذه الدنيا فبادر بالتوبة النصوح معترفاً بذنوبه في موقف بلغ فيه درجة متناهية من القرب من الله تعالى؛ فكانت الاستجابة الفورية من الله —جل وعلا- دل على ذلك "الفاء" في قوله بعد ذلك : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٦] . وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يحتمل أن يكون مطلقاً أو لمن دعا بدعاء يونس.

---

١) البحر المحيط ، محمد بن يوسف الأندلسي (أبوحيان)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (١٩٩٣م): (٣/ ٣٣٣).

٢) القلم: (٤٨).

٣) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ت:مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر(بيروت) (١٤١٥ه): (٤/٢٤٣).

٤) التسهل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، ط(٤)، دار الكتاب العربي (لبنان) (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م): (٣/٣١).

٥) التفسير الكبير: (١/١٢٣).

٦) الأنبياء: (٨٨).

وقد سمي أحد الأدعية التي تحوي هذه الكلمة العظيمة (لاإِلَهَإِلاَّأَنتَ) بسيد الاستغفار، فهو يُفْتتح بـ"اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت ..."[1]؛ وما ذاك إلا لقوة الدلالة في كلمة التوحيد بهذه الصياغة الفريدة الدالة على صدق صاحبها ويقينه.

وبناء على ما تقدم، فقد كان المقام مناسباً من حيث المعنى الدلالي لأن يقول يونس هذه الكلمة بهذه الصياغة التي لم ترد في غير هذا الموطن من القرآن الكريم.

٣- وقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[2].

فالفاء رابطة للمجازاة، أي:«قد بينا أن الله-جل وعز- واحد فاعلم ذلك»[3]. و"اعلم":فعل أمر مبني على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، "أنه" أنَّ: حرف توكيد ونصب، و"الهاء": ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب اسم "أنَّ"، "لا": نافية للجنس، "إله" اسم "لا" النافية للجنس مبني على الفتح في محل نصب، وخبر "لا" محذوف تقديره :معبود بحق، "إلا": حرف استثناء، "الله": بدل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، وجملة "لا إله إلا الله " في محل رفع خبر "أنَّ"، والمصدر المؤول من "أنَّ" وما بعدها في محل نصب سد مسد مفعولي "اعلم".

وقد ذكر علماء التجويد أن هناك دلالةً صوتيةً للمد الموجود في " لآ إله إلا الله " . هذه الدلالة هي التعظيم، بل سمَّوه مدَّ التعظيم [4].

والمعنى « إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة، ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان، فاثْبُتْ على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه » [5].

---

١) انظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: د.مصطفى ديب البغا، ط(٣)، دار ابن كثير، واليمامة(بيروت)، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م): (باب: فضل الاستغفار) (٢٣٢٣/٥).

٢) محمد: (١٩).

٣) إعراب القرآن للنحاس: (١٨٦/٤).

٤) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري الحمد، ط (١)، دار عمار (عمان)، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م): (٤٤٣) .

٥) تفسير أبي السعود: (٩٧/٨).

فهذا أمر من الله ﷻ للنبي ﷺ ولأمته من بعده على دوام العلم بذلك يقيناً؛ فهو النافع في القيامة. فإن قيل: إن الثبات حاصل للنبي ﷺ بحكم العصمة؛ فيمكن أن يقال: إنه أُمِر بذلك تذكيراً له بما أنعم الله عليه وتوطئة لما جاء بعده، بالإضافة إلى أن المعصوم يُؤْمر ويُنْهى، فيأتي المأمور ويترك المنهي؛ ولذلك أُمر بالاستغفار له وللمؤمنين.

ولم ترد مثل هذه الصياغة (لا إله إلا الله) –إضافة إلى هذا الموضع– إلا في سورة الصافات : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1]، بدون"أنه"؛ لأن ما في سورة الصافات وقع بعد القول؛ فحُكِي، وفي سورة محمد وقع بعد العلم؛ فزيد قبله"أنه"؛ليصير مفعول العلم ،ثم يتصل به ما بعده[2].

«والعلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه . وتمامه أن يعمل بمقتضاه . وهذا العلم الذي أمر الله به– وهو العلم بتوحيد الله – فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائن من كان بل كل مضطر إلى ذلك »[3]. والظاهر أن وجوب هذا العلم وفرضيته مأخوذ من دلالة الأمر في قوله تعالى :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

كما تنداح من هذا الأمر (بالعلم أنه لا إله إلا الله) دلالاتٌ كثيرة، منها:

١- تدبُّر أسمائه وصفاته وأفعاله الداله على كماله وعظمته وجلاله– سبحانه – فإن ذلك يوجب بذل الجهد في العبادة الحقة للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال .

٢- العلم بأنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير ؛ فيُعلَم بذلك أنه المتفرد بالألوهية .

٣- العلم بأنه المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة دينية ودنيوية ؛ فذلك يوجب تعلق القلب به ، ومحبته وحده لا شريك له .

٤- ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه– داع إلى العلم بأنه المستحق للعبادة وحده.

---

١) الصافات: (٣٥).

٢) انظر: البرهان في متشابه القرآن للكرماني: (٣١٥، ٣١٦).

٣) تفسير السعدي: (١/ ٧٨٧).

٥- المعرفة اليقينية بأن الأوثان والأنداد التي عُبدتْ مع الله واتُّخِذتْ آلهة –ناقصةٌ من جميع الوجوه ، فقيرة الذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فإنَّ معرفة ذلك والعلم به يوجب العلم بأنه "لا إله إلا الله"، وبطلان إلهية ما سواه.

٦- العلم باتفاق كتب الله على ذلك وتواطئها عليه . وقد بيناه عند تحليل قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ .

٧- إن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً – هم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1]. وسنبين ذلك بالتفصيل في الموضع الرابع –إن شاء الله-[2].

٨- ما أقامه الله من الأدلة الكونية والنفسية التي تدل على التوحيد، أعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صَنعته، وبديع حكمته ، وغرائب خلقه[3].

فكل هذه الدلالات -وغيرها كثير- تُستشَف من قول الله ﷻ :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾.وهي طرق تدل عليه وحده -سبحانه- وتهدي إليه . وقد أكثر الله –تعالى- من دعوة الخلق بها إلى أنه "لا إله إلا الله" .

فانظر كيف تداعت الدلالة تلو الدلالة من موضع واحد ، فما بالك بإبداء هذه الكلمة العظيمة في القرآن الكريم وتكرارها عشرات المرات في طول القرآن وعرضه ابتداء من ثالث سورة نزلت من القرآن ، وهي سورة المزمل التي قال الله –جل ثناؤه- فيها: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) ﴾ [4]، وانتهاء بالسورة الثالثة عشرة بعد المائة (قبل الأخيرة من سور القرآن الكريم) وهي سورة

---

١) آل عمران : (١٨).

٢) انظر: (١١٢ وما بعدها).

٣) انظر : تفسير السعدي: (١/ ٧٨٧).

٤) المزمل: (٨ ، ٩).

التوبة التي ختمها الله عز وجل بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾[1]. واللافت للنظر أن كل موضع من مواضع كلمة التوحيد –على كثرة دورانها في القرآن الكريم- قد حمل دلالات فريدة ومتعددة ودقيقة تتناسب مع مقتضيات السياق ودواعي المقام، فإذا ما جمعناها وجدنا أنها قد شملت في مجملها جوانب التوحيد فكمل بعضها بعضا في تناسب عجيب وترابط فريد اتسم بالشمول والتماسك والاستقصاء من جهة ، مع الحفاظ على المعنى العام المعلوم بالضرورة من هذه الكلمة، وتأكيده وزيادة تقريره في كل مرة من جهة أخرى.

فعند تأمل العبد في بعض مواضع كلمة التوحيد وبعض دلالاتها الكثيرة، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم ثم عمل بمقتضيات هذه الكلمة ، فكيف إذا ما اجتمعت وتواطأت وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب ؛ فهناك يزداد العلم واليقين، ويرسخ الإيمان بذلك في قلب العبد ، بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشُّبَهُ والخيالات ، ولا يزداد –على تكرار الباطل والشُّبَهِ- إلا نمواً وكمالاً[2].

وقد يتبادر سؤال إلى الذهن مفاده: لماذا قال الله-تبارك وتعالى- لرسوله :﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ولا أحد من البشر أعلم بـ (لا إله إلا الله) من رسوله ﷺ ؟!.

والجواب على ذلك يحمل أكثر من وجه؛ الأول: «يعني: اعلم أنه الله أعلمك أن لا إله إلا الله. الثاني: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً. الثالث: يعني: فاذكر أن لا إله إلا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه »[3]؛ ولذلك قال بعده: (واستغفر لذنبك ، فأُمِر بالعمل بعد العلم.

وقد بيّنّا أن الخطاب للنبي ﷺ خطاب لأمته، فيُمكن أن يُحمل أمرُ النبي ﷺ بالعلم بـ"لا إله إلا الله" على التأكيد الشديد لأمته بوجوب العلم بذلك ؛ لأنه من الدين بالضرورة ؛ إذ يمثل قاعدة الإسلام وأساسه ، فإذا كان الأمر به قد وُجِّه إلى النبي ﷺ على

---

١) التوبة: (١٢٨ ، ١٢٩).

٢) انظر : تفسير السعدي (١/٧٨٧).

٣) تفسير القرطبي: (١٦/ ٢٤١، ٢٤٢).

جلالة قدره ، وعصمته، فهو إلى أمته من باب أولى؛ وما ذاك إلا لأهميته القصوى ومكانته العظمى، وهو يفسر إجماع المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى .فهذا أحد الوجوه التي بدا للباحث أن هذه الصيغة تدل عليه أيضا. والله أعلم.

وبالجملة فأن فضل "لا إله إلا الله" لا يحصى ، وأنها لتوصل قائلها إلى المقام الأقصى . وقد ألفت كتب في قولها وكيفية النطق بها، وأداب استعمالها فلا نطيل الكلام في ذلك ..

٤. قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[١] .

إن سياق سورة آل عمران من البداية يؤكد على الحقيقة الأولى التي يقوم عليها التصور الاعتقادي في الإسلام، ويقررها في النفوس. هذه الحقيقة هي حقيقة التوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد القوامة..القوامة بالقسط: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[٢].

وشهادة الله بأنه:لا إله إلا هو مناسبة لما قبلها، وما بعدها؛ فقد وردت هذه الآية بعد مدح الله –عز وجل– للمؤمنين وثنائة عليهم بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[٣] .ثم جيء بهذه الآية على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية ؛ لأنه –سبحانه– دل على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره فشبه تلك الدلالة الواضحة بشهادة الشاهد في البيان والكشف ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه . ثم سرت الاستعارة من المصدر إلى الفعل[٤] إيذانا بقوته في إثبات المطلوب ، وإشعاراً بإنكار المنكر . فقد شهد الله –تبارك وتعالى– لنفسه بالوحدانية فما عسى المنكر أن يقول بعد ذلك ؟!

---

١) آل عمران: (١٨).

٢) آل عمران: (٢).

٣) آل عمران: (١٦).

٤) انظر: روح المعاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، دار إحياء التراث (بيروت) ، (د . ت): (٣/ ١٠٤).

كما أن معنى هذه الشهادة مسوق هنا لسياق بعدها، هو من مستلزماتها؛ وهو أنه ﷻ لا يقبل –إذن– من العباد إلا العبودية الخالصة لـه، المتمثلـة في الإسـلام بمعـنى الاستسلام –لا اعتقاداً وشعوراً فحسب– [1].

وعليه فإن قوله: ﴿ شَهِدَاللَّهُ﴾، أي: بيّن وأعلم .. والشاهد هو الذي يعلم الشـيء ويبينه[2]. فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبيّن من دلائل تكوينيـة في الآفـاق وفي الأنفس والتشريعات الناطقة بذلك، كما قال الشاعر:

وفِـي كُـلِّ شَيءٍ لَهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَى أَنَّهُ الْوَاحِـدُ

ولم يقف الأمر عند هذا الحد في دلالة لفظ "شهد"، بل تنوعـت آراء المفسـرين وعباراتهم في دلالات لفظ "شهد"، فقالت طائفة : حكم وقضى ، وقالـت أخـرى : أعلم[3]، وفرقت ثالثة بين شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم ، على أن معنى شهادة الله الإخبار والإعلام ، ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الإقرار[4] . وقيل : شهادة الملائكة بالإقرار ، وشهادة أولي العلم بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد[5] .

وفصّل "الرازي" في معنى الشهادة وما يتعلق بها في هذه الآيـة تفصـيلاً جـديراً بالإشارة إليه ؛ كونه يتعلق بالدلالة . غير أن المقام لا يتسع لبسط القول في ذلك[6] .

قال "ابن تيمية" –بعد أن استعرض هذه الأقول–:« وكل هذه الأقـوال ومـا في معناها صحيحة؛ وذلك أن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد بـه . وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره، وإن لم يكن مُعْلِماً بـه لغيره، ولا مُخْبِراً به لسواه. فهذه أول مراتب الشهادة.

---

١) انظر: في ظلال القرآن : (٣٧٨).

٢) انظر: فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر (بيروت) (د .ت): (٣٢٥/١).

٣) انظر : تفسير الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي ، مؤسسة الأعلمي (بيروت) (د. ت): (٢٥١/١).

٤) انظر : تفسير البغوي ، البغوي ، ت: خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة (بيروت) (د. ت): (٢٨٦/١).

٥) انظر : تفسير البيضاوي ، البيضاوي ، دار الفكر (بيروت) (د . ت): (٢/ ١٧).

٦) انظر التفسير الكبير: (٧/ ١٧٧ ، ١٧٨).

ثم قد يخبره ويعلمه بذلك ؛ فتكون الشهادة إعلاما لغيره وإخبارا له. ومن أخبر غيره بشيء ، فقد شهد به، سواء كان بلفظ الشهادة أو لم يكن »[1]. كما أن النفي والإثبات في قوله: ﴿لاإِلَهَإِلاَّهُوَ﴾ بعد قوله: ﴿شَهِدَ﴾ المسند إلى الاسم العظيم يتضمن الأمر والنهي؛ الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه.

فشهادة الله –سبحانه– بأنه "لا إله إلا هو" حُكْمٌ وقَضَاءٌ بألا يُعبد إلا إياه .

ولفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية . فيقال للجملة الخبرية قضية. ويقال : قد حُكم فيها بثبوت هذا المعنى وانتفاء هذا المعنى . وكل شاهد ومُخبِر هو حاكم بهذا الاعتبار ، قد حكم بثبوت ما أثبته ونفي ما نفاه حكماً خبرياً قد تضمن حكماً طلبياً.

وفي: ﴿ شَهِدَاللَّهُأَنَّهُ﴾، قُرِئ: "إنه" (بكسر الهمزة)؛ إما بإجراء "شهد" مجرى "قال"، وإما بجعل الجملة اعتراضاً ، وإيقاع الفعل على قوله تعالى: ﴿ إِنَّالدِّينَعِنْدَاللَّهِالإِسْلامُ ﴾. و"الملائكة" عطفٌ على الاسم الجليل ، فحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز . أي: أقروا بذلك.

﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾: عطف أيضا . قيل: المراد بهم الأنبياء –عليهم السلام–..وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عَرفوا وحدانية الله –تعالى– بالدلائل القاطعة[2].

وفي تثليثه بأهل العلم دلالة على مكانتهم الرفيعة. وشرفهم العالي.

أما قوله: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾، فقال " الفراء": إن " قائماً" منصوبٌ على القطع ؛ لأنه نكرة نعت به معرفة [3]. وقيل: حال من ﴿هُوَ﴾، والعامل فيه معنى الجملة ، أي: يُفْرَدُ

---

١) كتب ورسائل وفتاوي بن تيمية في التفسير، أحمد عبد الحليم بن تيمية ، ت: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، ط(٢)، مكتبة بن تيمية، (د . ت): (١/١٦٨، ١٦٩).

٢) انظر تفسير أبي السعود: (٢/ ١٦ ، ١٧).

٣) انظر: معاني القرآن ، أبو زكريا بن يحي بن زياد الفراء ، فاتن محمد خليل اللبون، ط(١)، دار احياء التراث العربي (بيروت)، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م): (١٥٠).

قائماً. وقيل: هو حال من اسم الله ، أي: شهد لنفسه بالوحدانية. وهي حال مؤكدة على الوجهين[1].

وقد جاز إفراد الاسم الكريم بنصب الحال دون المعطوفين عليه لعدم الإلباس . كما في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾[2]، فانتصب "نافلة" حالاً من يعقوب. ولو قلت: "جاءني زيدٌ وهندٌ راكباً" جاز أيضا؛ لتميزه بالذكورة[3]. وليس الأمر كذلك لو قلت: "جاءني زيد وعمرو راكباً" ، فهذا غير جائز؛ لعدم أمن اللَّبس.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ للمرة الثانية «تكرير لقصد التأكيد »[4]لمزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد ، والحكم به بعد إقامة الحجة .قال "الكرماني": « كرر في آخر هذه الآية فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأن الأول جرى مجرى الشهادة، فأعاده ؛ ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود »[5]. وقيل: «الأولى وصف وتوحيد ،والثانية رسم وتعليم ، يعني: قولوا: لا إله إلا الله العزيز الحكيم »[6].

كما أن في التكرار مناسبةً دلاليةً معنوية؛ ليبني عليه قوله في ختام الآية: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فيُعلم أنه الموصوف بهما وحده –سبحانه– على الكمال والإطلاق. « وقدم العزيز ؛ لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته. ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل " شهد"»[7]. فكان اختيار هذين الاسمين العظيمين تحديداً من ضرورات السياق المعنوي. واقتضاءات المقام والحال..

فبان بهذا ونظائره مناسبة كل لفظ لما وضع له في سياقه من حيث الأسلوب والدلالة.

---

١) انظر: التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي ، دار النشر : عيسى البابي الحلبي، (د . ت): (٢٤٧/١).

٢) الأنبياء: (٧٢).

٣) انظر :الكشاف: (١ / ٣٧٢).

٤) فتح القدير: (١ / ٣٢٥).

٥) البرهان في متشابه القرآن: (١٤٣).

٦) تفسير القرطبي: (٤/ ٤٣).

٧) تفسير البيضاوي: (٢/ ١٨).

المبحث الثاني

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي

من خلال آيات الوعيد

كثيرةٌ هي الآيات التي توعد الله – جل جلاله – العصاة والمعاندين ، والمكذبين لأنبيائه ورسله ، والجاحدين لدلائل قدرته التي لا تخفى –بالعذاب؛ عقاباً لهم على ما اقترفوه من المعاصي.

وقد تنوعت آيات الوعيد وتفاوتت من حيث الأسلوب والدلالة بحسب مقامات الوعيد وأحوال المتوعَّدِين.

وسنقوم في هذا المبحث بتحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في القرآن الكريم من خلال آيات الوعيد. معتمدين في ذلك على نماذج بارزة تمثل هذا الجانب، وتنبئ بوضوح عن الظاهرة المدروسة. وهذه النماذج هي:

١- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾[1].

٢- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾[2].

٣- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[3].

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[4].

---

١) النحل: (٨٨).

٢) النساء: (١٦٧).

٣) محمد: (١).

٤) محمد: (٣٢).

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[1].

٦- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2].

والآيات في باب الوعيد كثيرة جداً ، غيرأن الباحث -تماشيا مع منهج البحث- اختار هذه الصياغات المتشابهة لفظا ومعنى ؛ كونها تنبئ عن ظاهرة التكرار المعنوي في صورة من أوضح صورها في هذا الباب.

والناظر إلى الآيات السابقة نظرةً سريعة وغير متأمِّلة، يُخَيَّل إليه لأول وهلة أنها قد حملت معنى واحداً تكرر في كل موضع، هو الوعيد على الكفار الذين صدوا عن سبيل الله، فقط ليس إلا ، ودونما إضافة تستحق الذكر ، أو تجديد يبرر هذا التكرار.

ويرى الباحث أن هذه النظرةَ قاصرةٌ إلى حدٍ بعيد ؛ وذلك لأكثر من وجه:

أحدها: أنها نظرت إلى الآيات مقطوعةً عن سياقها ، ومنفصلة عن متعلّقاتها، فهي نظرة مجتزأة . والحكم الذي ينبني على نظرة كهذه قاصرٌ لا محالة .

وثانيها: أنّا لو تأمّلْنا في المعاني الظاهرة لكل موضع على حدة – ناهيك عن المعاني الدقيقة الخفية -؛ لأدرك أن في كل موضع معنى جديداً يميزه عن غيره.

وثالثها: أنّا لو أجَلْنا النظر في السياقات القبلية والبعدية لكل موضع على حدة ؛ لبان لنا التمايزُ الدلاليُّ الفريدُ في كل موضع.

رابعها: أنه لو استظهرنا صياغات البنية اللغوية المشكلة لأداءات التعبير في كل موضع عن فهم ودراية؛ لها لنا ما فيها من تنوع أسلوبي بلغ درجة الكمال في الأداء، متناهياً في الفصاحة والبلاغة والبيان.

---

١) محمد: (٣٤).

٢) الحج: (٢٥).

وحتى لا يطول بنا الحديث نعود إلى هذه المواضع من جديد ، قاصدين دراستها؛ لبيان وتحليل خصائص الأسلوب والدلالة فيها؛ حتى نشفع القول بالفعل ؛ فدليله أقوى حجةً ، وأثبت فهماً، وأصدق بياناً .. وذلك من خلال الآتي:

لقد وصف الله – تبارك وتعالى – المتوعَّدِين في هذه الآيات بوصفين مشتركين هما: (أ) **الكفر** : وهو ضد الإيمان الذي يَعني التصديق، فالكفر تكذيب. كما يطلق الكفر على جحود النعمة، فهو ضد الشكر. وقد جاء الكفر في اللغة من التغطية يقال لليل المظلم كافر ؛لأنه ستر بظلمته كلَّ شيء ، وكذلك للزارع ، لأنه يغطي البذور بالتراب «ومنه سمي الكافر ؛ لأنه يستر نعم الله عليه »[1]. فبان بهذا أن أصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه[2].

ومن هذا المعنى اللغوي ذي الدلالة العامة على التغطية –تنداح أربع دلالات، كلها تُطلَقُ على الكفر بمعناه الاصطلاحي الذي نحن بصدد بيانه، وهي:

١–كفر الإنكار: بألا يعرِف اللهَ أصلاً ،ولا يعترف به؛ وفي هذه الحالة يكون الكفر بالقلب واللسان ، ولا يعرف صاحبه ما يُذَكّر به من التوحيد . كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، أي: الذين كفروا بتوحيد الله.

٢– كفر الجحود: وهو الذي يعترف فيه الكافر بقلبه ولا يقر بلسانه ، ككفر إبليس وأمية بن أبي الصلت وأحبار اليهود، كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[4].

٣–كفر المعاندة: وهو أن يعرِفَ اللهَ بقلبه ويقرَّ بلسانه ، ولا يدين به؛ حَسَداً وبغياً، ككفر أبي جهل وأضرابه..

٤–كفر النفاق: بأن يُقِرَّ بلسانه ولا يعتقد بقلبه، كعبد الله بن أُبَيّ وأمثاله.

---

١) مختار الصحاح: "مادة: ك ف ر" (٢٣٩/١).

٢) لسان العرب: "مادة: ك ف ر" (١٤٥/٥).

٣) البقرة: (٦).

٤) البقرة: (٨٩).

وبالعودة إلى المواضع.. نجد أن كلاً منها قد دل على نوع واحد من هذه الأنواع أو أكثر، حتى اكتملت الصورة بمجموع المواضع لا بأفرادها.

فالموضعان الأول والثاني أقرب ما تكون دلالة الكفر فيهما على الجحود، والموضع الثالث أقرب ما تكون الدلالة فيهما على الإنكار والجحود والمعاندة، والموضع الرابع يدل لفظ الكفر فيه بوضوح على الجحود والمعاندة فقط، أما الموضع الخامس فيدل على عموم الكفر بأنواعه. والموضع السادس يختص بكفار قريش بدلالة ظاهر الآية. وهذا لا ينفي كون هذه المواضع تدل على عموم الكفر بدرجات متفاوتة في كل موضع. والله أعلم.

ويرى الباحث أن هذا الاشتراك الدلالي في المعنى العام هو الذي حدا بكثير من الناس إلى القول بأن ما في هذه المواضع وأشباهها هو تكرار معنوي بحت لا زيادة فيه ولا إضافة وذلك بناءً على نظرة عابرة دونما ترو أو تدبر في الآيات ، ودونما إخضاع السبر اللغوية المشكلة لأداءات التعبير في هذه المواضع للتحليل اللغوي الأسلوبي والدلالي. ولعلهم استندوا في هذا القول – أو قُل الحكم- على التجوز والتوسع، بعيداً عن التفاوت والخصوصية .

ويرى الباحث أن هذا خطأ محض، لا ينبغي حمل نصوص التنزيل عليه، خاصة في البحوث المعنية بدقة الدلالة..

وسنبين ذلك بالتفصيل عند تحليلنا لكل موضع من هذه المواضع على حدة.

(**ب**) الوصف الثاني المشترك بين كل المتوعَّدِين هو: **الصد عن سبيل الله**. والصد مأخوذ من قولهم: «صد عنه يصُد (بضم الصاد) صُدوداً: أعرض، وصده عن الأمر: منعه وصرفه، من باب "رد" »[1]. فالصد له معنيان: أحدهما يقتصر على الفرد، وهو الإعراض، والثاني يتعدى الفرد إلى غيره، وهو المنع. وعليه فإن "صدَّ" تستعمل في اللغة العربية استعمالين أحدهما: أنها متعدية إلى المفعول كقوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

١) مختار الصحاح: (١/١٥٠).

وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[1]. ومضارع هذه المتعدية "يصُدُّ" (بالضم) على القياس، ومصدرها "الصّدُّ" على القياس أيضاً.

والثاني: أنها لازمة غير متعدية إلى المفعول، ومصدر هذه "الصدود" على القياس، وفي مضارعها الكسر على القياس، والضم على السماع[2].

فهذان هما الوصفان المشتركان للمتوعَّدِين في جميع المواضع، وذلك من حيث الدلالة العامة. أما من حيث الدلالات الخاصة، فهناك بعض الاختلافات الخاصة بهذين الوصفين في دلالاتهما الدقيقة من موضع لآخر، ناهيك عن الدلالات الأخرى التي تميز كل موضع على حدة.

ومما لاشك فيه «أن لكل نصٍّ إيقاعه الخاص الذي يتميز به، ويرتبط هذا الإيقاع ارتباطاً وثيقاً بالكيفية التي يتشكل عليها نَظْمُ ذلك النصّ» [3]. وليس الإيقاع وحده هو الذي يميز نصّاً عن آخر، بل إن جميع خصائص الأسلوب والدلالة تدخل في هذا التمييز.

وبيان ذلك يتمثل في التحليل الآتي:

١- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾[4].

فهذه الآية تختص بمقابلة زيادة بزيادة، مقابلة زيادة الكفر المتمثلة في الصد عن سبيل الله بزيادة العذاب . قال "الزمخشري" –في معنى هذه الآية-:«الذين كفروا في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر -يضاعف لهم الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم »[5].

---

١) الفتح: (٢٥).

٢) انظر: أضواء البيان: (٢/ ٤٢٥).

٣) الأحاديث القدسية (دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي)، علي عبدا لله النعيم، (رسالة دكتوراه-الجامعة الأردنية-الأردن)، (١٩٩٤م): (١٧٢).

٤) النحل: (٨٨).

٥) الكشاف: (٢/ ٢٨٥).

فهم يعذبون على ضلالهم ويزاد لهم هذا العذاب على إضلال غيرهم ، كما بين تعالى ذلك في آية أخرى حيث وصف الصادّين عن سبيل الله بقوله: ﴿ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾[1].

ويبدو أن المقصود بالكفر في هذه الآية هو الجحود؛ بدليل قوله قبل ذلك: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2]. ولكون الجحود وما في معناه قد دار كثيراً في هذه السورة التي تتميز بتعداد نعم الله على عبيده الذين لا يؤدي كثيرٌ منهم الشكرَ المطلوبَ على هذه النعم، كما في قوله تعالى -في هذه السورة-: ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[3]. ولذلك أول "الطبري" الكفر الموجود في الآية – موضع التحليل بالجحود[4].

والظاهر أن المقصود هم كفار قريش بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾[5].

أما الصّدّ المراد في الآية موضع التحليل، فالدلالة البارزة فيه هي دلالة التعدية لا اللزوم، والمفعول به محذوف؛ لدلالة المقام عليه، على حد قول "ابن مالك":

وحَذْفُ فَضْلَةٍ أَجِزْ ما لَمْ يضُرْ كحذْفِ ما سِيْقَ جواباً أو حُصِرْ[6].

وترجّح احتمالُ أن تكون "صَدّ" متعدية، والمفعول به محذوف، أي: "وصدوا الناس عن سبيل الله"؛ لوجود ثلاث قرائن هي:

---

١) هود: (٢٠).

٢) النحل: (٨٣).

٣) النحل: (٧١ – ٧٣).

٤) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، (بيروت)، (١٩٨٧م): (١٤/١٦٠).

٥) النحل: (٨٦) .

٦) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: (٢/١٥٥).

١-أنّا لو قدّرنا "صدّ" لازمة، وأن معنى صدودهم في أنفسهم عن الإسلام – لكان ذلك تكراراً من غير فائدة مع قوله: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، بل معنى الآية: كفروا في أنفسهم، وصدوا غيرهم عن الدين فحملوه على الكفر أيضاً.

٢-قوله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾. فإن هذه الزيادة من العذاب لأجل إضلالهم غيرهم.

٣-قوله: ﴿ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ .فإنه يدل على أنهم كانوا يفسدون غيرهم، علاوة على ضلالهم في أنفسهم فهو مأخوذ من "أَفْسَدَ" المتعدي إلى الغير، وليس "فسد" اللازم. والمقتصر على الذات.

وقوله: ﴿ فَوْقَ الْعَذَابِ ﴾، أي: الذين استحقوه بكفرهم[١]، فعذبهم على الكفر وعذبهم على الإفساد. فترجح بهذا أن "صد" في الآية بمعنى: منع وصرف غيره عن الإيمان، وليس "أعرض"؛ فالإعراض مُضَمّنٌ في الكفر.

٢- أما قوله في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾[٢]. فالمقصود بهم اليهود الذين تقدم ذكرهم في الآيات السابقة،«والمراد أنهم كفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن »[٣].

ومن المعلوم أن كفر اليهود هو كفر جحود، فهم يعرفون صفة محمدﷺ وعلامات نبوته ولا يشكون في ذلك كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[٤]. وعليه فجحود اليهود أعظم بكثير من جحود كفار قريش؛ إذا الأول مبنيٌّ على المعرفة اليقينية بنبوته ﷺ المنصوص عليها في كتبهم، أما الثاني فمبنيٌّ على التكذيب؛ خوفاً على مصالح شخصية، أو عناداً، أو جهلاً.. فبان بهذا اختلاف الجحودَين.

---

١) انظر : أضواء البيان: (٢/ ٤٢٦).

٢) النساء: (١٦٧).

٣) التفسير الكبير: (١١/ ٨٩).

٤) الأنعام: (٢٠).

وكذلك الحال في الصد عن سبيل الله في هذا الموضع، فهو يختلف في وسيلته الأساسية عن الصد المذكور في الموضع الأول فكفار قريش قد استخدموا القوة لمنع الناس عن الدخول في الإسلام في حين استخدم اليهود الشبهات التي ألقوها في قلوب الناس ليصرفوهم عن اعتناق الإسلام « نحو قولهم: لو كان رسولاً لأتى بكتابه دفعة واحدة من السماء، كما نزلت التوراة على موسى.. »[1]، «وقولهم لا نعرفه في كتابنا وأن شريعة موسى عليه السلام لا تُنسخ»[2]. وغيرها من الشبهات التي كان يثيرها اليهود ضد دعوة محمد ﷺ وشريعة الإسلام .

فبان بهذا وذاك اختلاف الكفرَين، وتفاوت وسائل الصدودَين؛ فاختُصَّ كلٌّ موضعٍ بما يتناسب مع الدلالة الملائمة له حسب السياق؛ ولذلك اختلفت الصياغة التذييلية للموضعين أسلوبا ودلالة؛ ففي حين خَتَمَ الموضع الأول بقوله تعالى: ﴿ نزِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ – وقد بيناه في ختام تحليل الموضع السابق –، فإنه ختم هذا الموضع بقوله: ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾، وفيه دلالة واضحة على أن اليهود قد جمعوا بين الضلال والإضلال الذي لم يبلغه غيرهم، وأيُّ ضلال أبعد من ضلال من يعرف الحق يقيناً ولا يتبعه، بل ويصد عنه غيره؟! « فهذا الإنسان لاشك أنه قد بلغ في الضلال إلى أقصى الغايات وأعظم النهايات»[3]. فليس بضال فحسب بل مضل. والمضل أقوى وأدخل في الضلال، وأبعد عن الإقلاع عنه. فأكّده بحرف التحقيق "قد"، وبالمصدر "ضلالاً" الموصوف بـ"بعيداً".

ثم إن ما تحمله الفاصلة: ﴿بَعِيداً ﴾ من إطلاق للألف عند الوقف –وهو الغالب – فيه مراعاة لتناسب الفواصل من جهة. بالإضافة إلى ما تشيعه من دلالة صوتية واضحة على تمادي هؤلاء وإصرارهم على الضلال المتناهي في البعد. والذي لا يُرجى إقلاعهم عنه.

---

١) التفسير الكبير: (١١/ ٨٩) .

٢) روح المعاني: (٢٢/٦).

٣) التفسير الكبير: (٨٩/١١).

والقرآن الكريم إذ يُصوِّرُ لنا هذه المشاهد، بهذه الفواصل الموحية بمعانيها- فإنما يقصد من وراء ذلك التخويف والتحذير من أن نقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء؛ إذ إن رنين الفاصلة مع ما سبقها من تأكيد يظل إيقاعه متردداً في أعماقنا؛ فنسعى جاهدين إلى الابتعاد عن تلك المعاني المحذَّرِ منها.

وليس الباحث في هذا الاستنتاج يلقى الكلام جزافاً، دونما معرفة حقيقية بالدور الذي تؤديه الفاصلة في الإيقاع، وبالتالي في التأثير.. فمن المعلوم أن الفاصلة تعد ركيزةً أساسيةً للإيقاع في النثر العربي؛ « لما تحمله من تأثير فعّال في المتلقي؛ فهي الجرس الموسيقي الذي تنتهي فيه العبارة أو الجملة، والتي عندها يبدأ المتلقي باسترجاع ما مر عليه من كلام؛ لذا لابد أن يكون لها وقعٌ مؤثِّرٌ ذو بعد إيقاعي »[1].

إننا نجد في الأسلوب القرآني انسجاماً موسيقياً فريداً بين اللفظ والمعنى، بل يتعدى ذلك إلى أن يُشرَكَ المتلقي في هذا الانسجام الذي فيه تؤلَّف العبارة من كلمات متسقة، ذات حركات وسكنات، يشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء هذا النظام من موسيقى واتساق، وإن هذه الموسيقى التي تكمن وراء هذا النظم هي التي مكنت المرتلين من تلاوته بهذه الأنغام الموسيقية —إن جاز التعبير-.

وإن شدة هذا الانسجام يصل في بعض الأحيان إلى أن تتفق الآية مع وزن بحر من بحور الشعر، كما نرى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾[2] فهي تتفق مع بحر الرمل، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ ﴾[3] مما يتزن على بحر الخفيف، وقوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[4] مما هو شطر بيت من بحر السريع..[5].

والقرآن الكريم —وإن كان —حتماً- يختلف عن كلام الناس؛ بوصفه كلام الله- إلا أنه جاء بلغة العرب، وعلى مذاهبهم. ولو لم يكن كذلك لانعدم التحدي..

---

١) الخصائص الأسلوبية لنثر الإمام عليّ ﷺ في نهج البلاغة ، سعد محمد علي جاسم التميمي، (رسالة دكتوراه-جامعة أم درمان الإسلامية- السودان)، (١٩٩٧م): (٢٥).

٢) سبأ: (١٣).

٣) فاطر: (١٨).

٤) المؤمنون: (٣٦).

٥) انظر: من بلاغة القرآن: (١٨٧).

ولذلك رأينا القرآن الكريم يؤكد كفرهم في الآية التالية للمرة الثانية، مضيفاً إليه صفة الظلم، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ أي: « كفروا بما ذكر آنفا، وظلموا محمداً ﷺ بإنكار نبوته، وكتمان نعوته الجليلة، أو الناس بصدهم لهم عن الصراط المستقيم ... ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر. والآية في اليهود على الصحيح ﴿وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً﴾[1]، [بالإطلاق نفسه].

[ثم قال]: ﴿إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ لعدم استعدادهم للهداية... والمراد من الهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة.. وذكر بعضهم أن التعبير بالهداية تهكم إن لم يرد بها مطلق الدلالة والطريق على عمومه. والاستثناء متصل »[2]. ثم بين أن حالهم هو الخلود في جهنم، فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾[3]، ونصب "أبداً" على الظرفية. أما قوله ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ ففيه دلالة، وبيان أنه تعالى لا يعبا بهم ولا يبالي.. أ.هـ

٣- قوله تعالى – في مفتتح سورة محمد ﷺ -: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[4].

هذه الآية في أول سورة محمد ﷺ مناسبة لآخر سورة الأحقاف المتقدمة فإن آخرها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5]. فإن قال قائل: كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة؛ كاطعام الطعام، وصلة الأرحام وغير ذلك مما لا يخلو عنه الإنسان؟! فجاءت هذه الآية بداية سورة محمد ﷺ بمثابة الجواب عن هذا السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن. فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، « أي: لم يبق لهم عمل، ولم يوجد؛ فلم يمتنع الإهلاك »[6]. فكانت هذه الآية جواباً وبياناً كافياً. تضافرت فيه دلالة الموقع مع دلالة السياق. وقد صيغت الآية على الفصل(القطع)، الذي يدل على

---

١) النساء: (١٦٨) .

٢) روح المعاني: (٦/ ٢٢).

٣) النساء: (١٦٩).

٤) محمد: (١).

٥) الأحقاف: (٣٥).

٦) التفسير الكبير: (٣٢/٢٨).

الارتباط القبلي؛ فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا ﴾، بعد قوله نهاية الأحقاف: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾. فالارتباط الدلالي بينهما واضح.

فلو صيغت الآية على القطع المؤكد (إن الذين كفروا وصدوا ..)، كما في الموضع السابق (الثاني) -لما وُجِدَت دلالة الارتباط المعنوي بين الآيتين، وكذلك الحال لو صيغت على الوصل (والذين كفروا وصدوا ..) فانظر كيف ناسب التعبير بدقة متناهية ما أُنِيطَ به من دلالة، فوضع كل لفظ في موضعه اللائق به أسلوباً ودلالة ، بحيث لو استبدل به غيره لأضطرب الأسلوب واختل المعنى.

وهذا الأمر ليس مقتصرا على موضع أو مواضع بعينها في كتاب الله، بل إن هذا النظم المحكم مضطرد في أسلوب القرآن على الدوام.

والملاحظ أن هذه السورة –التي من أسمائها "سورة القتال"- تعلن الحرب من الله -تعالى- على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة[1].

وقد اختُلف في المراد بـ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾في هذه الآية هل هم النفر الذين كانوا يطعمون جيش الكفر يوم بدر، أم هم كفار قريش، أم أهل الكتاب، أم أن اللفظ عام يدخل فيه كل كافر. والأول هو المشهور[2]. والظاهر أن الكفر المقصود في هذه الآية يدل على العموم؛ لعدم وجود قرينه واضحة وصريحة تصرفه إلى نوع معين من أنواع الكفر.

ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ ولذلك فيمكن حمل الدلالة على العموم في كلِّ مَنْ كَفَر وصدّ. وهذا لا ينفي خصوص السبب.

والصواب أن "صَدّ" هنا مأخوذٌ من الصّدّ، وليس من الصُّدود، وعليه فهو متعدٍّ، وينطبق عليه التقدير الذي ذكرناه في تحليل الموضع الأول. ونضيف هنا فنقول –إكمالاً للفائدة وزيادة في البيان -: إنه لو كانت "صَدَّ" لازمة فإن ذلك يكون تكراراً مع قوله: ﴿ كَفَرُوا ﴾؛ لأن الكفر هو أعظم أنواع الصدود عن سبيل الله.

---

١) انظر: في ظلال القرآن: (٣٢٧٨).

٢) انظر: تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط(١)، دار الوطن (الرياض)، (١٤١٨ه – ١٩٩٧م): (٥/ ١٦٧).

« وأما على القول بأن "صد" متعدية فلا تكرار؛ لأن المعنى أنهم ضالون في أنفسهم مضلون لغيرهم بصدهم إياهم عن سبيل الله ...واللفظ إذا دار بين التأكيد والتأسيس، وجب حمله على التأسيس إلا بدليل يجب الرجوع إليه» [1]. ولا دليل هنا على التأكيد، بل هناك من القرائن ما يدل على العكس (التأسيس)، وقد بينا ذلك في تحليل الموضع الأول[2].

أما قوله: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ فمأخوذٌ من: "أضله"، أي: أضاعه وأهلكه[3]. قال "الزمخشري":« ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أبطلها وأحبطها، وحقيقته: جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلُها ويثيبُ عليها، كالضالة من الإبل، التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها، أو جعلها ضالّةً في كفرهم ومعاصيهم ومغلوبة بها؛ كما يضل الماء في اللبن» [4]. فقد حَكَم الله ببطلان أعمال الكفار وضياعها ابتداءً ؛ لعدم مقارنتها للإيمان وارتباطها به.

ويمكن حمل دلالة قوله تعالى: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ في هذه الآية على أنه «أبطل ما عملوه من الكيد لرسوله ﷺ والصد عن سبيله بنصر رسوله. وإظهار دينه على الدين كله»[5].

وبمقارنة ما خُتمت به هذه الآية مع ما ختمت به آية الموضع الثاني نجد أنه تعالى قد نسب الإضلال هنا إلى الضمير المستتر العائد على الاسم الكريم، في حين نسب الضلال هناك إلى الموصوفين أنفسهم، مبالِغاً في ذلك ومؤكِّداً بقوله: ﴿ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾.

ويرى الباحث أن هذا التباين يعود إلى أمور أهمها:

أ- اختلاف دلالة المعنى المقصود في كل موضع على حدة، ففي حين قصد بالضلال في الموضع الثاني عدم الهداية، قصد به هنا البطلان وعدم الانتفاع. فالمراد هناك غير المراد هنا.

---

١) أضواء البيان: (٧/ ٢٤٤).

٢) انظر: (١٢٢، ١٢٣).

٣) مختار الصحاح: (١/ ١٦٠).

٤) الكشاف: (٣١٨/٤).

٥) تفسير البيضاوي: (٥/ ١٨٨).

ب- بالغ في بيان ضلال اليهود ؛ لأنه قائم على معرفة يقينية بنبـــوة محمـــد ﷺ؛ فرسالته مُبَيَّنَةٌ بأدلة نقلية من كتبهم المقدسة لديهم، و لم يكن هذا حاصلاً لكفار قريش. وعليه فقد اختلف الأسلوب واختلفت الدلالة؛ لاختلاف الحال والمقام.

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾[١].

والمراد بـــ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ في هذه الآية هـــم أهـــل الكتـــاب (قريظة والنضير) على الأرجح[٢]؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ .«قيل أهـــل الكتاب تَبَيّن لهم صدق محمدﷺ » [٣].

وقد جاء الكلام مؤكَّداً في هذا الموضع بـــ"إنَّ"، مع تصدير جوابها بحرف النفـــي "لن"، وذلك على غرار التوكيد الذي جاء في الموضع الثاني مع تصدير الجـــواب بحـــرف التحقيق "قد"؛ لتأكيد تحقق ضلالهم البعيد هناك ، وعدم إيقاعهم الضرر بالله – عز وجل – هنا على التأبيد . ثم لكون المراد من الآيتين واحد، وهم أهل الكتاب على عموم هناك وخصوص هنا.. فناسب الأسلوب الدلالة من أكثر من وجه.

وقوله: ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾ أي: «خالفوه فكانوا في شق وهو في شق » [٤] مـــأخوذ من الشق (بالكسر) أي: الناحية[٥] فاليهود كانوا في الجبهة المعادية للنبي ﷺ ، والمقابلة له فهم في شقاق معه. قال "ابن منظور": «الشقاق: العداوة بين فريقين والخلاف بين اثنين، سمي ذلك شقاقاً؛ لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شـــقاً أي: ناحيـــة غـــير شـــق صاحبه»[٦]. وهذا هو ما كان بالفعل من أمر اليهود في عداوتهم مع رسول الله ﷺ.

---

١) محمد: (٣٢).

٢) انظر: الكشاف: (٤/٣٣٠) ، والتفسير الكبير: (٢٨/ ٦٢).

٣) التفسير الكبير: (٢٨ / ٦٢).

٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد لحق بن عطية الأندلسي ، ت: المجلس العلمي (بتارودانت)، ط: مكتبة ابن تيميـــة، (د .ت): (٥/ ١٢١).

٥) مختار الصحاح: "مادة: ش ق ق" (١/١٤٤).

٦) لسان العرب: "مادة: ش ق ق" (١٠/ ١٨٣).

ويرى الباحث أن في المد الزائد في قوله تعالى: ﴿ شَاقُّوا ﴾دلالةً صوتيةً على تماديهم في مخالفة النبي ﷺ واستفراغهم في ذلك كل ما أمكنهم من جهد – ناهيك عما في لفظ "شقاق"- الذين يعني العداوة – من دلالة صوتية على الانفصال والمخالفة والتباعد بين الجانبين كتباعد الشفتين عند النطق بهذه الكلمة.

ويدل قوله: ﴿ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً ﴾ على التهديد والتحقير لشأنهم. وفي تنكير ﴿ شَيْئاً ﴾مبالغة في التحقير أي: «لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئاً من الأشياء، أو شيئاً من الضرر، أو لن يضروا رسول الله ﷺ بمشاقته شيئاً. وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته »[1].

ويرى الباحث جواز هذا التقدير الأخير أيضا ؛ بدلالة قوله – قبل ذلك –: ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾. وبالتالي فإنه يمكن حمل التقدير المشار إليه على هذا التعبير .

كما يمكن أن يُحمل المعنى على تقدير: «هم يظنون أن ذلك الشقاق مع الرسول، وهم به يشاقونه، بل الشقاق مع الله، فإنَّ محمداً رسول الله ما عليه إلا البلاغ »[2]. فنكون بهذا قد جمعنا – إلى حد ما – بين التقديرين. ويمكن أن يدخل هذا كله من باب التنوع الدلالي المعجز، الذي يتميز به أسلوب نظم القرآن عن غيره.

وقوله: ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ أي: سيبطلها . وقد بينا الدلالات المعنوية لذلك عند تحليل قوله تعالى: ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾. وفي استخدام السين دلالة على قرب وقوع الإحباط وتحققه.

وهنا مسألة تتعلق باستخدام الفعل المضارع "يحبط" في الدلالة على إبطال أعمال اليهود (بني قريظة وبني النضير)، وقد استخدم من قبل الفعل الماضي "أضل" في الموضع السابق وذلك عائد إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[3] في أول سورة محمد ﷺ –هم المشركون« ومن أول الأمر كانوا مبطلين وأعمالهم كانت على

---

١) تفسير أبي السعود: (٨/ ١٠١).

٢) التفسير الكبير: (٢٨/ ٦٢).

٣) محمد: (١).

غير شريعة. والمراد من الذين كفروا ههنا أهل الكتاب ، وكانت لهم أعمال قبل الرسول فأحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسولﷺ»[1].هذا وجه . ويمكن أن يحمل المعنى على وجه آخر، وهو أن المراد بالأعمال ههنا ما سيقومون به من أعمال الكيد للنبي ﷺ وللمسلمين في القتال فإن الله سيبطله، وتكون الدائرة للمسلمين على اليهود، والله أعلم.

٥- أما قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾[2].

فالظاهر أن المراد بـ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ عموم الكفار فهو «حكم يعم كل من مات على الكفر »[3]. أن الله لن يغفر له ذلك الكفر، وهذا على غرار ما بينا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾[4]، وذلك عند تحليل السياق البعدي لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً ﴾[5] في الموضع الثاني[6]. فقد استخدم هناك أداة النفي "لم"، الدالة على نفي الفعل في الماضي، وهنا أداة النفي "لن"، الدالة على نفي الفعل في المستقبل، وهذا مناسب لقوله: ﴿ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾. قال "الرازي": «بين أنه لا يغفر الشرك وما دون ذلك يغفره إن شاء؛ حتى لا يظن ظانٌّ أن أعمالهم وإن بطلت لكن فضل الله باق يغفر لهم بفضله وإن لم يغفر لهم بعملهم »[7] فقَطَعَ بهذا التعبير كلَّ دابر ، وأوقَفَ به كلَّ شُبْهَة.

٦- وآخر هذه المواضع هو قوله - تعالى في سورة الحج-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[8].

---

١) التفسير الكبير: (٦٢/٢٨).

٢) محمد: (٣٤).

٣) تفسير أبي السعود: (١٠٢/٨).

٤) النساء: (١٦٨،١٦٩).

٥) النساء: (١٦٧).

٦) انظر: (١٢٦ من البحث).

٧) التفسير الكبير: (٦٣/٢٨).

٨) الحج: (٢٥).

وقد جاء بعد أن فَصَلَ الله ﷻ في الآيات السابقة بين الكفار والمؤمنين؛ فبيّن ما يلاقيه الكفار من عقاب أليم، وما ينتظر المؤمنين من أجر وجزاء عظيم ، ثم جاء بهذه الآية؛ لبيان عظم حرمة المسجد الحرام وعظم كفر هؤلاء الذين كفروا بما جاء به محمد ﷺ،ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، وذلك بالمنع من الهجرة والجهاد[1]، أو بمنع من أراد البيت الحرام من المؤمنين الذين هم أحق به من المشركين.

وعليه فالمراد بـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ هم المشركون الذين منعوا رسول الله ﷺ من دخول المسجد الحرام عام الحديبية. وأعود فأقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – وما ذكرناه إلا لبيان تعدد الدلالات للتعبير الواحد أو المتشابه – وعليه فيدخل فيه كل من كان على شاكلة هؤلاء الكفار الصادِّين..

وهنا مسألة مهمة تتعلق بأسلوب التعبير في هذه الآية، وهي عطف فعل المستقبل ﴿يَصُدُّونَ﴾ على الماضي ﴿كَفَرُوا﴾، وليس له مثيل في المواضع الأخرى، فكلها ﴿كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾. وفي تحليل هذا الأسلوب وتخريجه أكثر من وجه .

أحدها: أنه لا يراد من هذا التعبير حال ولا استقبال، وإنما يراد استمرار الصَّدّ من قِبَلِهم عن سبيل الله والمسجد الحرام، وهو كقولك: "فلان يحسن إلى الفقراء ويعين الضعفاء" لا يراد به حال ولا استقبال، وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه في جميع أزمنته وأوقاته، « فكأنه قيل : إن الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله. ونظيره قوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾[2] »[3]، وذلك أن المضارع قد لا يُلاحَظُ فيه زمان معين من حال أو استقبال.

والثاني: أن التقدير : وهم يصدون ؛ وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي[4] على أن ﴿يَصُدُّونَ﴾ : خبر مبتدأ محذوف وعليه فالجملة المعطوفة اسمية لا فعلية.

---

١) انظر: التفسير الكبير: (٢١/٢٣).

٢) الرعد: (٢٨).

٣) التفسير الكبير: (٢١/٢٣)، وتفسير الطبري: (١٣٧/١٧).

٤) انظر: المحرر الوجيز: (١١٥/٤)، وتفسير القرطبي: (٣١/١٢).

والثالث: أنه عطْفٌ على المعنى تقديره: إن الكافرين والصادّين[1].

أما خبر إن ففيه أوجه متعددة « أصحها أن يكون محذوفاً، ويكون المعنى: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله هلكوا» [2].

ثم بين بعد ذلك مكانة المسجد الحرام وعظم حرمته، وهو المناسب لقوله قبل ذلك: ﴿ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾، فوضع كل تعبير في مكانه اللائق به.

وبالعودة إلى المواضع الآنفة الذكر جميعاً -نجد أن كلاً منها قد تميز بدلالات معينة - ناهيك عن الدلالة العامة المشتركة —. وعندما ننعم النظر في تلك الدلالات الخاصة بكل موضع على حدة -نجد أنها قد جاءت مناسبة لسياق التعبير والمعنى الذي وردت فيه تناسباً دقيقاً. كما أن كلاً منها قد أضاء جانبا من المعنى الكلي، أو جوانب منه، أو دلت عليه إجمالاً.

فإذا ما جمعنا تلك الدلالات نجد أن المعنى العام قد اكتمل من جميع جوانبه التفصيلية، في تناغم أسلوبي ودلالي منقطع النظير، جمع بين خصوصية المعنى وتكامل الصورة.

---

١) انظر: مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: د/حاتم صالح الضامن، ط(٢)، مؤسسة الرسالة(بيروت)، (١٤٠٥هـ): (٤٨٩/٢).

٢) إعراب القرآن للنحاس: (٩٣/٣).

الفصل الثاني

الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في الجانب التشريعي والأخلاقي

المبحث الأول: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في موضوع الجهاد (الدعوة إلى الجهاد)

المبحث الثاني: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في التشريعات والأخلاق من خلال موضوع " الإنفاق "

لم يَحْضَ الجانبُ التشريعي والأخلاقي في القرآن الكريم بالنصيب الوافر من ظاهرة التكرار المعنوي كما حظي بذلك الجانبين العقدي والقصصي؛ إذ إنَّ كثيراً من علاقات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية والمالية والقضائية والسياسية، وكذلك الحدود والأحكام الشرعية ما جاءت إلا في فترة لاحقة، عندما توطدت دعائم الدولة الإسلامية في المدينة. ولذلك نجد أن أغلب هذه المعاني ما ورد إلا في السور المدنية دونما تكرار ملحوظ إلا فيما ندر؛ «ذلك أن التشريعات بطبيعتها لا تحتاج إلى تكرار. ويكفي الأمر بها مرة واحدة» [1].

فعلى سبيل المثال لم يرد حدُّ الزنى لغير المحصن إلا مرة واحدة، وكذلك الحال في حد زنى الإماء، وكذلك حد السرقة، وحد القذف، وحد المحاربة.. وغيرها من الحدود والأحكام الشرعية التي لم تذكر إلا مرة واحدة أو مرتين، أو أكثر قليلاً في بعض الأحيان، ولكنها لا ترقى إلى أن تُشكِّل ظاهرة من ظواهر التكرار المعنوي البارزة في القرآن الكريم.

فبعد أن تأسست العقيدةُ بالفعل في فترة التربية العقدية الطويلة في مكة، وقام بعد ذلك المجتمع المسلم والدولة المسلمة في المدينة، كانت الحاجة ماسةَ إلى أمرين مهمين:

أحدهما: وجود تنظيمات وتشريعات تحكم هذا المجتمع، ويسير عليها نظام تلك الدولة في جميع نواحي الحياة.

وثانيهما: الدعوة إلى فريضة شرعية مهمة تقوم على حماية تلك الدولة من أعدائها، ونشر الإسلام في الأرض ثانياً؛ هذه الفريضة هي الجهاد في سبيل الله. «ومن ثم يحتل هذان الموضوعان الجديدان معظم المساحة في السور المدنية»[2].

وبعد إجالة الباحث النظر طويلاً في المعاني التشريعية والأخلاقية التي وردت في القرآن الكريم بالإضافة إلى استشارة من أمكنة استشارته من أهل الرأي في هذا الجانب – وجد أن أبرز الموضوعات المتكررة في هذا الجانب موضوعان هما: الجهاد، والإنفاق.

فالموضوع الأول يمثل حكماً من أهم الأحكام التشريعية التي دعا إليها الإسلام.

---

١) دراسات قرآنية: (٢٥٦).

٢) المرجع السابق: (٢٧٤، ٢٧٥).

أما الموضوع الثاني فيمثل خُلُقاً من الأخلاق العظيمة التي حـــض عليهـــا ديننـــا الحنيف.وبهذا نكون قد مثلنا لكل جانب بمثال.

وقد عمد الباحث بعد ذلك – في المرحلة الثانية – إلى اختيار أبرز المعاني المتكررة في كل موضوع تماشياً مع منهج البحث في دراسة الظاهرة من خلال أبرز مواضعها.

وبناء على ما تقدم فقد تم تقسيم الفصل مبحثين:

المبحث الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في موضـــوع الجهاد (الدعوة إلى الجهاد).

المبحث الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنـــوي في موضـــوع الإنفاق.

المبحث الأول

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في موضوع الجهاد

(الدعوة إلى الجهاد)

يعد موضوع الجهاد أبرز الموضوعات والأحكام التي تناولها القرآن الكريم في العهد المدني، حيث تناول هذا الموضوع من جميع جوانبه، وتم التركيز بشكل واضح ومتكـــرر على أهم معنى من المعاني المندرجة تحت هذا الموضوع، وهو (الدعوة إلى الجهاد) والترغيب فيه، وبيان الغاية منه. وهذا المعنى هو لب موضوع الجهاد وجوهره.

وإذا كانت موضوعات العقيدة بمفرداتها المختلفة أكثر الموضوعات تكراراً وتنوعاً في السور المكية والمدنية على السواء، فإن الحديث عن العقيدة في السور المدنيـــة لم يأخـــذ المساحة التي كان يأخذها في السور المكية؛ لأنه هناك كان للتأسيس، وهو هنا للتذكير.

«فالموضوع المتكرر- إلى جانب العقيدة (في السور المدنية)- هو موضوع الجهاد في سبيل الله»[1]، الذي لم يفرض إلا في العهد المدني؛ ولذلك فأول سورة ورد فيها الدعوة إلى الجهاد هي سورة البقرة (الأولى في السور المدنية).

حيث تكررت الدعوة إلى الجهاد بصيغ متعددة. من أهمها صيغة الأمر، التي نكتفي بها؛ كونها وردت بمختلف صورها تقريباً، مما يضفي تنوعـــاً واضـــحاً في صـــور الأداء المتشابهة، والمعبَّر بها عن المعنى العام الواحد، الذي تنداح منه دلالات متنوعة، تتعدد بتعدد صور الأداء اللغوي في كل موضع. وفي ذلك ما يغني عن الإشارة إلى الشبيه والنظير.

وهذه مجرد إشارات وتلويحات، وإنما سينجلي الأمر منـــها ويـــبين إذا تُكُلِّـــم في التفاصيل، وأُفرد كلٌ بالتمثيل.

وهذا ما سنراه -بإذن الله- من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر بالقتال في سبيل الله:

١) دراسات قرآنية: (٢٥٦).

١-قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[١].

٢-وقال تعالى في البقرة أيضاً: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

٣-وفي سورة النساء: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾[٣].

فالمعنى العام واحد في المواضع الثلاثة، وهو الأمر بالقتال في سبيل الله. ولكن الدلالات المعنوية الدقيقة في كل موضع تختلف باختلاف سوابقها ولواحقها.

١- فالآية الأولى التي تمثل الموضع الأول « هي أول آية نزلت في الأمر بالقتال.. ومعناها : قاتلوا من قاتلكم وكفوا عمن كف عنكم ولا تعتدوا في قتال من لم يقاتلوكم»[٤]. فالأمر بالقتال في هذه الآية لم يكن مطلقاً، بل حصر القتال فيمن قاتل من الكفار والمشركين، وهذا يتناسب مع طبيعة المرحلة في زمن نزول هذه الآية التي نسخت فيما بعد بآية السيف الدالة قتال المشركين مطلقاً.

وقد وردت هذه الآية في سياق الأمر بالاستقامة بالتقوى من طريق معرفة الله سبحانه فقال في الآية المتقدمة :﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٥] قال "الفخر الرازي": « وأمر بالتقوى في طريق طاعة الله، وهو عبارة عن ترك المحظورات وفعل الواجبات فالاستقامة علم والتقوى عمل وليس التكليف إلا في هذين، ثم أمر في هذه الآية بأشد أقسام التقوى وأشقها على النفس، وهو قتال أعداء الله فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾»[٦].. فتضافر السياق الذي وردت فيه الآية مع زمن النزول في

---

١) البقرة: (١٩٠)

٢) البقرة: (٢٤٤)

٣) النساء: (٨٤).

٤) المحرر الوجيز: (٢٦٢/١).

٥) البقرة: (١٨٩).

٦) التفسير الكبير: (١٠٩/٥).

ورود الحكم أولاً، وتقييده ثانياً، ولذلك اختلفوا في دلالة قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ على وجوه لا يتسع المقام لذكرها[1].

٢- أما آية الموضع الثاني ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، فلم تشر إلى هذا التقييد؛ لأنها -على أحد الأقوال- «خطاب للذين أُحيوا. قال "الضحاك": أحياهم ثم أمرهم بأن يذهبوا إلى الجهاد؛ لأنه تعالى إنما أماتهم بسبب أن كرهوا الجهاد»[3]. وهذا القول لا يتم إلا بإضمار محذوف تقديره: وقيل لهم قاتلوا. والواو -على هذا- عاطفة على الأمر المتقدم المعنى.

فسياق الآية -على هذا القول- مختلف تماماً عن سياق الآية السابقة، وهذا الاختلاف ناشئ عن اختلاف المخاطَبين -إن صح هذا التوجيه -وهو ضعيف-، والدلالة مختلفة حتى على القول الثاني -«وهو اختيار جمهور المحققين-: أن هذا استئناف خطاب للحاضرين يتضمن الأمر بالجهاد، إلا أنه -ﷻ بلطفه ورحمته- قدَّم على الأمر بالقتال ذِكْرَ الذين خرجوا من ديارهم؛ لئلا يُنْكَصَ على أمر الله بحب الحياة بسبب خوف الموت، وليَعلَم كلُّ أحد يترك القتال أنه لا يثق بالسلامة من الموت، كما في قوله -تعالى-: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4]، فشجعهم على القتال الذي به وعد إحدى الحسنيين»[5]. وبناء عليه تصبح "الواو" في قوله: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ عاطفة جملة كلام على جملة ما تقدم.

والذي يبدو للباحث – والله أعلم- أنّ المرد هنا هو الأمر بالجهاد بناء على الضوابط السابقة المذكورة في قوله -تعالى-: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ..﴾[6] الآية. ويؤيد هذا التوجيه ما ذكره "الطبري" -في معنى الآية التي نحن بصدد تحليلها- أن المقصود من

---

١) يمكن الرجوع إليها مفصلة في التفسير الكبير للفخر الرازي: (١٠٩/٥).

٢) البقرة: (٢٤٤)

٣) التفسير الكبير: (١٤١/١٤٠/٦).

٤) الأحزاب: (١٦).

٥) التفسير الكبير: (١٤١/٦).

٦) النساء: (١٩٠).

قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: «من أمرتُكُم بقتاله من أعدائي وأعداء ديني، فإن من حيَّ منكم فأنا أحييته، ومن قُتل منكم فبقضائي كان قتلُه»[1] .

وأنَّى لهم أن يعرفوا مَنْ أُمِروا بقتاله من أعداء الله، إلا إذا كان الأمر بالقتال ابتداءً قد سبق في آية أخرى؟!؛ فينصرفَ الذهنُ مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾الآية، ولذلك لم يستدع السياقُ في الآية موضع التحليل بيانَ أن القتال إنما هو للمحارِبين فقط؛ كونه قد سبق.. كما لم يرد بعد ما ينسخه، فلم يأت النسخ إلا في سورة التوبة (الثالثة عشرة بعد المائة من حيث النزول)، وهذه السابعة والثمانون .

فالمعنى العام وإن كان واحداً في الموضعين، إلا أنه ليس ثمة ما يستدعي تكرار الألفاظ بعينها؛ نظراً لما تقدم.. كما أن المهم هو تثبيت هذا المعنى وتأكيده في الذهن.

بالإضافة إلى أن هناك غرضاً آخر من الأمر بالجهاد في هذا السياق بالذات، وهو ما أشرنا إليه – في النص الأخير المنقول عن "الرازي" في "التفسير الكبير" – من تحذير الله للمؤمنين من ترك الجهاد بسبب خوف الموت، كما فعل أولئك القوم من بني إسرائيل الذين قص الله قصتهم في الآية السابقة. وعليه ففي الدلالة هنا نوعٌ من الاختلاف؛ ولذلك جاء التعبير بهذه الصياغة فقط دونما تقييد﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. والله أعلم..

ثم خُتمت الآيه بقوله –تعالى–: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، أي« اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم سميعٌ لقول من يقول من منافقيكم لمن قتل في سبيلي: لو أطاعونا فجلسوا في منازلهم لَما قُتِلوا. عليمٌ بما تخفيه صدورهم من النفاق و الكفر وقلة الشكر لنعمتي وآلائي لديهم»[2] .

ومن المعلوم أنه لم يكن هذا القول من المنافقين إلا في عهد رسول الله ﷺ. وبناء عليه فإن في ختم هذه الآية بهذا التعبير ما فيه من الدلالة على ما ذكرنا .. فانظر كيف وضع كل تعبير في موطنه اللائق به أسلوباً ودلالة.

---

١) تفسير الطبري: (٢/٥٩١).

٢) المرجع السابق: (٢/٥٩١).

٣- وأما الموضع الثالث فقد كان الأمر بالقتال في سبيل الله موجهاً إلى النبي ﷺ بقوله ﷻ: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾[١]. فالفاء عاطفة لهذا الفعل على قوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٢]، وقيل على: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ﴾[٣]، وقيل على قوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾[٤] [٥].

ولهذا الأمر بصيغة خطاب المفرد خصوصياته؛ كونه سبحانه قد ذكر في الآي قبلها أن هناك مّنْ تثبّطَ عن القتال بعد أمره به؛ فأظهر الطاعة لرسول الله ﷺ وأضمر خلافها. فكان من المناسب سياقاً ومعنى أن يرد الخطاب إلى النبي ﷺ وحده: «فقاتل في سبيل الله» أي: «إن أفردوك وتركوك وحدك. لا تكلف إلا نفسك: غير نفسك وحدها أن تُقَدِّمَها إلى الجهاد، فإن الله هو ناصرك لا الجنود، فإن شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف.. ﴿وَحَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ﴾: وما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف بهم»[٦]

فانظر كيف ناسب هذا تماماً ما ذكر قبله في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[٧]، وقوله بعد ذلك: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[٨]، ثم قوله: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[٩].

وفي هذا التعبير ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ «تلوين للخطاب، وتوجيه إلى رسول الله ﷺ بطريقة الالتفات، وهو جواب شرط محذوف ينساق إليه النظم الكريم، أي: إذا كان الأمر كما حُكِيَ من عدم طاعة المنافقين، وكيدهم، وتقصير الآخرين في مراعاة أحكام الإسلام -فقاتل أنت غيرَ مُكْتَرِثٍ بما فعلوا.

---

١) النساء: (٨٤).
٢) النساء: (٧٤).
٣) النساء: (٧٥).
٤) النساء: (٧٦).
٥) انظر: التبيان في إعراب القرآن: (١/٣٧٦).
٦) الكشاف: (١/ ٥٧٤).
٧) النساء: (٧٩).
٨) النساء: (٨٠).
٩) النساء: (٨١).

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ أي: إلا فعل نفسك، استئناف مقرر لما قبله؛ فإن اختصاص تكليفه ﷺ بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده. وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التثبيط لا يضره ﷺ ولا يؤاخَذ به، [وقيل: في موضع نصب حال] ... وقرئ: "لا تُكلفْ" بالجزم على النهي، وقيل على جواب الأمر، وقرئ بنون العظمة، أي: لا نكلفك إلا فعل نفسك، لا على معنى لا نكلف أحداً إلا نفسك»[1].

المطلب الثاني: تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغ الأمر بالقتال مع كون المفعول به ضمير غائب:

١- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

٢- وقال في الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

فالتكرار المعنوي في هاتين الآيتين واضح أشد الوضوح بسبب وجود التشابه اللفظي الكبير بين التعبيرين. حيث حملتا معنى عاماً واحداً، هو «الأمر بالقتال لكل مشرك.. وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار»[4]؛ دليل ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: «لا يبقى شرك. وهذا التفسير الصحيح؛ دل عليه الكتاب والسنة؛ أما الكتاب فقد دل عليه قوله بعده في البقرة: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ وفي الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾... لأن الدين لا يكون كله لله ما دام في الأرض شرك كما ترى، وأما السنة ففي قوله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.."[5]، فالآية والحديث كلاهما دال على أن الغاية التي ينتهي إليها قتال الكفار هي ألا يبقى في

---

١) تفسير أبي السعود: (٢/٢٠٩).

٢) البقرة: (١٩٣).

٣) الأنفال: (٣٩).

٤) المحرر الوجيز: (١/٢٦٣).

٥) الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد الحنبلي، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، ط(١)، مكتبة النهضة الحديثة(مكة المكرمة)، (١٤١٠هـ): (٥/٢٧٨).

الأرض شرك»[1]. فـ﴿حَتَّى﴾ على هذا التقدير تكون بمعنى: "إلى أن"، ويجوز أن تكون بمعنى "كي". وأما ﴿تَكُونَ﴾ هنا فهي من "كان" التامة. وأما ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ فيجوز في "كان" هنا أن تكون تامة، أو ناقصة، ويكون ﴿لِلَّهِ﴾ هو الخبر[2]. والدلالة الهامة لهذا الأسلوب هي بيان العلة والغاية التي جاء الأمر بالقتال من أجلها، وهي درءُ الفتنة المتمثلة في الشرك ومنْعُها.

وقد حُملت الفتنة على الشرك؛ لأنه ليس بين الشرك وبين أن يكون الدين كله لله واسطة، «والمراد منه أن يكون تعالى هو المعبود المطاع دون سائر ما يُعبد ويطاع غيره. فصار التقدير كأنه تعالى قال: وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويثبت الإسلام...» [3].

والملاحظ أن الآيتين قد وردتا في سياق متشابه؛ فإن سورة البقرة قد وردت في سياق الأمر التدريجي بالقتال، حيث سبقها قوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[4]. ثم قوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[5] الآية. ثم جاءت هذه الآية مطلقة دون تقييد. وهناك مناسبة معنوية بين هذه الآية وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، «فالأول مسوق لوجوب أصل القتال، وهذا لبيان غايته»[6].

وأما آية سورة الأنفال فقد وردت بعد الإشارة إلى ما يعمله المشركون من معاص؛ كالصد عن المسجد الحرام، والمكاء والتصدية في الحرم، وما يبذلونه من أموال في الصد عن سبيل الله، ثم بيان أنهم سيُغلَبون وسيُحشَرون إلى جهنم، فبذلك يميز الله الخبيث من الطيب. ثم وجه الخطاب إلى النبي ﷺ؛ ليدعو الكفار إلى الانتهاء عن تلك المعاصي وإلا سيحل بهم ما حل بالأمم السابقة من العذاب، عقاباً لهم عما ارتكبوه..

---

١) أضواء البيان: (١١٨/٦).

٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (١٥٨/١).

٣) التفسير الكبير: (١١٣/٥).

٤) البقرة: (١٩٠).

٥) البقرة: (١٩١).

٦) روح المعاني: (٧٦/٢).

وهذا العذاب قد يكون بعضه في الدنيا على أيدي المؤمنين، ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[1] الآية، فجعل مقاتلة المؤمنين للكفار عذاباً عليهم من الله سبحانه. فكان المناسب سياقاً ومعنى أيضاً أن يرد الأمر بقتال الكفار؛ لغرض إنهاء شركهم، ولتكون كلمة الله هي العليا.

وهنا لفتة مهمة في أسلوب الخطاب الموجه للمؤمنين في قوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾، فقد واجه بالخطاب المؤمنين وأعرض به عن الكافرين، وفي ذلك إهانةٌ للكفار وإعراضٌ عنهم، فقال في الآيتين السابقتين في البقرة للآية التي نحن بصدد تحليلها: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ.. — وَأَخْرِجُوهُمْ.. — وَلا تُقَاتِلُوهُمْ.. — فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ.. — فَإِنِ انتَهَوْا..﴾[2]، ثم قال —في الآية التالية—: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

وكذا الحال في الأنفال؛ فقد قال: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنتَهُوا..﴾ الآية[3]، ثم قال – في الآية التالية—: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾، «وكان ﷺ إذا عتب على قوم قال: "ما بال رجال يفعلون كذا..". فكنى عنه تكرماً، وعبر عنهم بلفظ الغيبة إعراضاً»[4].

لسائل أن يسأل: إذا كان المعنى واحداً في الأمر بقتال الكفار في الآيتين فلأي فائدة قال في سورة البقرة: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فلم يؤكد، وعقبه بقوله: ﴿فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، في حين قال في سورة الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ فأكده، وأتبعه قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

يقول "الإسكافي" – مجيباً عن ذلك—: «والجواب عن ذلك أن يقال: الآية الأولى في هذه السورة[(البقرة)] جاءت في قتال أهل مكة ألا ترى قبلها: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهذا مختص بقتال قوم مخصوصين من أهل الشرك، وهم نازلةُ الحرم، فاقتصر على الدِّين من غير

---

١) التوبة: (١٤).

٢) البقرة: (١٩١،١٩٢).

٣) الأنفال: (٣٨).

٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي: (٢/٢٣٠).

توكيد، على معنى: حتى يكون الدين حيث هؤلاء، لا في كل مكان؛ لأنه لا يحصل بقتل المشركين في مكة الدينُ في كل البلاد.

وقوله –تعالى–: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، أي: إن انتهوا عن كفرهم فلا عدوان عليهم، إنما العدوان على من أقام على الضلالة، وظلم نفسه بلزوم الجهالة.

وأما ما في سورة الأنفال، فالأمر ورد عاماً في قتال كل الكافرين. ألا ترى أَنَّ قبل الآية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، وليس هذا في طائفة من الكفار دون طائفة، فإذا كان ذلك كذلك –وقال بعده: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، أي: لا يكون شرك وكفر –اقتضى هذا أن يكون بعده: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ فأُمِروا بإبطال كل كفر قَدَروا عليه.

وأَتْبَعَه قولَه: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: إن انتهوا وانتقلوا إلى الإيمان، وكَفَوْكم بما يُظْهِرون من الإسلام عن قتالهم، فالله يعلم عملكم وعملهم على القراءتين(يعملون– تعملون) جميعاً، فيكون الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المعاتبة للمقاتَلين..»[1].

فبان بهذا أوجه الاختلاف في الموضعين، وواضح من خلال هذا التوجيه أن "الإسكافي" قد اعتمد فيه بدرجة أساس على سياق المعنى ودلالته في الموضعين فوضعت الألفاظ في موضعها الصحيحة لتعبّير بدقّةٍ عن المعاني المرادة منها في كل موضع.

المطلب الثالث : تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر بالقتال مع كون المفعول به اسماً ظاهراً:

١–قال تعالى: ﴿ . .فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[2].

٢–وقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3].

---

١) درة التنـــزيل وعزة التأويل: (٢٦/٢٥).

٢) التوبة: (١٢).

٣) التوبة: (٢٩).

٣- وقال تعالى: ﴿ . .وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١).

٤- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

والملاحظ أن هذه الآياتِ كلَّها وردت في سورة واحدة، هي **"سورة التوبة"**. وتبرز الدعوة إلى الجهاد في هذه السورة بشكل كبير، فهي من أولها تهاجم الكفار والمشركين، وتفضحهم، وتدعو إلى قتالهم، وترغب في ذلك، وتبين فوائده وغاياته، وتحذر من التخاذل؛ لتؤكد القتالَ وتقررَهُ في النفوس: (﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾[٥] ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾[١٢] ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾[١٣] ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾[١٤] ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ﴾[١٦] ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ . . .كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾[١٩-٢٢] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ . . .أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾[٢٤]..) إلى غير ذلك من الآيات التي لا يتسع المقام لذكرها..

وإذا كانت الدعوة إلى الجهاد واحدة في المواضع الأربعة التي نحن بصدد تحليلها، فإنها تصب في مصب تأكيد الجهاد وتقريره في النفوس فما تكرر تقرر. هذا أولاً.

وثانياً: أن كل موضع من هذه المواضع أضاء جانباً من المعنى المراد حسب السياق الدلالي المقصود في كلٍّ. فهناك علاقة تكاملية بين هذه المواضع.

١- فقد ركز الموضع الأول على قتال أئمة الكفر ﴿ . .فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ (٣). وقد اختُلف في المقصود بأئمة الكفر هنا، ولعل الأقرب والأصوَب أنه لا يعني بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دونما تعيين، واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله ﷺ أن تكون الإشارة إليهم أولاً

---

١) التوبة: (٣٦).

٢) التوبة: (١٢٣).

٣) التوبة: (١٢).

بقوله: «أئمة الكفر »؛ إذا الذي يتولى قتال النبي، والدفع في صدر شريعته هو إمام كل من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم تأتي من كل جيل من الكفار أئمةٌ خاصةٌ بجيل جيل[1].

فهذه الآية ما نزلت إلا بعد أن استأصل الله شأفة قريش فلم يبق إلا مسلم أو مسالم.

وهناك مناسبة دلالية جميلة بين قوله: ﴿ ...وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ مع قوله في الآية نفسها: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ قال "الالوسي": «ولا يخفى حسن موقع الطعن مع القتال المدلول عليه بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: قاتلوهم. ووضع فيه الظاهر موضع الضمير»[2].

٢– أما الأمر بالقتال في الموضع الثاني فقد كان مختصاً بقتال أهل الكتاب حيث قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[3].

فقد نفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر، كما نفى عنهم تحريم ما حرم الله ورسوله، بالإضافة إلى عدم اعتقادهم واعتناقهم الدين الحق.

وهنا يبرز أكثر من تساؤل حول استخدام أسلوب النفي في بيان معتقدات أهل الكتاب وفضحهم. وكيف نَعَتَهم بأنهم لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، مع أنهم يؤمنون بالرب وبيوم القيامة؟!

يقول "الزمخشري":«إن قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ « بيان "للذين" [السابقة] مع ما في حيزه نفى عنهم الإيمان بالله؛ لأن اليهود مثنية، والنصارى مثلثة.

[ونفى عنهم] إيمانهم باليوم الآخر؛ لأنهم فيه على خلاف ما يجب. وتحريم ما حرم الله ورسوله؛ لأنهم لا يحرمون ما حُرِّمَ في الكتاب والسنة، وعن "أبي روق": لا يعملون بما

---

١) انظر: المحرر الوجيز (١٢/٣)، وتفسير القرطبي: (٨٤/٨).

٢) روح المعاني: (٥٩/١٠).

٣) التوبة: (٢٩).

في التوراة والإنجيل. وأن يدينوا دِين الحق: وأن يعتقدوا دين الإسلام، الذي هو الحق وما سواه الباطل. وقيل: دين الله»[1].

وواضح ما في الآية من تصريح بقتال هؤلاء إذا امتنعوا عن دفع الجزية. «والجزية الفِعْلة من جزى فلانٌ فلاناً ما عليه، إذا قضاه .. وأما قوله: «عن يدٍ» يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه. وكذا تقول العرب لكل معط قاهراً له شيئاً طائعاً له أوكارها: أعطاه عن يده وعن يد»[2]. وفي هذا دلالة على ذلتهم وعزة المسلمين، يؤكده قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: أذلاء مقهورون.

وقد جاء هذا الأمر بقتال أهل الكتاب إثر الأمر بقتال المشركين ومنعهم من أن يحوموا حول المسجد الحرام.. وفي هذا الترتيب المعنوي دلالة على الترتيب الزمني، حيث كان قتال أهل الكتاب متأخراً عن قتال المشركين.

وفي تكرار حرف النفي مع عامل الجر عند العطف في قوله: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ -في ذلك تأكيدٌ لنفي الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ.

وورود الآية بهذا الأسلوب المباشر في المعنى، والمحكم في الصياغة -قد جعلها تحمل أحكاماً ودلالات متعددة؛ فقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا﴾:«أمرٌ بالقتال، وقوله: ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: سبب القتال، وقوله: ﴿وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾: إلزام للإيمان بالبعث الثابت بالدليل، وقوله: ﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: بيان أن فروع الشريعة كأصولها. وأحكامها كعقائدها. وقوله: ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾: أمر بخلع الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ تأكيد للحجة، ثم بين الغاية، وبين إعطاء الجزية»[3] .

فتكرر الأمر بالقتال هنا؛ لأنه متعلق بهذه الطائفة من الناس وهم أهل الكتاب، فبان في ظاهره تكرار وفي باطنه غير ذلك؛ لاختلاف المتعلق به.

---

١) الكشاف: (٢/٢٤٩).

٢) تفسير الطبري: (١٠/١٠٩).

٣) أحكام القرآن، أبو بكر عمر بن عبد الله بن العربي، ت: محمد عبد القادر، دار الفكر (بيروت-لبنان)، (د.ت): (١/١٥٦).

٣- وأما قوله في الموضع الثالث: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾[١] فالأمر هنا عام بقتال جميع المشركين، فقوله «كافة» أي «جميعاً»، وهو مصدر كفَّ عن الشيء، فإن الجميع مكفوف عن الزيادة، وقع موقع الحال»[٢]، أي: محيطين بهم ومجتمعين، «ومِثْلُ هذا من المصادر عافاه الله عافيةً، وعاقَبَهُ عاقبةً -لا يُثَنَّى ولا يجمع، وكذا عامة وخاصة»[٣].

ومجيء الأمر بقتال المشركين كافة في هذا الموضع في الآية مناسبٌ لقوله قبل ذلك في الآية نفسها: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: في الأشهر الحرم، ويبدو أن المقصود بالظلم هنا«انتهاك حرمتهن، وارتكاب ما حُرِّم فيهن.. والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة، وأن الظلم ارتكاب المعاصي فيهنّ؛ فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم»[٤].

ودرءاً لمظنة أن المقصود بالظلم هو عدم القتال في الأشهر الحرم -أعقب النهي بالأمر بقتال المشركين كافة. فهذه الآية تأمر بقتال المشركين على العموم في حال قتالهم للمؤمنين كافة، وظاهر السياق مشعر بذلك.

وقد اختلف المفسرون في دلالة لفظ "كافة" أيما اختلاف ليس هذا مقام بيانه. والذي يبدو للباحث أن دلالة لفظ "كافة" الأول يوضحة استعمال "الكاف" في قوله بعده﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ فالظاهر- والله أعلم- أن معنى الآية هو: «الحض على قتالهم [(المشركين)] والتحزب عليهم وجمع الكلمة، ثم قيدها بقوله: ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ فبحسب قتالهم واجتماعهم لنا يكون فرض اجتماعنا لهم... وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: خبر في ضمن أمر بالتقوى، ووعد عليها بالنصْر والتأييد»[٥]. وواضح ما في هذا من ربط للأحكام الشرعية بالجوانب العقدية.

---

١) التوبة: (٣٦).

٢) تفسير البيضاوي: (١٤٤/٣).

٣) أعراب القران للنحاس: (٢١٣/٢).

٤) تفسير أبي السعود: (٦٣/٤).

٥) المحرر الوجيز: (٣١/٣).

٤- وننتقل إلى الموضع الرابع، وهو قول الله تعالى في أواخر سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[١].

والملاحظ أنه يكثر الخطاب للمؤمنين بـ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وعلى العكس من ذلك فيما يتعلق بالكافرين إذ يكثر الحديث عنهم على سبيل الغيبة. يقول"الزركشي": «وكثر الخطاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾على المواجهة وفي جانب الكفار على الغيبة إعراضاً عنهم»[٢]. وفي ذلك ما فيه من دلالة محبة الله للمؤمنين وتقريبهم منه، وبغض الكافرين وإبعادهم عنه.

فهذه الآية تأمر المؤمنين بقتال الأقرب فالأقرب من الكفار، فبعضهم حملها على قتال مَنْ حول المسلمين من اليهود وهم: بنو قريظة، والنضير، وفدك، وخيبر[٣]، وبعضهم حملها على قتال الروم؛ لأنهم كانوا يسكنون الشام، وهو قريب من المدينة مقارنة بالعراق وغيره[٤]. ونقل"ابن عطيه" عن"ابن زيد": « المراد بهذه الآية وقت نزولها العرب، فلما فرغ منهم نزلت في الروم وغيرهم»[٥]. وهذا القول الأخير يجمع بين الأقوال، والغرض العام هو المقصود من هذه الآية؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالعدو الأقرب أولى بالقتال من العدو الأبعد، إذْ خطر الأول أشد وأعظم. يقول "الزمخشري": « والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم، ولكن الأقرب فالأقرب أوجب، ونظيره ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٦]... وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أنه يقاتلوا من وَلِيَهُم، ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى»[٧].

---

١) التوبة: (١٢٣).
٢) البرهان في علوم القرآن: (٢/٢٣٠).
٣) انظر تفسير السمرقندي: (٢/٩٩).
٤) تفسير أبي السعود: (٤/١١٢).
٥) المحرر الوجيز: (٣/٩٧).
٦) الشعراء: (٢١٤).
٧) الكشاف: (٢/٣٠٩).

وقد جمع بعضهم بين هذه الآية وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾، فقال: «قاتلوا الأقرب فالأقرب حتى تصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبذلك يحصل الغرض من قتال المشركين كافة. فهذا إرشاد إلى طريق تحصيله على الوجه الأصلح»[1].

وقد تطرق هذا الموضع أيضاً إلى ما يجب أن يكون عليه المجاهد من خشونة وشدة على أعداء الله المحاربين دينه، والمناوئين أولياءه. وختم الآية بما ختم به سابقتها في الموضع الثالث بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، أي: بعونه ونصره، وهذا نظير قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾[3] الآية، وقوله: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ﴾[5]. وما شابهها.

وكلها -كما ترى- تربط ربطاً وثيقاً ومؤكَّداً بين تأييد الله ونصره، وصدق العقيدة والإيمان.

وهكذا نجد أن كل موضع من هذه المواضع التي تناولناها قد حمل دلالة جديدة وركز على معنى دقيق وتوجيه معين من توجيهات الأمر بقتال الأعداء بحيث لا نجد ذلك في الموضع الآخر. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هناك نوع من التدرج والترتيب الذي يجمع بين هذه الأوامر ومدلولاتها والذي -بدوره- أشاع تكاملاً معنوياً عجيباً فيما بينها؛ ليتأكد في النهاية المعنى العام الواحد -الذي تناولت جزئياتِه هذه المواضعُ- ويتقرر في النفوس والأذهان.

---

١) روح المعاني: (١١/٥٠).
٢) الروم: (٤٧).
٣) غافر: (٥١).
٤) محمد: (٧).
٥) الحج: (٤٠).

المطلب الرابع: تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر ﴿وَجَاهِدُوا﴾:

١- قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ...﴾ [١].

٢- وقال في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٢].

والجهاد ليس مختصاً بقتال الكفار فقط، فهذا معنى من معانيه. فالجهاد في اللغة: «المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء» [٣]. وأشار إلى هذا المعنى "لراغب الأصفهاني"[٤]؛ ولذلك فالجهاد أعم من القتال.

١- فقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: «لله - تعالى - ولأجل أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ، والباطنة كالهوى والنفس»[٥]. والتعبير بهذه الصيغة يحتمل أنه يريد جهاد الكفار، أو جهاد النفس، أو الشيطان، أو الهوى، أو العموم في ذلك[٦]. وليس هذا من الجمع بين الحقيقة والمجاز في شيء، بل يدل عليه الأسلوب التعبيري وتؤكده الدلالة المعنوية التي بيناها معجمياً فيما سلف.فهو شامل لجميع أنواع المجاهدة ، فيدخل في ذلك امتثال جميع ما أمر به، واجتناب كل ما نهى عنه.

وواضح من خلال تحليلنا للمواضع السابقة أن هذا المعنى الواسع لم يرد على الإطلاق، لأن الأمر فيها جاء بصيغة القتال المحصور في معنى معين.

وقد أكد الأمر بالجهاد على هذا النحو بقوله: ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ومعناه «المبالغة في الأمر بهذا الجهاد؛ لأنه أضاف الحق إلى الجهاد، والأصل إضافة الجهاد إلى الحق. أي: جهاداً خالصاً لله. فعكس ذلك لقصد المبالغة، وأضاف الجهاد على الضمير اتساعاً، أو

---

١) الحج: (٧٨).

٢) المائدة: (٣٥).

٣) لسان العرب: "مادة: ج هـ د" (١٣٥/٣).

٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(الراغب الأصفهاني)، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة(لبنان)، (د.ت): (١٠١/١).

٥) تفسير أبي السعود: (١٢٢/٦).

٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي: (٤٧/٢).

لاختصاص به –سبحانه– من حيث كونه مفعولاً له ومن أجله»[1]؛ ولذا فقد صحت إضافته إليه. و«حق» منصوبة على المصدرية.

«والآية في الأمر بالجهاد على أتم وجه؛ بأن يكون خالصاً لله تعالى لا يخشى فيه لومة لائم»[2] «فالجهاد في الله حق جهاده هو القيام التام بأمر الله ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ وغير ذلك»[3].

فانظر إلى سعة الدلالة وشمولها التي دل عليها التعبير بهذا الأسلوب الرفيع.

وهذا الاتساع في الدلالة مناسب لما ذُكر قبله في الآية السابقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]. فقد أمرهم بفعل الخير عموماً، ثم جاء بعده بلفظ يفيد العموم في بابه فقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، و لم يقل: "فقاتلوا" التي لا تعد إلا نوعاً من أنواع الجهاد.

٢– وأما قوله في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]، فقد وردت هذه الآية عقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين، وهذا أبلغ الوعظ؛ لأنه يرد على النفوس وهي خائفة وجلة، فيكون ذلك مدعاةً لرقة القلب وخشوع الجوارح.

فجاء بالخطاب المحبب إلى قلوب المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ آمراً إياهم بعد ذلك «بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحذر من سخطه وغضبه»[6] والوسيلة هي: القربة من قول قائل: توسلت إلى فلان بكذا بمعنى: تقربت إليه.

فقوله في الآية: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه»[1]، والظاهر أنه قدّم الجار والمجرور للأهمية والتخصيص.

---

١) فتح القدير: (٣/٤٧٠).
٢) روح المعاني: (١٧/٢٠٩).
٣) تفسير السعدي: (١/٥٤٧).
٤) الحج: (٧٧).
٥) المائدة: (٣٥).
٦) تفسير السعدي: (١/٢٣٠).

ولعل المراد من الأمر بابتغاء الوسيلة بعد الأمر بالتقوى. هو الاتقاء المأمور به نفسه «فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد... وقيل الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات. وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس، وفعل الطاعات المكروهة لها كلفةٌ ومشقة، عقَّب الأمر بها بقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة»[٢].فهناك مناسبة معنوية واضحة الدلالة في التعقيب بهذا الأمر.

قد يقول قائل: إن الجهاد يدخل في الأمر بابتغاء الوسيلة، كما يدخل في الأمر بالتقوى عموماً، فليس ثمة داع للأمر به بعد ذلك؛ إذ هو تحصيل حاصل، وإلا فما العلة في ذلك؟!

والجواب: إن الله سبحانه وتعالى قد خص الجهاد بالذكر هنا؛ لأهميته، فهو من أعظم أعمال البر؛ إذ هو ذروة سنام الإسلام قال"ابن عطية": «وقد دخل [(الجهاد)] بالمعنى في قوله: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ولكن خصه تشريفاً والوجه الآخر أنها العبادة التي تصلح لكل منهي عن المحاربة وهو مُعدِلُها من حالِهِ وسِنِّهِ وقوَّتِهِ وشَرَهِ نفسه. فليس بينه وبين أن ينقلب إلى الجهاد إلا توفيق الله تعالى»[٣].

ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة والمكانة العظيمة التي يتبوؤها الجهاد في الإسلام تكررت الدعوة إليه والأمر به بأساليب وصيغ متعددة كما رأينا؛ ولذلك وعد الله عليه بمضاعفة الأجور، على سبيل التأكيد في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٤]، فقد ذكر المسند إليه هنا صراحة، تأكيداً لوقوع المسند؛ «ففي ذكر اسم الله بعد الوعد ضمانٌ لتنفيذه»[٥].

---

١) تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط(٣)، دار المعرفة (بيروت)، (١٩٨٩م): (٥٣/٢).

٢) تفسير أبي السعود: (٣٢/٣).

٣) المحرر الوجيز: (١٨٧/٢).

٤) النساء: (٩٥).

٥) من بلاغة القرآن: (٩٥).

وهناك مواضع أخرى كثيرة في هذا الباب، لا يتسع المقام لتحليلها أسلوبياً ودلالياً. ونكتفي بذكر طرفٍ منها، مع بعض الوقفات التحليلية الخاطفة التي تستدعيها ضرورة البحث.

ومن ذلك أَمر الله للنبي ﷺ بجهاد الكفار بقوله تعالى مرتين في التحريم والتوبة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] وهذا من المواضع النادرة التي تكررت في القرآن الكريم دونما أدنى تغيير في اللفظ، وفي هذا دلالة على أهمية هذا المعنى؛ فما تكرر تقرر.

ومن ذلك أيضاً قوله –تعالى– في الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[2]، وقوله في البقرة: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[3]، وفي التوبة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[4]، وفي النساء: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات..

وقد رأينا كيف تكررت الدعوة إلى الجهاد، والأمر بقتال أعداء الله، بصيغ الأمر المتعددة؛ مما جعل موضوع الجهاد يقع خير موقع، ويؤثر في النفس أيما تأثير. وهذا كله يؤكد الأهمية البالغة للجهاد في الإسلام.

وبعد هذا التطواف المتواصل في ثنايا البنى اللغوية المشكلة لأداءات التعبير عن معنى واحد في الأساس –اتضح لنا أن القرآن الكريم يحرص على تناول المعنى الواحد من شتى جوانبه مستخدماً في ذلك مختلف الأساليب التي يستدعيها السياق ويسمح بها؛ وذلك بما يخدم دقة الدلالة وقوتها من جهة، ثم ترتيبها وتكاملها من جهة أخرى؛ بحيث لا يبقى جانب من جوانب المعنى المراد إلا استقصاه ودل عليه بما يناسبه من الأساليب.

---

١) التحريم: (٩)، والتوبة: (٣٧).

٢) الأنفال: (٦٥).

٣) البقرة: (١٩١).

٤) التوبة: (٥).

٥) النساء: (٧٦).

وليس هذا فحسب، بل إن التعبير القرآني يتعدى الاستقصاء المعنـــوي الـــدقيق إلى مراعاة مقام الخطاب بكل جوانبه الزمانية والمكانية ونوعية المخاطَبين، فترى في كل موضع تجديداً في الأسلوب وتغايراً في الدلالة يناسب المقام بكل مكوناته.

المبحث الثاني

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في التشريعات والأخلاق من خلال موضوع "الإنفاق"

سبق وأن ذكرت في المبحث الأول أن التشريعات والتنظيمات - بالإضافة إلى موضوع الجهاد، وإن كان واحداً من الأحكام التشريعية — هما الموضوعان اللذان احتلا معظم المساحة في السور المدنية.

وإذا كنا قد تناولنا في المبحث الأول حكماً تشريعياً مهماً يتمثل في تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية لموضوع الدعوة إلى الجهاد بوصفه أبرز الموضوعات التي تجلت فيها ظاهرة التكرار المعنوي، فإننا في هذا المبحث سنتناول خُلُقاً عظيماً من الأخلاق التي دعا إليها القرآن مرغباً وحاضاً، بل وموجباً لها كركن من أركان الإسلام التي لا يقوم إلا بها؛ هذا الخلق هو خلق "الإنفاق".

وإذا كنا سنتحدث عن الإنفاق في هذا المبحث، فإننا لا نقصد به جانباً معيناً من جوانب الإنفاق فقط، كالزكاة مثلاً، أو الصدقات التطوعية من غير الزكاة، أو ما شابه ذلك.. بل سيكون حديثنا عن الإنفاق بمعناه الشامل؛ لأن ظاهرة التكرار المعنوي تبرز فيه بشكل واضح..

ونظراً لما يحتله موضوع الإنفاق من أهمية بالغة، فقد ركز القرآن الكريم على أهميته وكرر الحديث عن هذا المعنى .

وسنبين ذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: بيان مكانة الإنفاق وفوائده:

١- قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) ﴾ [١].

٢- وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [٢].

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ . . ﴾ [٣].

٤- وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ [٤].

فهذه الآيات – كما ترى – تبين المكانة العظيمة التي يحتلها الإنفاق، والفوائد الجليلة المترتبة على ذلك.

١– والملاحظ من خلال الموضع الأول أن الإنفاق سمة مهمة من سمات المؤمنين، وأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الإنفاق وبين كثير من وجوه الخير: كالتوكل على الله، واجتناب الكبائر بأنواعها، والعفو، والاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والتزام الشورى، .. والآيات في هذا الباب لا يتسع المقام لذكرها [٥].

وما هذا الارتباط الوثيق بين هذه المعاني العظيمة والإنفاق إلا دلالة على أهمية الإنفاق في منظور الإسلام.

وقد جاء الإنفاق في الموضع الأول وصفاً للمؤمنين الذين ذكرت الآيات من أوصافهم ما ذكرت، ثم ختمت بقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾، وكان قبل ذلك قد قال: ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، بعد ذكره لدلائل التوحيد حيث حقّر في هذا التعبير شأن الدنيا؛ لأن هذه هي حقيقتها، «فإذا صغرت الدنيا في عين الرجل لم يلتفت

---

١) الشورى: (٣٦-٣٨).

٢) سبأ: (٣٩).

٣) البقرة: (٢٧٠-٢٧٣) (انظر فهرس الآيات: (٢٠٥)).

٤) الأنفال: (٦٠).

٥) انظر – على سبيل المثال – : (البقرة [١-٣]، الأنفال [٢،٣]، الحج [٣٤،٣٥]، السجدة [١٥،١٦].

إليها، فحينئذٍ ينتفع بذكر الدلائل.. وسماه متاعاً تنبيها على قلته وحقارته، ولأن الحس شاهد بأنّ كل ما يتعلق بالدنيا فإنه يكون سريع الانقراض والانقضاء»[1].

ثم قال: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، والعقل يقتضي ترجيح الخير الباقي على المتاع الفاني، مبيناً أن الخيرية لا تحصل إلا لمن كان موصوفاً بتلك الصفات التي ذكرها..

ثم ختم تلك الصفات العظيمة بصفة الإنفاق، فقال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾،«عبر بـ"مِنْ" التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله»[2].

وقد أضاف الرزق إليه سبحانه فقال: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾، ولم يقل: "ومن مالهم" للدلالة على أن المال الذي بأيديهم إنما هو رزق وفضل من الله، وهم مجرد قابضين لهذا المال لا مالكين على وجه الإطلاق. فيترتب على ذلك أن الإنفاق إنما يكون في الوجوه التي يرضاها صاحب المال الحقيقي – إن جاز التعبير – وهو الله – سبحانه – الذي نسب المال إلى نفسه في آية أخرى فقال: ﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [3].

وأصل "مما": "مِنْ مَا"؛ حيث إن "ما" في موضع خفض بـ "مِنْ" «وهي مصدر لا يحتاج إلى عائد. ويجوز أن يكون بمعنى الذي وتحذف العائد»[4]، وفي كلا الوجهين يجب أن تكون منفصلة "مِنْ مَا". و"مِنْ" متعلقة بـ"ينفقون"، والتقدير: وينفقون مما رزقناهم. و"رزقنا" يتعدى إلى مفعولين، وقد حُذف الثاني منهما هنا، وهو العائد على "ما" تقديره: رزقناهموه، أو رزقناهم إياه»[5].

وقي تأخير الفعل عن المفعول في قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أكثر من دلالة:

أحدها: الحفاظ على توافق رؤوس الآي المختومة بالواو والنون.

وثانيها: أن سمة التقديم والتأخير هي السائدة في السياق الذي وردت فيه الآية فقد سبقها: ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾.

---

١) التفسير الكبير: ١٥١/٢٧.

٢) أضواء البيان: (١٠/١).

٣) النور: (٣٣).

٤) إعراب القرآن للنحاس: (١٨٢/١).

٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: (١٨/١).

وثالثها: أن في لفظ "ينفقون" إخفاء . فهل هناك علاقة بين هذا الحكم التجويدي ودلالة اللفظ المعنوية؟!. يرى الباحث أنه قد تكون هناك علاقة تتمثل في دلالة أفضلية إخفاء الصدقة على إبدائها مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ . . ﴾[1] . وهذا جدير بالدراسة والنظر، فقد يكون سراً من أسرار القرآن .

مع العلم أن الباحث لم يأت بهذه الدلالة بدعاً، بل قد سبقه إلى ذلك زميله "الدكتور/ نجيب السودي" في بحثه القيم " محاورات الأنبياء لأقوامهم (دراسة أسلوبية)" وكان هذا الأمر محط اهتمام وتقدير لجنة التحكيم التي أوصت بطبع الرسالة[2].

ورابعها: أن الوقوف على "ينفقون" فيه مد زائد. ولعل في ذلك دلالةً على كثرة العطاء وامتداده، هذا بالإضافة إلى ما يتركه لفظ "ينفقون" من تثبيت للمعنى في الذهن؛ كونه آخر ما يعهده المستمع من الآية.. والله أعلم.

٢– ٣– ٤– وإذا ما انتقلنا إلى المواضع الثلاثة المتبقية، فإننا نجد أن هذه المواضع تبين أهمية الإنفاق من خلال التركيز على الفوائد الجليلة التي يجنيها المنفق لقاء إنفاقه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العظيمة التي يحتلها الإنفاق في ميزان الله سبحانه.

وهذه المواضع – كما ترى – تسلك في هذا البيان مسلكاً لغوياً واحداً في الإطار العام هو استخدام أسلوب الشرط. ولعل هذا الأسلوب هو الذي أضفى على هذه المواضع سمة التكرار المعنوي بشكل أكثر وضوحاً.

ولكننا عندما نقوم بتحليل هذه المواضع أسلوبياً ودلالياً، تتبين لنا الفروق الدقيقة الكامنة في كل منها:

– فقوله تعالى في الموضع الأول من هذه المواضع الثلاثة: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(٣٩) ﴾[3]. قد جاء بعد قوله مخبراً عن المترفين وقادة الشر: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ

---

١) البقرة: (١٧١).

٢) انظر هذا الأمر في: محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم ، نجيب على عبد الله السودي ، وزارة الثقافة والسياحة (اليمن) (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م): (١٠٥– ١٥٠).

٣) سبأ: (٣٩).

أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٣٥) ﴾ [١] فكان الرد: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٣٦) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ(٣٧) ﴾ [٢] ثم أعاد في بداية الآية موضع التحليل ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي: يوسعه لمن يشاء تارة ويضيّقه عليه أخرى، فهو في ظاهره تكرار، ولكنه في الحقيقة ليس كذلك باعتبار متعلّقه، «فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين»[٣].

وفي هذا التعبير حض على الإنفاق أي: فما دام الله – تعالى – وحده هو الذي يوسع الرزق ويضيقه فلا تخشوا الفقر، وأنفقوا في سبيل الله وطاعته، فكان من المناسب – بعد ذلك – سياقاً ومعنى أن يؤكد الترغيب في الإنفاق فقال: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ أي: «فهو يعوضه لا معوض سواه إما عاجلاً بالمال أو القناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلاً بالثواب الذي كل خَلَفٍ دونه»[٤]. و"يخلفه" من «خَلَفَ عليك خيراً أو بخير، وأخلف الله عليك خيراً، وأخلف لك خيراً» [٥].

وفي قوله: "من شيء" إطلاق، أي: أي شيء كان ولو يسيراً، وبالمناسبة فإن سورة سبأ مكية، ولم تكن الزكاة إذ ذاك قد فرضت، فالتعبير بلفظ النكرة (شيء) مناسب أيما مناسبة لفظاً ومعنى.

ومجيء الفاء مقترنة بالضمير العائد على الله – سبحانه – في جواب الشرط لتأكيد وقوع الخَلَف منه – جل جلاله –. وفي ذلك ما فيه من الحض الشديد على الإنفاق بضمانة العوض. فالإنسان بطبيعته ميّال إلى حب المال، فإذا ما تأكد من وجود العوض الوفير وأيقنه كان ذلك أدعى إلى مسارعته في الإنفاق..

---

١) سبأ: (٣٥).

٢) سبأ: (٣٦، ٣٧).

٣) تفسير البيضاوي: (٤/٤٠٤).

٤) الكشاف: (٣/٥٩٦).

٥) لسان العرب: "مادة: خ ل ف" (٩/٨٨).

والملاحظ أنه لم يرد التصريح بالخَلَف إلا في هذا الموضع من القرآن كلـه، وذلـك مناسب لأسلوب الخطاب البالغ في التقرير والتوكيد الذي تتميز به السور المكية أكثر من المدنية، وقوله: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(٣٩) ﴾ في ختام الآية: تذييل يؤيد ذلك العوض ويؤكده.

– أما الموضع الثاني فقد ورد في سورة البقرة في آيات متتالية حيث بدأ بقولـه – تعالى–: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ . . ﴾ [1]، ثم يتوالى الأسـلوب نفسـه لتنداح منه دلالات أخرى – تميز كل موضع عن الآخر، وهكذا حتى تكتمـل الصـورة الكلية من خلال المواضع مجتمعة ففي الآيات التالية لهذه الآية نجد قول الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ . . ﴾ [2]، ثم ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٢٧٢) ﴾ [3]، ثم ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾ [4].

فالآيات بمجملها تبين أهمية الإنفاق وفضله وفوائده المترتبة عليه حتماً مـن خـلال الدلالة القطعية التي يشيعها أسلوب الشرط والجزاء الحاضر في كل آية.

غير أن الصورة لا تكتمل ولاتتضح –كما أسلفت– من خلال موضع واحد، بل إن كل موضع من هذه المواضع يضيء جانباً من الصورة الكلية للمعنى العام.

أ– فالآية الأولى تتسم بالعموم في الحديث عن الإنفاق بأنواعه، وتتضـمن وعـداً بالثواب، ووعيداً لمن يمنع الزكاة أو ينفق لغير الله، كما يتضمن أسلوب التعـبير دلالات أخرى نذكرها في محلها..

وقد جاءت هذه الآية وما تلاها في سياق معنوي ملائم، وذلك بعد أمر الله المؤمنين أولاً بالإنفاق من أجود المال حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا

---

١) البقرة: (٢٧٠).

٢) البقرة: (٢٧١).

٣) البقرة: (٢٧٢).

٤) البقرة: (٢٧٣).

لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [1]. وثانياً: حذرهم من الشيطان الذي يثبطهم عن الإنفاق فقال: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ﴾ [2].

فلما توافرت التهيئة النفسية جاء الحث على الإنفاق وبيان أهميته وفوائده، وذلك في المرحلة الثالثة فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ الآيات[3].

وقد أطلق النفقة والنذر في الموضع الأول بصيغة النكرة ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ فأفاد ذلك دلالة العموم، قال "الزمخشري": «﴿ مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ في سبيل الله أو سبيل الشيطان ﴿ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ في طاعة الله أو في معصيته ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾: لا يخفى عليه، وهو مجازيكم عليه»[4].

فهذا بيان لحكم كلي شامل أفراد النفقات وما في حكمها سواءً كانت في حق أو باطل، في سر أو علانية قليلة أو كثيرة؛ ولذلك كان الجواب ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ بالتوكيد.

وهذا الجواب على اختصاره «يفيد الوعد العظيم للمطيعين والوعيد الشديد للمتمردين»[5]، فهو سبحانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب بناء على نية المنفق.

وإنما قال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ ولم يقل: يعلمها [6] لوجهين:

أحدهما: أن الضمير عائد إلى الأخير وهو "النَّذْر".

وثانيهما: أن الكناية عادت إلى "ما" في قوله: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ ؛ لأنها اسم، فمن المعلوم أن "ما" اسم شرط، وموضعها نصب بالفعل الذي يليها[7]. وهذا نظير قوله –

---

١) البقرة (٢٦٧).

٢) البقرة (٢٦٨).

٣) البقرة (٢٧٠-٢٧٣).

٤) الكشاف (٣٤٣/١).

٥) التفسير الكبير (٦١/٧).

٦) وقد تساءل الطبري قائلاً: لماذا لم يقل: يعلمها، وقد ذكر النذر والنفقة، على افتراض أن سائلاً سأل ذلك. فأجاب: «لأنه أراد "فإن الله يعلم ما أنفقتم ونذرتم"؛ فلذلك وحد الكناية». (انظر: تفسير الطبري (٩٢/٣).

٧) انظر: التبيان في إعراب القرآن: (٢٢٠/١).

تعالى-: ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ..﴾ [1]؛ فتكون "الهاء" في هذه الحالة عائدة إلى "ما".

كما أنشد "سيبويه" لـ"امرئ القيس":

فَتَوْضِحَ فَالْمِقْرَاةَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[2]

ويمكن اعتبار "ما" موصولة حذف عائدها من الصلة أي: وما أنفقتموه من نفقة. فإن عددناها شرطاً كانت الفاء داخلة على الجواب، وإن قدرناها موصولة كانت الفاء مزيدة في الخبر. وتظل دلالةُ التوكيد ماثلةً في كلا التقديرين.

وأما تذييله لهذه الآية بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ فقد حمل أكثر من دلالة منها أنه وعيد شديد للظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي عموماً، أو ظلموا غيرهم بصرف الإنفاق إلى غير مستحقيه والأولى الحمل على العموم من غير تخصيص لما يفيده السياق، أي: ما للظالمين بأي مظلمة كانت من أنْصار[3].ومن هذا التعبير نستدل على أن الظالم هو الواضع للشيء في غير موضعه.

ب- أما الآية التالية فقد اختصت بالحديث عن فضل إبداء الصدقات وإخفائها، وبالتالي فإن دلالتها أخص من دلالة سابقتها؛ إذْ المراد منها صدقة التطوع، حسب رأي جمهور المفسرين[4].

وقوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: فنعم شيئاً إبداؤها[5] فالفاء جواب للشرط، و"نِعم" فعل ماض جامد، وفاعله مضمر، و"ما" نكرة تامة بمعنى شيء، وهي المخصوص بالمدح منصوبة على أنها تمييز، أي: نعم الشيء شيئاً. و"هي" مبتدأ مؤخر عائد للصدقات، أي: إبداؤها أولى، و"نِعم" وفاعله خبر مقدم؛ فيكون التقدير: الصدقة نعم الشيء، واستغنى عن ضمير يعود إلى المبتدأ؛ لاشتمال الجنس على المبتدأ، فالرابط العموم.

---

١) البقرة: (٢٣١).

٢) انظر : ديوان امرئ القيس: (١٥).

٣) انظر: فتح القدير: (٢٩٠/١).

٤) انظر – على سبيل المثال لا الحصر –: (الكشاف (٣٤٣/١)، وتفسيرالطبري: (٩٢/٣)، وتفسيرالقرطبي: (٣٣٢/٣).

٥) تفسير البيضاوي: (٥٧١/١).

ويمكن أن تكون "هي" خبراً لمبتدأ محذوف كأن قائلاً قال: ما الشيء الممدوح، فيقال: هي، أي: الممدوح الصدقة[1].

وأصل "نِعِمَّاء": "نعم ما"، إلا أنه أدغم أحد الميمين في الآخر وفيها أكثر من قراءة أهمها قراءة "ابن كثير" و"ورش" و"حفص" بكسر النون والعين للإتباع، وهي لغة هذيل. وقرأ "ابن عامر" و"حمزة" و"الكسائي" بفتح النون وكسر العين على الأصل، كـ(عَلِمَ)، وقرأ "أبو عمرو" و"قالون" و"أبوبكر" بكسر النون وإخفاء حركة العين[2]. والظاهر أن هذا الإخفاء لحركة العين هو على سبيل الاختلاس، وليس على سبيل التسكين المحض؛ لأن الأخير يقتضي الجمع بين ساكنين، وهو غير جائز إلا فيما إذا كان الحرف الأول منهما هو حرف المد واللين، نحو: "دابّة وشابّة"؛ لأن ما في الحرف من المد يصير عوضاً عن الحركة[3]. وليس ههنا كذلك.

وقد حَكَى "القيسي" أن في "نِعم" أربع لغات[4]. وقد قرئ بها جميعاً.

وقد حوت الآية شرطين يتعلق الأول بإبداء الصدقات، والثاني بإخفائها. ولعل في هذا نوع تفصيل لِمَا أُجْمِلَ في الشرطية المتقدمة في قوله: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ .. ﴾.

فأثنى في هذه الآية على الإبداء، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء. وفي ذلك ما فيه من دلالة الترغيب في الأمرين -وإن اختلفا في الأفضلية-؛ دل على ذلك قوله: ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ في جواب الشرط الأول الخاص بصدقة العلانية، ثم قوله: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ جواباً للشرط الثاني الخاص بصدقة السر.

ثم ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، وفيه إشارة إلى تفضيل صدقة السر على العلانية. والمعنى أن الله عالم بالسر والعلانية، وأنتم إنما تريدون بالصدقة طلب مرضاته -سبحانه-، فقد حصل مقصودكم.. فكأنهم نُدبوا بهذا التذييل المناسب للآية إلى الإخفاء؛ ليكون أبعد من الرياء.

---

١) انظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (٢٢١/١).

٢) انظر روح المعاني (٤٤/٣).

٣) انظر مزيداً من التحقيق لهذه القراءة وغيرها في: التفسير الكبير: (٦٣/٧، ٦٤).

٤) انظر: مشكل إعراب القرآن، للقيسي (١٤١/١).

وفرقٌ كبير بين الإجمال في الأولى والتفصيل في الثانية التي أصبحت علاقتها بسابقتها علاقة الخاص بالعام. ولا عبرة هنا بتوافق الأسلوب بل بتغاير الدلالة. فبان بهذا أن كلاً من الآيتين حمل دلالة خاصة به، مع المحافظة –في الوقت نفسه– على التماثل الأسلوبي المحكوم بسياق التعبير من جهة، والتكامل الدلالي المترابط في إطار المعنى العام من جهة أخرى.

ج- أما الآية الثالثة في هذا الموضع، فهي قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)﴾ [1]

فقد بين الله في هذه الآية أن فائدة النفقة تعود على المنفِقين، بغض النظر عن المنفَق عليه؛ فقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ أي: «كل نفقة تنفقونها من نفقات الخير فإنما هي لأنفسكم، أي: ليحصل لأنفسكم ثوابها، فليس يضركم كفرهم»[2]؛ دل على ذلك أسلوب الشرط القطعي في صيغة جزائه ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

وما قلناه في تخريج الشرط السابق في قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ..﴾ ينطبق على الشرط الموجود ههنا في قوله – تعالى -: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، مع اختلاف في صيغة الشرط؛ حيث جاءت هناك بصيغة الماضي، وهي هنا بصيغة المضارع. وغير خاف ما في المضارع من دلالة الاستمرار والتجدد؛ إذْ يدل على الحال والاستقبال، وفي ذلك ما فيه من الحض على الصدقة والترغيب فيها على الدوام.

وقوله ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: "مِنْ" تبعيضية متعلقة بمحذوفٍ وقع صفة لاسم الشرط، ومخصِّصة له[3].

وقد عبر عن المال المنفَق بالنكرة ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾، ولم يقل من الخير بلام العهد؛ لإفادة دلالة العموم، وحصول الجزاء للإنفاق بغض النظر عن مقداره قليلاً كان أو كثيراً.

---

١) البقرة (٢٧٢).

٢) التفسير الكبير (٦٨/٧).

٣) انظر روح المعاني: (٤٥/٣).

ثم قال ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ ،فـ"ما" هنا حرف نفي، والتعبير في ظاهره خبر إلا أن معناه نهي، أي: «ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله»[1].

ويمكن ربط هذا المعنى بما ورد في صدر الآية من قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾، فيكون التقدير: ولستم في صدقتكم على أقاربكم من المشركين تقصدون إلا وجه الله، فقد علم الله هذا من قلوبكم؛ فأنفقوا عليهم إذا كنتم إنما تبتغون بذلك وجه الله في رَحِمٍ وسَدِّ خُلَّةِ مضطر، وليس عليكم اهتداؤهم حتى يمنعكم ذلك من الإنفاق عليهم. وهذا محمول على الإنفاق من غير الفريضة(الزكاة). أو يكون التقدير: ولا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم الذي يفيد المدح؛ حتى تبتغوا بذلك وجه الله[2].

وفي هذا التعبير استثناءٌ من عموم العلل وعموم الأحوال، أي: ما تنفقون بسبب من الأسباب إلا لهذا السبب أو في حال من الأحوال إلا في هذه الحال. «والجملة إما حال أو معطوفة على ما قبلها على معنى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾ »[3].

وفي قوله: ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ دلالةٌ التشريف والتعظيم في الذكر؛ لأن وجه الشيء أشرف ما فيه، ثم كثر حتى صار يعبَّر عن الشرف بهذا اللفظ. كما أن في هذا التعبير دلالة التخصيص؛ لأنك إذا قلتَ: فعلتُ هذا الفعل لفلان «ففهنا يحتمل أن يقال: فعلته له ولغيره أيضاً. أما إذا قلتَ: فعلتُ هذا الفعل لوجهه، فهذا يدل على أنك فعلت الفعل له فقط، وليس لغيره فيه شركه»[4].

ثم كرر الشرط ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ(٢٧٢) ﴾، تأكيداً للشرطية السابقة، وزيادة في الترغيب والتأكيد على ثبات الأجر ومضاعفته وعدم نقصانه. والله أعلم.

د- ثم إنه لما بين في هذه الآية أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان.. بيَّن في الآية التالية من يكون أكثر الناس استحقاقاً بصرف الصدقة إليه، فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ

---

١) روح المعاني: (٦٨/٧).

٢) انظر: المرجع السابق: (٦٩/٧).

٣) روح المعاني: (٤٦/٣).

٤) التفسير الكبير: (٦٩/٧).

أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾ [1].

فبيّن في هذه الآية أن أكثر الناس استحقاقاً للصدقة هم الفقراء الذين وصفهم الله في هذه الآية. فقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بقوله في الآية السابقة: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ ﴾، أي: اجعلوا ذلك للفقراء، أو خبر مبتدأ محذوف: أي إنفاقكم للفقراء[2].

فلما ذَكَر صفات هؤلاء الفقراء المستحقين للصدقة – قال بعدها: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾، فختم الآية بهذا الشرط، وهو نظير الشرط الذي ذُكِر في نهاية الآية السابقة في قوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾. غير أن كل شرط منهما له ارتباط دلالي بالمعنى الذي سبقه والسياق الذي ورد فيه؛ ولذلك اختلفت صيغة الجواب في كلٍ. فلما كان ذلك كذلك؛ انتفت علة التكرار المحض، وانصرف التكرار المعنوي ههنا إلى المعنى العام ليس غير.

وقد ذكر "الرازي" أن هذا ليس من باب التكرار، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه لما قال: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ وكان من المعلوم أن توفية الأجر من غير بخس ونقصان لا يمكن إلا عند العلم بمقدار العمل وكيفية جهاته المؤثرة في استحقاق الثواب لا جرم[(لا محالة)] -كرر في هذه الآية كونه ﷻ عالماً بمقادير الأعمال وكيفياتها.

والوجه الثاني: وهو أنه – تعالى – لما رغب في التصدق على المسلم والذمي، قال: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ بين أن أجره واصل لا محالة، ثم لما رغب في هذه الآية في التصدق على الفقراء الموصوفين بهذه الأوصاف الكاملة، وكان هذا الإنفاق أعظم وجوه الإنفاق لا جرم، أردفه بما يدل على عظمة ثوابه فقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[3]. فكان هذا التعبير أدق في بيان المراد أسلوباً ودلالة.

---

١) البقرة: (٢٧٣).

٢) فتح القدير: (٦٩١/٧).

٣) انظر: التفسير الكبير: (٧٣/٧٢).

كما أن في التماثل الشرطي، والتشابه اللفظي، بالإضافة إلى التكامل الدلالي في إطار المعنى الواحد –تأكيداً على هذا المعنى وتقريراً له في النفوس.

– وإذا ما انتقلنا إلى الموضع الأخير من هذه المواضع، وهو قول الله –تعالى– في سورة الأنفال: ﴿ . . وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ(٦٠) ﴾[1] فإننا نجد التماثل الشرطي حاضراً أيضاً.. مع بعض الاختلاف الحاصل في البنية اللفظية، يتمثل في استبدال لفظ "خير" بلفظ "شيء"، وزيادة "في سبيل الله".

والناظر إلى صدر هذه الآية يجد أنها تأمر بأخذ العدة للعدو، وتحض على ذلك: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. . ﴾ الآية؛ وبالتالي فقد تعلق آخر الآية بأولها من حيث الدلالة، فأُوِّل على أن المراد بـ"شيء" ههنا هو المال، الذي ينفَق على السلاح والخيل وما شابه ذلك من مستلزمات الحرب. وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين[2].

وفي التعبير بلفظ "شيء" دلالةٌ على مكانة النفقة في سبيل الله وفضلها عند الله، قليلةً كانت أو كثيرة. فلا يتردد المسلم في النفقة في سبيل الله بحجة أنه يعدها قليلة، بل ينفق ما يستطيع، فهي عند الله عظيمة.

ولما كان لفظ "شيء" فيه عموم أكثر من لفظ "خير"؛ إذ يدخل في الأول –من حيث المعنى الظاهري للفظ– كلُّ ما ينفقه الإنسان، سواء أكان في وجوه الخير أم الشر؛ فحسُن تقييدُه بقوله عقبه: ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾، أي: في طاعته «ويدخل في ذلك النفقة في الإعداد السابق والجهاد دخولاً أولياً وبعضهم خصص اعتباراً للمقام»(٣)، كما ذكرنا آنفاً. فناسب التعبير بقوله: ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾من أكثر من وجه؛ حيث وضع كل لفظ في مكانه..

---

١) الأنفال: (٦٠).

٢) انظر – على سبيل المثال–: (تفسير الواحدي (٤٤٦/١)، وتنوير المقباس (١٥١/١)، وفتح القدير: (٣٢١/٢).

٣) روح المعاني (٢٧/١٠)

المطلب الثاني: الإنفاق قرض بين العبد وربه:

نظراً لما يمثله الإنفاق والبذل في وجوه الخير من أهمية بالغة في إحداث نوع من التوازن الطبقي، والأمان المعيشي، والتكافل الاجتماعي فقد بين القرآن الكريم أهمية الإنفاق وفوائده التي يجنيها المنفق، حيث جعله بمثابة القرض بين العبد وربه، وذلك من خلال العديد من الآيات التي تركزت حول هذا المعنى فبدت في ظاهرها وكأنها تفيد المعنى نفسه في كل موضع من مواضعها، الأمر الذي حدا بالباحث إلى تصنيفها ضمن مواضع التكرار المعنوي الذي يُعنى بها هذا البحث.

وأبرز هذه المواضع ما يأتي:

١- قال تعالى: ﴿ . . فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ (١).

٢- وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٢).

٣- وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤).

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٥).

فهذه الآيات تبرز أهمية الإنفاق من حيث كونه قرضاً مضاعف الأرباح والأجور، على سبيل التأكيد والجزم. وذَكَرَ لفظَ القرض تقريباً للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما

---

١) المزمل (٢٠).
٢) البقرة (١٤٥).
٣) الحديد (١١).
٤) الحديد (١٨).
٥) التغابن (١٧).

ينتظر المسلف رد ما سلَّف. وهذا من كرم الله تعالى، حيث سماه قرضاً والمال ماله، والعبيد عبيده، ووعَدَ بالمضاعفة عليه أضعافاً كثيرة.

فالإنسان بطبيعته يَرْغَبُ في الزيادة ويحب المعاوضة ، بل ويسعى إليها خاصة إذا كانت مشفوعة بضمانات مؤكدة كما هو الحال في هذه المواضع.التي تنوعت فيها أساليب العرض وطرائق الإقناع مراعية في ذلك سياق التعبير المنسجم مع مقام الخطاب وحال المخاطبين .

ومن خلال نظرة تحليلية سريعة إلى البنية اللغوية المشكلة لأداءات التعبير الخاصة بكل موضع على حدة نجد الآتي:

١– لقد استخدم في الموضع الأول أسلوب الأمر المباشر ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ المتلائم مع سياق الأمر الوارد في الآية.

«وأصل القرض في اللغة: القطع، وفي الشرع: قطع جزء من المال يعطيه لمن ينتفع به، ثم يَرُدُّه، أي: أن الله تعالى يردُّه. وقد سمّى معاملته مع عبيده قرضاً وبيعاً وشراءً وتجارةً»[1].

والظاهر أن هذا الأمر محمول على سائر الصدقات؛ فسورة المزمل الوارد فيها هذا الأمر هي الثالثة من حيث النزول. ومن المعلوم أن القرآن المكي يتسم بعمومية الخطاب أكثر من القرآن المدني. ثم عقب بأسلوب الشرط ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ.. ﴾ على سبيل القطع. ثم التأكيد بضمير الشأن "هو" قبل ذكر المفعول الثاني لـ"تجد" وهو قوله: "خيراً" ثم العطف بقوله [وأعظم أجراً]، وفي هذه التعبيرات والأساليب ما فيها من دلالات التأكيد على حصول ثواب الإنفاق ومضاعفة أجوره لا محالة.

٢– ٣– أما الموضعان الثاني والثالث فقد استخدم فيهما أسلوب الاستفهام ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾، وهو«استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق»[2].

---

١) أضواء البيان،٨/٢٠٥.

٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٨٧).

و"مَنْ": مبتدأ، و"ذا": خبره، و"الذي": نعت لـ"ذا" أو بدل منه و"يُقْرِض": صلة"الذي"، وقوله: ﴿قَرْضاً﴾: اسم للمصدر، و"حسناً": يجوز صفة لمصدر محذوف تقديره: من ذا الذي يقرض الله مالاً إقراضاً حسناً.. ويجوز أن يكون صفة للمال بمعنى: طيِّباً أو كثيراً [1].

أما قوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾، مَن رَفَعَه عَطَفَه على ما في الصلة، وهو "يقرض". ويجوز رفعه على الاستئناف والقطع مما قبله. ومن نصبه حمله على وجهين: أحدهما: العطف بالفاء على المعنى دون اللفظ ولا يصح ذلك إلا بإضمار "أنْ" ليصير مصدراً معطوفاً على مصدر تقديره: من ذا الذي يكون منه قرضٌ فمضاعفة من الله، أو: من يكن منه قرض يتبعه أضعاف.

وبيانه أنه لما كان معنى صدر الكلام المصدر، جُعِل الثاني المعطوف بالفاء مصدراً؛ ليعطِفَ مصدراً على مصدر، فاحتاج إلى إضمار "أنْ"[2].

«والوجه الثاني: أن يكون جواب الاستفهام على المعنى؛ لأن المستَفهَم عنه وإن كان المُقْرِض في اللفظ، فهو عن الإقراض في المعنى، فكأنه قال: أيقرض اللهَ أحدٌ فيضاعفَه»[3].

ولا يجوز أن يكون جواب الاستفهام على اللفظ؛ لأن المستفهم عنه في اللفظ هو المُقْرِض الذي هو فاعل القرض، وليس القرض نفسه.

وفي تكرار التعبير بهذا الأسلوب الفريد في السورتين -مبالغةٌ في الحث على الإنفاق وبيان أهميته. كما أن في إخراج مضاعفة الجزاء على صيغة "المفاعَلة" ("فيضاعفه") -قصداً للمبالغة. ثم اختَلَف التعبير في الجزء الثاني في البقرة عنه في الحديد، حيث قال في الأولى: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وقال في الثانية: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

---

١) انظر مشكل إعراب القرآن للقيسي (١/١٣٣) .

٢) انظر مشكل إعراب القرآن للقيسي (١/١٣٣) – والتبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/١٩٣، ١٩٤).

٣) التبيان في إعراب القرآن (١/٩٤).

فقوله: ﴿أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ أي: «كثرةً لا يُقَدِّرُها إلا الله ﷻ ... و"أضعاف" جمع "ضِعْف"، ونصَبَه على الحال من الضمير المنصوب، أو المفعول الثاني؛ لتضمُّن المضاعفة معنى التصيير، أو المصدر على أن الضِّعف اسم مصدر، وجمَعَه للتنويع»[1].

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾، فقدم القبض على البسط؛ «قدم القبض؛ لأن قبله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾، وكان هذا بسطاً، فلا يناسب تلاوة البسط؛ فقدم القبض لهذا، وللترغيب في الإنفاق؛ لأن الممتنع منه سبب خوفه القلة، فبيّن أن هذا لا ينجيه، فإن القبض مقدور ولا بد»[2]، فكان هذا التعبير بمثابة التأكيد على ما سبق. فإذا رسخ في ذهن المؤمن أن الله هو القابض الباسط، وبيده التقتير على ما يشاء والتوسعة لمن يشاء -كان ذلك أدعى إلى أن ينفق مما آتاه الله، وقَدَرُ الله واقع عليه لا محالة، سواء أكان هذا القَدَرُ غِنَىً أم فقراً.

«ولعل تأخير البسط على القبض في الذكر للإيماء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء».[3] فناسب كل لفظ في مكانه من جميع الوجوه.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فالتفت من الغيبة إلى الخطاب للتنبيه على أن الدنيا منقضية بما فيها وهذا ادعى إلى عدم الاغترار بها والبخل بمتاعها الزائل الذي سيحاسبون عليه يوم القيامة. والله أعلم.

أما موضع سورة الحديد فقد ختم الآية بقوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، ففي ذِكْرِ المضاعفة إشارة إلى أنه تعالى يضم إلى قدر الثواب مثلَهُ من التفضيل، والمعنى أن «ذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريمٌ في نفسه»[4]، وحقيقٌ بأن يَتَنافسَ فيه المتنافسون وإنْ لم يُضاعَفْ، فكيف وقد ضوعف أضعافاً كثيرة؟!

والظاهر أنه لم يصرح هنا بعبارة "أضعافاً كثيرة"؛ اكتفاءً بما ذكر في موضع سورة البقرة، فاستغنى بدلالة "يُضاعِف"، ثم دلالة قوله: ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

---

١) تفسير البيضاوي (٥٣٨/١).

٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٦٣/٣).

٣) تفسير أبي السعود (٢٣٨/١).

٤) الكشاف (٤٣٧/٤).

٤– أما الموضع الرابع، وهو قوله ﷻ في سورة الحديد: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١] –فإنه لما ذكر المصّدّقين والمصدقات عطف على معناه ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ..﴾ لأنها متقاربات جداً في المعنى. فكان هذا العطف من باب التأكيد على الإنفاق والترغيب فيه. وكذلك الحال في قوله: ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فيه مبالغةٌ في التأكيد.. والله أعلم.

٥– وأما الموضع الخامس، فهو قوله ﷻ في سورة التغابن: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢].

فقد استخدم هنا أسلوب الشرط للدلالة على أن حصول المضاعفة للأجور والغفران للذنوب يتحقق بتحقق الشرط ،وهو الإنفاق.

ولا يكون القرض لله إلا إذا قصد به العبد وجه الله، وصرفه فيما أمره الله به، فَوَضَعَهُ في موضِعِه. «وذِكْرُ القرض تلطفٌ في الاستدعاء »[٣]، «وفي الكلام استعارة تمثيلية »[٤].

ولا يسمَّى القرضُ بالحَسَنِ إلا إذا كان مقروناً بالإخلاص وطيب النفس.

والملا حظ في أسلوب القرآن عامة، وهو يتناول التشريعات والأحكام –أنه يتميز بالهدوء غالباً. يقول "أحمد بدوي"«ويتسم الأسلوب القرآني بالهدوء عندما يتطلب الأمر هدوءاً وتأملاً وفضل تدبر،كما في الآيات التي تدعو إلى إعمال الفكر، وفي القصص والأخبار والأحكام... »[٥]؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون الأحكام تستدعي تطبيقاً وتنفيذاً، لا إثارةً وتشويقاً.

---

١) الحديد (١٨).

٢) التغابن (١٧).

٣) الكشاف،٤/٥٥٢.

٤) روح المعاني٢٨/١٢٨.

٥) من بلاغة القرآن: (١٨٧،١٨٨).

الفصل الثالث

الخصائص الأسلوبية والدلالية

للتكرار المعنوي

في الجانب القصصي

القصة القرآنية والتكرار المعنوي:

لقد شغلت القصة القرآنية حيزاً واسعاً من كتاب الله تعالى، لا يقل عن الربع -إن لم يزد قليلاً- وما ذاك إلا للأهمية البالغة التي يحتلها القصص القرآني، ضمن المعاني القرآنية ، ولا عجب في ذلك، فالقصة القرآنية، لم تأت لتقرر هدفاً واحداً فحسب، وتنتهي بمجرد انتهائه.

«إذ القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه ،وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق -إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية»[1].

وتعد ظاهرة التكرار في القصة القرآنية أبرز ظواهر التكرار المعنوي في القرآن الكريم. هذا التكرار الذي استوقف كثيراً من الدارسين والباحثين، واسترعى أنظارهم، واستحث تفكيرهم بكثير من الأسئلة ، سواءً أوقفوا أمام التكرار الكلي للقصة أم الجزئي لبعض أحداثها. فأمعنوا النظر والتفكير في المعاني والأساليب والفوائد والدلالات، فاستخرجوا كنوزاً عظيمة من ذلك، واعترفوا بوجود الكثير الكثير، ولكن ما وصلوا إليه هو غاية مستطاعهم، فلعل من يأتي من ورائهم يستطيع أن يكشف الغطاء عن بعض ذلك الكثير ..

ولعل من نافلة القول أن أشير هنا إلى أهم تلك الفوائد والدلالات التي ارتبطت بالتكرار القصصي في القرآن الكريم ؛ فقد ربطها بعضهم بالحاجات الديموغرافية والاجتماعية للقبائل العربية في عصر صدر الإسلام. وربطها بعضهم بوجود إضاءات معنوية جديدة في كل مرة، وربطها آخرون بوجود إضافات سياقية استلزمها الجو العام للسورة، وفرضها أسلوب العرض المعني للقصة شكلاً وموضوعاً، بما يتناسب والمعاني المطروحة والموضوعات المتناولة،فظهر ذلك في التعبيرات اللغوية المشكلة لأداءات القصة، وأساليب العرض الموضوعية من بسط أو إيجاز أو توسط.

و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل لقد رأى فريق رابع أن التكرار في القصص القرآني له ارتباط وثيق بطبيعة المخاطبين بهذا القصص، والعلل التي من أجلها جيء بهذه القصة أو تلك إليهم، وجاء آخرون فقالوا: إن هذا التكرار هو أسلوب ناجع من أساليب التدرج في

---

١) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، ط(٨) ، دار الشروق، (بيروت)، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م): (١٤٣).

تربية النفوس المؤمنة.. إلى غير ذلك من التوجيهات والدلالات المتعددة التي ســـننتهي إلى تفصيل القول فيها لاحقاً – إن شاء الله – ليستبين ما أشرنا إليه في هذه المقدمـــة، حـــتى يمكن بعدها إحكام القول في هذا الشأن، إذ إن هذا أمر يجب أن يتمم القول فيه من بعد، فليس هذا التمهيد بموضع له..

إننا نجد أن القصة الواحدة في القرآن الكريم تتكرر أكثر من مرة سواء بسرد القصة إجمالاً أو تفصيلاً، أو بالإشارة إليها.. كما في قصة نبي الله هود – على سبيل المثال – التي تكررت في كل من سورة الأعراف، والتوبـــة، وهـــود،وإبراهيم، والحـــج، والشـــعراء، والفرقان،والعنكبوت، وغافر، وفصلت، والأحقاف، وق، والذاريات، والنجم، والقمـــر، والحاقة، والفجر، وكذلك الحال في قصة نبي الله صالح مع قومه ثمود، التي تكررت نحـــواً من تكرار قصة هود.

وهناك العديد من قصص الأنبياء المكررة في القرآن؛ كقصة لوط، وعيسى، ويونس، وشعيب، وسليمان، وقصة آدم. بل قد يصل تكرار بعض قصص القـــرآن إلى عشـــرات المرات أو قريباً من ذلك ،كما في قصة إبراهيم التي تكررت في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنعام، والتوبة، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجـــر، والنحـــل، ومـــريم، والأنبياء، والحج، والشعراء، والعنكبوت، والأحزاب، والصـــافات، وص، والشـــورى، والزخرف، والذاريات، والنجم، والحديد، والممتحنة، والأعلى، وبلغ عدد المـــرات الـــتي تكرر فيها اسم إبراهيم عليه السلام تسعاً وستين مرة. وكذلك الحال في قصة نوح التي قيل إنها ذُكرت في خمسة وعشرين موضعاً[1]، بل لقد رجع الباحث يستقصي ذلك بدقة فوجد أن اسم نوح عليه السلام قد تكرر في القرآن ثلاثاً وأربعين مرة..

وتأتي قصة موسى عليه السلام في مقدمة قصص القرآن، من حيث الكم، وتعـــدد طـــرق التناول.. فاستحقت أن تمثل المبحث الأول من هذا الفصل .

وبما أن التكرار القصصي في القرآن الكريم هو أبرز أنواع التكرار المعنوي فيه علـــى الإطلاق ' وعلى رأس ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ،الـــتي ورد ذكرهـــا في

١) انظر: معترك الأقران، جلال الدين السيوطي: (١/٣٤٧، ٣٤٨).

سياقات مختلفة بسطاً وإيجازاً وإشارة، فلا غرابة إذن أن يكون المبحث الأول من هذا الفصل ،والخاص بقصة موسى هو أوسع المباحث ، وهذا بدوره ينعكس على سعة هذا الفصل من فصول هذه الأطروحة؛ إذ إننا سنتناول فيه دراسة هذه الظاهرة بصورة مستفيضة، وتحليلٍ مبسوطٍ للخصائص الأسلوبية والدلالية لأهم وأبرز مواضع التكرار المعنوي في القصص القرآني ، من خلال أظهر مواضع التكرار المعنوي في قصة موسى عليه السلام . ثم في مواضع معينة من قصص : (آدم ، وإبراهيم ، ونوح) –عليهم السلام– بالترتيب ؛ وذلك حسب الأهمية ..

ويحدونا الأمل أن نتمكن من بيان ما رمنا بيانه، وأردنا شرحه وتفصيله من هذه الخصائص وتلك الدلالات في طيات هذا الفصل–إن شاء الله تعالى–

وسأكتفي –تماشيًا مع المنهج– بذكر نماذج من القصص القرآني، تجلت فيها ظاهرة التكرار المعنوي بصورة واضحة، وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي

في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه

وردت قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في ثمان وعشرين سورة، مشكِّلة تسعة وعشرين موضعا ، يشكل بعضها أبرز مواضع التكرار المعنوي في القرآن الكريم على الإطلاق . وتتمثل في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول:تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في قصة موسى عليه السلام من خلال موضعيها في سورتي: "الأعراف" و"الشعراء":

لقد بدأ التفصيل الأول في القرآن الكريم لقصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه، في سورة "الأعراف" المكية (التاسعة والثلاثين من حيث النزول) في معرض قصص مشترك قبله مع نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، وربما كان أقرب مقطع إلى التماثل المعنوي مع مقطع "الأعراف" هو ما ورد في سورة "الشعراء" ، وذلك على النحو الآتي:

١- قال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ . . . ﴾[1].

٢- قال في سورة "الشعراء": ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[2].

والملاحظ أن المعاني العامة للقصة قد تشابهت في هذين الموضعين أيما تشابه، غير أن موضوع القصة في سورة "الأعراف" هو تاريخ بني إسرائيل، بدءاً من قصة موسى مع فرعون إلى ما بعد ذلك من أحداث. أما موضوعها في "الشعراء" فهو ذكر قصة موسى مع فرعون بالتفصيل إلى غرق فرعون وقومه.

---

١) الأعراف:(١٠٣-١٢٦) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٧)) .

٢) الشعراء:(١٠-٥١) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٧، ٣٠٨)) .

والذي يعنينا هنا هو ذكر الجانبين المتشابهين الذي يتضح فيهما الحشد الفني من النظر في أوجه التشابه والاختلاف بين النصوص في الموطنين .

وهذا جدول تحليلي يبين الفروق التعبيرية للقصة في السورتين:

م	في "الأعراف"	في "الشعراء"
١-	قَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ	قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ
٢-	أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ	يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ
٣-	وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ	وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ
٤-	بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ	بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ
٥-	قَالُوا	قَالُوا لِفِرْعَوْنَ
٦-	إِنَّ لَنَا لأَجْراً	أَئِنَّ لَنَا لأَجْراً
٧-	وَإِنَّكُمْ لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ	وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ
٨-	وَأَلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ	فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ
٩-	قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ	قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ
١٠-	فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
١١-	ثُمَّ لأَصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ	وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ
١٢-	قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ	قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ

وتحليل ذلك يتمثل في الآتي:

١-قال تعالى في "الأعراف": ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]. وقال في "الشعراء": ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢].

فنسب القول في "الأعراف" إلى ملأ فرعون ، في حين نسبه في "الشعراء" إلى فرعون نفسه، وذلك أن المحاجة كانت معه « ففي الآية الأولى كان فرعون في مقام غطرسة المُلْك والترفع عن الكلام، وأما في آية "الشعراء" فإن انقطاعه أمام موسى أنساه غطرسة المُلْك وكبرياءه، ودفعه إلى أن يقول هو ،وأن يتكلم هو، وأن يستعين بملئه»[٣]. وفي ذلك مراعاةٌ واضحة لسياق المقام في الموضعين .

وقال " الخطيب الإسكافي" في توجيه ذلك :« إ ن قول الملأ في سورة "الأعراف" [هو] قول فرعون ، ورؤساء قومه أدوا عنه ما كان من قوله إلى عامة أصحابه؛ والدليل على أن ذلك قوله وأنهم فيه مؤدو رسالة عنه -قول العامة في جوابه: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ فكان هذا خطاباً لفرعون و لم يكن للملأ، إذ لو كان لهم لقيل :" أَرْجُوه وَأَخَاهُ "» [٤].

وبناء عليه فالمعنى العام قد تكرر و لم يتغير في الموضعين ،حيث لم يخالف في "الأعراف" ما قاله في "الشعراء" سوى في بيان طريقة إيصال القول فقط؛ فهو في "الشعراء" قال للملأ حوله ، وهو في "الأعراف" البادئ بذلك لمن حوله ؛ ليؤدوا إلى من بعُد عنه قوله.

وقد عقب الإسكافي تخريجه السابق بتوضيح اختصاص كل من الموضعين بما ورد فيه من هذا التعبير على الرغم من تكرار المعنى-قائلاً:«إن أول من رد قول موسى عليه السلام فرعون، ثم مالأه عليه ملؤه ، وهو ما حكاه الله في سورة "الشعراء" فاقتضى حاله حيث أخبر عنه بما قاله: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾، إلى أن انتهت الآيات إلى القصة المودعة ذكر السحرة ، فقال فرعون للملأ حوله ما أدوه عنه إلى غيرهم.. وسورة

---

١) الأعراف:(١٠٩).

٢) الشعراء:(٣٤).

٣) التبعبير القراني:(٣٢٩).

٤) درة التنزيل وعرة التأويل:(٩٣).

"الشعراء" مكية كسورة "الأعراف"، وترتيب الاقتصاص يقتضي أن يكون قبلها ، وفي السورة الثانية أخبر عما أداه ملؤه إلى الناس الذين أجابوه بأن: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، فكان قول فرعون للملأ حوله سابقاً قوله الملأ الذين أدوا إلى غيرهم » [1].

أما "الكرماني" فيرى أن فرعون داخل أصلاً في تعبير: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ الوارد في "الأعراف" ؛ إذ التقدير : قال الملأ من قوم فرعون ،وفرعون بعضهم لبعض ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ،فحذف فرعون لاشتمال الملأ من قوم فرعون على اسمه ،كما قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [2]، أي : آل فرعون وفرعون.فحذف فرعون؛ لأن آل فرعون اشتمل على اسمه»[3].

والظاهر أن القول مشترك بين فرعون وملئه «فكأنه قال هو وهم ،أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في أتّباعهم لما يقول الملك»[4] فقالوه عنه لسائر الناس[5] فلا تناقض في المعنى.. ولكن تأمل كيف نوّع في تصاريف القول بما يناسب السياق الذي ورد فيه.

وفي التعبير المؤكد بـ (إنّ) و (اللام) دلالة على شدة حرص فرعون وملئه على تحويل أنظار الحاضرين عن دلالات تلك الآيات العظيمة التي جاء بها موسى، والخطيرة في الوقت نفسه على ذهاب سلطانهم وإبطال شرعية حكمهم ؛فاتجهوا بكل قوة إلى اتهام موسى بأنه ساحر عليم .

٢-قوله تعالى في "الأعراف": ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ [6]. وفي "الشعراء": ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾[7]. فما دام القول واحد فلماذا زاد في "الشعراء" ؟!

---

١) درة التنزيل وعرة التأويل:(٩٣).

٢) الأنفال:(٥٤).

٣) البرهان في متشابه القرآن ص:(١٩٦)

٤) التسهيل لعلوم التنزيل،(٢/٤١).

٥) انظر: التفسير الكبير(١٤/١٦٠)

٦) الأعراف:(١١٠).

٧) الشعراء:(٣٥).

يقول "الدكتور فاضل السامرائي":« زاد كلمة بسحره لمناسبة مقام التفصيل في "الشعراء" والتأكيد على السحر فيها»[1] وهذا القول موافقٌ لما ذكره "الكرماني" من بناء آية سورة "الأعراف" على الاختصار، وزاد: « ولأن لفظ الساحر يدل على السحر» [2].

إنه لما أسند الفعل في "الشعراء" إلى فرعون وحكى ما قاله للملأ حوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ وكان أشدهم تمرداً وأولهم تجبراً وأبلغهم في صد الحق الذي جاء به موسى ، كان في قوله : ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ذكر السبب الذي يصل به إلى الإخراج ، فاشبع المقال بعد قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾، بأن ذكر أنه يريد إخراجكم بسحره ، فهو ما حُكِيَ من قول الملأ في سورة "الأعراف":﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾. « والملأ لم يبلغوا مبلغ فرعون في إبطال ما أورده موسى عليه السلام ولم يجفوا في الخطاب جفاه، فتناولت الحكاية ما قاله فرعون على جهته بتكرير لفظ السحر من لفظه، بعدما أخرجه في صفته حيث قال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ » (٣).

٣- جاء في "الأعراف" : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [4] وجاء في "الشعراء": ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ [5] . فقال في "الأعراف": ﴿ وَأَرْسِلْ ﴾ وقال في "الشعراء": ﴿ وَابْعَثْ ﴾ ؛«وذلك لكثرة ورود فعل الإرسال في "الأعراف" فقد تردد فعل الإرسال ومشتقاته ثلاثين مرة في "الأعراف" ، وتردد في "الشعراء" سبع عشرة مرة فناسب ذلك ذكر الإرسال في "الأعراف" دون "الشعراء" »[6] .وهناك مناسبة معنوية وسياقيه لورود لفظ ﴿وَأَرْسِلْ ﴾ في "الأعراف" ؛وهي « أن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعاً من العلو؛ لأنه يكون من فوق، فخصت هذه السورة به لما التبس ؛ ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره»[7]. «وأما المقام في "الشعراء" فيقتضي ذكر الفعل

---

١) التعبير القرآني صـ(٢٩).

٢) انظر : البرهان في متشابه القرآن ص:(١٩٧).

٣)انظر : درة التنزيل والتأويل صـ(٩٤).

٤)الأعراف:(١١١).

٥)الشعراء:(٣٦).

٦)التعبير القرآني ،ص(٣٢٩).

٧)البرهان في متشابه القرآن:(١٩٧).

﴿وَابْعَثْ﴾ دون ﴿وَأَرْسِلْ﴾ ؛ ذلك أن البعث فيه معنى الإرسال وزيادة ؛ فإن فيه معنى الإشارة والإنهاض والتهييج »[1] وهذا أمر صحيح؛ فقد جاء في لسان العرب أن «البعث في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإرسال ؛كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى﴾ معناه: أرسلنا . والبعث إثارة بارك أو قاعد تقول :... بعَثَ البعير فانبعث : حل عقاله فأرسله، أو كان باركاً فهاجه» [2]

وفي مفردات الراغب أن «أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه،يقال:«بعثته فانبعث ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به» [3] .

والبعث قد لا يكون بإرسال شخص من مكان إلى آخر بل يكون بإنهاض شخص من المجتمع ، كنحو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [4]، وهذا إنما يكون يوم القيامة، ومعناه: يوم ننهض ونقيم ، وليس معناه يوم نرسل . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [5]، ومعناه كما يقول "الزمخشري":«أنهِضْ للقتال منا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره»[6] ،فأجابهم الله إلى طلبهم قائلاً-على لسان نبيهم-: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾ [7] ومعناه أنهضه فيهم، وليس معناه أرسله إليهم.

فالبعث قد يكون فيه معنى الإرسال ، وقد يكون فيه معنى الإنهاض « فلما كان المقام في "الشعراء" مقام زيادة تحد وقوة مواجهة قال ملأ فرعون: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾. فلم يكتفوا بالإرسال بل أرادوا أن ينهضوا من المجتمع حاشرين ،علاوة على

---

١)التعبير القرآني: (٣٢٩).

٢)لسان العرب "مادة:ب ع ث" (١١٧/٥).

٣)المفردات في غريب القرآن: (٥٢/١).

٤)النحل:(٨٤).

٥)البقرة:(٢٤٦).

٦)الكشاف(٣١٩/١)،

٧)البقرة:(٢٤٧).

الرسل، وهؤلاء من مهمتهم الإثارة وتهييج الناس على موسى . وهذا المعنى لا يؤديه لفظ «أرسل» فاقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه»[1].

وقال "الإسكافي":« إن ﴿ وَأَرْسِلْ ﴾ يختص بما لا يختص به ﴿ وَابْعَثْ ﴾ ؛ لأن البعث لا يتضمن ترتيباً ، والإرسال أصله تنفيذ من فوق إلى أسفل ، وأرسل في سورة "الأعراف" حكاية قول العامة للملأ المؤدين كلام فرعون إليهم ، فلما تعالى عليهم و لم يخاطبهم بنفسه كان قولهم في جواب ما استأمرهم فيه واستشارهم في فعله على الترتيب الذي رتب لهم في الخطاب، فكانت الحكاية باللفظ الذي يفخم كما فخم تحميله ملأه أن يؤدوا كلامه إلى من دونهم، ولما تناولت الحكاية في سورة "الشعراء" ما تولاه فرعون بنفسه من مخاطبة قومه بإسقاط الحجاب بينهم وبينه ، وتسوية قدرهم بقدره ،لقوله: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ ﴾ كان هذا الموضع مخالفاً للموضع الأول في مقتضى الحال من التفخيم ، فخص باللفظ الذي ليس فيه ما في الأول من التعظيم ، وهو قوله ﴿ وَابْعَثْ ﴾» [2] .

فتأمل في هذه المناسبات اللفظية والمعنوية لكل لفظ على حدة ؛ففي ذلك برهان وبيان شاف في الأسلوب والدلالة.

٤- قال في "الأعراف": ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ [3] وفي "الشعراء" : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [4].

فلماذا أخبر في سورة "الأعراف" بكلمة "ساحر" ؟ ولماذا عدل في سورة "الشعراء" إلى كلمة "سحّار"؟

"ساحر": اسم فاعل. تقول: سَحَرَ، يسْحَرُ فهو ساحر.

و"سحّار": صيغة مبالغة من السحر، على وزن "فعَّال".

و"السحَّار" أبلغ من "الساحر"، وأكثر علماً بالسحر من الساحر، فكل سحَّار ساحر، وليس كل ساحر سحَّار.

---

١)التعبير القرآني: (٣٣٠).

٢)درة التنـــزيل وغرة التأويل: (٩٤).

٣)الأعراف: (١١٢)

٤)الشعراء: (٣٧)

وكل من الساحر والسحّار في السورتين موصوف بأنه "عليم"، والعليم صيغة مبالغة، على وزن (فعيل)، والعليم أكثر تمكنا في العلم من العالم.

فالسياق في سورة الأعراف يناسبه وصف كل قادم لتحدي موسى عليه السلام بأنه (ساحر عليم)، ويكفي هذا الوصف له للإخبار عن علمه بالسحر... وجرت المباراة المنتظرة، وآمن كل ساحر عليم بالله رب العالمين، ولذلك هددهم فرعون بالقتل والتعذيب، وقال الله عن تهديده لهم: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ... ﴾ [1].

أما السياق في سورة الشعراء فيناسبه وصف كل قادم للمباراة والتحدي بأنه (سحّار عليم)، وليس مجرد ساحر عليم والدليل على ذلك ظاهرٌ في تهديد فرعون لهم بعد سجودهم وإيمانهم بالله. قال تعالى: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [2].

لقد اتهم فرعون السحرة المؤمنين بأنهم (تلاميذ) عند موسى عليه السلام، وأنه هو كبيرهم الذي علمهم السحر؛ أي: هم تلاميذ صغار بين يديه وهو "الساحر الكبير" الذي يقودهم ويدربهم ويعلمهم: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾.

يتهمهم فرعون بأنهم تلاميذ صغار، جاهلون أغرار، لا علم لهم بالسحر، ولذلك جاؤوا يتعلمون السحر من موسى الساحر الكبير!

من الذين يتهمهم فرعون بهذا الاتهام؟ إنهم ليسوا تلاميذ صغاراً، وليسوا جهلاء أغراراً، وليسوا مجرد ساحرين عليمين، وإنما هم "سحّارون عليمون" [3].

وبناءً على تلكم الحيثيات -جاء في "الأعراف" بصيغة اسم الفاعل "ساحر" ، وجاء في "الشعراء" بصيغة المبالغة " سحّار " وهذا مناسب لسياق الآيات وطبيعة الدلالة في كل

---

١) الأعراف: (١٢٣ـ١٢٤).

٢) الشعراء: (٤٩).

٣) انظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ،ط(١)، دار عمار للنشر (عمان) ، (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م): (٢٢٦،٢٢٧).

سورة ،فسورة "الشعراء" –كما ذكرنا–اتسمت بالتفصيل وقوة المواجهة «فتناسبت صيغة "سحَّار " مع المبالغة في قوة التحدي وشدة المواجهة بين فرعون وموسى، وتناسبت مع غضب فرعون البليغ واندفاعه للنيل من موسى ،فهم أرادوا سحّاراً بليغاً في السحر لا مجرد ساحر.

كما يتناسب هذا أيضا مع مقام التأكيد على السحر.، فإن السحر أُكّد وكُرّر في "الشعراء" أكثر مما في "الأعراف"، فقد ذُكر في "الأعراف" سبع مرات ، وفي "الشعراء" عشر مرات. فانظر كيف اقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه»[1].

كما أنه وافق في سورة "الأعراف" ما قبله، وهو قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾»[2] فإن قيل : قد ورد التعبير نفسه في "الشعراء" فلم لم يقل ساحر كما قال في "الأعراف". نقول: إن ما قررناه آنفاً من كون سورة "الشعراء" أكثر تفصيلاً ، وأقوى مواجهة وإبرازاً للحجج من قِبَل موسى على فرعون وقومه، ووقوفهم مكتوفي الأيدي حيال هذه الحجج: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3].

فانظر أولاً إلى مقدار الكلام الذي ألقاه فرعون أو ملؤه إلى موسى، ثم انظر إلى مقدار الرد من قبل موسى تجد أنه يفوق –كمّاً– كلام فرعون وملئه ،هذا في جانب الشكل . أما إذا انتقلنا إلى مضمون هذه الكلام فإننا سنجد أن كلام فرعون وملئه ليس إلا محاولات يائسة لدفع الحجج القوية التي كان يوجهها موسى سهاماً قاتلة إليهم ، فكانوا يحاولون صرف موسى عن الكلام في العقيدة إلى الانتصار لنفسه ،وذلك بمغالطته إذْ لم يستطيعوا رد حججه .

وفي هذه الانتصار الذي حققه موسى بجدارة على فرعون وملئه – أثره الواضح على من حضر في ذلك الموقف، فكان لا بد من مواجهة ذلك بشدة ؛ ليتم تخلية العقول مما

---

١)التعبير القرآني: (٣٣١).

٢)انظر : البرهان في متشابه القرآن: (١٩٧).

٣)الشعراء: (٢٣-٢٨).

علق بها من كلام موسى المعتمد على الحجة، فكان أن استخدم الملأ أقوى أنواع الهجوم التعبيري المضاد- إن جاز التعبير-وهو صيغة المبالغة "سحَّار" «كونها أبلغ من ساحر، واشد مبالغة في الوصف »[1]؛ ففرعون وملأه يريدون الخروج من هذه المواجهة – على الأقل-بماء وجوههم فناسب التعبير هذه الحال...

ومن جهة أخرى فإن صيغة " سحَّار" تضافرت مع زيادة (بسحره) في تأكيد الدلالة على مراد ملأ فرعون من قصد المبالغة وقوة المواجهة. ونحن نعلم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

وقد نبه الخطيب "الإسكافي" إلى أمر آخر في غاية الأهمية له علاقة سياقية خاصة بكل تعبير على حدة، وهي الآية اللاحقة لكل آية من الآيتين اللتين نحن بصدد تحليلهما – يجدر بنا ذكره هنا؛ لما فيه من الإضافات الجيدة ، ولتأكيده على استنتاجنا الآنف الذكر.

وقد فصّل القول في ذلك تفصيلاً جيداً فقال:«للسائل أن يسأل فيقول:المحكي في "الشعراء" أكثر من المحكي في سورة "الأعراف" بعد قوله : ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [فقد جاء بعدها بقوله : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [2]. في حين لم يزد في "الأعراف" أن قال بعدها: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [3]]..والجواب ما دلنا عليه من أن ما في سورة "الشعراء" أشد اقتصاصاً للأحوال التي كانت بين موسى وبين عدوه فرعون؛ لاشتماله على ذكر ابتداء مبعثه إليه ،حيث قال: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ [4] فجاء في هذه الآيات التي في ذكر السحرة من بيان ما جرى ما لم يجئ في سورة "الأعراف" ... »[5]

---

١)حجة القراءات، ابن زنجلة ، (د.ت): (٢٩١/١).

٢)الشعراء:(٣٨-٤١).

٣)الأعراف:(١١٣).

٤)الشعراء:(١٠،١١)

٥)درة التنـــزيل وغرة التأويل: (٩٥).

وبناءً ما تقدم فإن الزيادة التي وجدناها في سورة "الشعراء" كانت بالفعل مناسبة لمقام التفصيل ومقام التأكيد على السحر.

٥-جاء في "الأعراف" : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [١] وجاء في "الشعراء": ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٢].

فانظر إلى الفروق الحاصلة بين التعبيرين، وكيف أن كل تعبير يتناسب مع السياق الذي ورد فيه ،وذلك على النحو الآتي:

أ-قال في "الأعراف":﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾وقال في "الشعراء":﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ ﴾قيل «لأن القياس في سورة "الأعراف"(وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْن وقالوا) أو (فقالوا) ولكن أضمر فيه (فلما) فحسن حذف الواو..

وخص هذه السورة بإضمار (فلما) : «لأن ما في هذه السورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق »[٣] فقال فيها﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ ﴾ مباشرة ، في حين سياق "الأعراف" مبني على التفصيل فقال فيها ﴿ فَلَمَّاجَاءَ السَّحَرَةُ ﴾ مناسباً للمقام.

وقد ذكر"الإسكافي" في توجيه هذا التعبير نحواً مما ذكره "الكرماني"[٤].

وقوله تعالى في "الأعراف":﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ ﴾ «في الكلام طي : أي فبعث في المدائن حاشرين . وجاء السحرة فرعون»[٥] وهذا يسمى عند أهل البلاغة (إيجاز حذف) وهو مناسب للإجمال الذي في موضع "الأعراف" بشكل واضح . أما في سورة "الشعراء" فقد جاء بتفصيل في ثلاث آيات زائدة عما في "الأعراف"، وذلك بعد قوله ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾وهذه الآيات هي: ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ وهذا ما ليس في "الأعراف" .

---

١)الأعراف:(١١٣.١١٤).

٢)الشعراء :(٤١،٤٢)

٣)البرهان في متشابه القران للكرماني: (١٩٧.١٩٨).

٤)انظر: درة التنزيل وغرة التأويل: (٩٦).

٥)فتح القدير: (٢/٢٣٢)

وأما تقديم فرعون في "الأعراف" وتأخيره في "الشعراء"«فلأن التقدير فيهما:(فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ) «فأظهر الأول في "الأعراف" لأنها الأُولى، وأظهر الثاني في "الشعراء" لأنها الثانية»[1].

ب-قال في "الأعراف"﴿ قَالُوا ﴾وقال في "الشعراء"﴿ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ ﴾.

فذكر في "الشعراء" أنهم قالوا لفرعون، ولم يذكر في "الأعراف" أنهم قالوا له، والسبب في ذلك «أنه ذكر في "الأعراف" أن ملأ فرعون هم الذين قالوا:﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾وذكر في "الشعراء" أن فرعون هو الذي قال ذلك، وأنه هو الذي تولى المهمة بنفسه، فناسب ذلك أو يواجهوا فرعون بالقول، بخلاف ما في "الأعراف"»[2] وقد بينا ذلك بالتفصيل عند تحليل قوله تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ . . ﴾و﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ . . ﴾[3].

ولا يفهم من هذه أن ثمة تناقضاً بين الموقفين ، فقد قال فرعون هذا القول ورددده ملؤه، فذكر القول عنه مرة، وذكره عن الملأ مرة أخرى بحسب ما يقتضيه السياق.

ج-قال في "الأعراف" :﴿ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾(٤)وقال في "الشعراء": ﴿ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾[5] فالسحرة يستفهمون فرعون عن الجُعْل الذي سيجعله لهم على الغَلَبة، وقد حذف همزة الاستفهام في "الأعراف" وذكر ها في "الشعراء" لمناسبة المقامين«وذلك إنه لما كان المقام مقام إطالة ومبالغة في المحاجّة جيء بهمزة الاستفهام لتشترك في الدلالة على قوة الاستفهام والتصريح به ؛ ففي الآية الأولى أضمَر المقول له ، وأضمَر همزة الاستفهام ، وفي الثانية صرّح بالمقول له وبهمزة الاستفهام»[6].

---

١)البرهان فلي متشابه القرآن ص:(١٩٨).

٢)التعبير القرآني: (٣٣١).

٣)انظر: (١٧٩، ١٨٠) من هذا البحث .

٤)الأعراف(١١٣)

٥)الشعراء :(٤١).

٦)التعبير القرآني ص(٣٣٢).

ودلالة الاستفهام في "الشعراء" هو التقرير ، أما على الإخبار -كما ورد في "الأعراف"- ففيه دلالة القطع بالجُعْل، وأنه لا بد لهم منه»[1] . وقد جاء التقرير من قبل السحرة لفرعون بغية التأكد والتوثيق للأمر أمام الناس .

ويرى الباحث أن في ورود التأكيدات الكثيرة من قبل السحرة فيما يخص الجُعْل أو الجائزة تصويراً مجسّداً لحرصهم الشديد على الأجر من خلال أساليب التوكيد ﴿إِنَّ-أَئِنَّ﴾ ﴿لَنَا﴾ ﴿لأَجْراً﴾ ﴿نَحْنُ﴾(ضمير الفصل) بالإضافة إلى استخدام الفعل الماضي الذي فيه دلالة القطع على وقوع الفعل(كنا) بدلاً من (نكن) ؛فكأنهم واثقون من أن الغلبة لهم،ويُفهم ذلك أيضا من تركيزهم وتأكيدهم على الأجر كثيراً .

كما أن هذا الأسلوب التأكيدي القوي ينبئ عن أكثر من دلالة –إضافة إلى الحرص الشديد- فهو يدل على أن هؤلاء السحرة لا يرتبطون عقدياً مع فرعون، بل مصلحياً ،وإن كان هناك نوع من الممالأة لفرعون فلعلها من باب الخوف منه، أو التظاهر الشكلي ، وليست من باب المولاة الحقيقية التي تعني ربط المصير بالمصير؛ إذْ كل همهم الجائزة .

هذا أمر، والأمر الآخر أننا نلمس من خلال هذه التأكيدات -متظافرة مع جواب فرعون المشجع والمحفز للسحرة- أنهم كانوا -في الوقت نفسه –حريصين كل الحرص على هزيمة موسى بكل ما أوتوا من خبرة في مجالهم، حتى لا يفقدوا كل تلك الجوائر من جهة، ولا يثيروا فرعون ضدهم من جهة أخرى.

وفي ذلك كله أبلغ الدلالة على عظمة الآية التي أيد الله بها موسى، وهي العصا.. فبعد هذه الإغراءات كلها، والحرص الشديد .. لم يستطع السحرة التغلب على معجزة موسى .. فيذهب العقل كل مذهب في تخيل هذه المعجزة العظيمة .

د- قال في "الأعراف": ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[2]وقال في "الشعراء": ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[3]

---

١)انظر فتح القدير :(٢/٢٣٢).

٢) الأعراف:(١١٤).

٣) الشعراء:(٤٢).

فزاد كلمة﴿ إِذاً ﴾في "الشعراء" لمناسبة التفصيل الوارد فيها دون مقام "الأعـــراف" المبني على الإيجاز والاختصار .قال "الكرماني":«﴿ إِذاً ﴾في سورة "الأعراف"مضمرة مقدرة ؛لأن﴿إِذاً ﴾جزاء ومعناه: لئن غلبتم قربتكم ورفعت منـــزلتكم ؛ وخص سورة "الأعراف" بالإضمار اختصاراً»[1].

وقال "الإسكافي": «إن معنى قوله ﴿ إِذاً ﴾جواب وجزاء ، وكان من قول فرعون إن غلبتم فجزائي أن أجازيكم بإعلاء رتبتكم ، وتقريب منـــزلتكم ، فلأجل ذلك أفعل هذا بكلم ،فاختصت سورة "الشعراء" دون غيرها، لأنها موضع بني على فضل اقتصـــاص لمـــا جرى»[2].

وفي زيادة (إذن) دلالة على قوة الوعد وتوكيده من قبل فرعون الذي هزم بالحجـــة أمام موسى ، ووقف عاجزاً أمام ملئه ، حيث المواجهة الشخصية بينه وبين موسى كانت بارزة في تعبير سورة "الشعراء" عنها في تعبير سورة "الأعراف"، فناسب أن يؤكد بـــ﴿ إِذاً ﴾في موضع "الشعراء" للدلالة على لهفة فرعون على غلبة موسى ، بالإضـــافة إلى كـــون مقام التحدي وقوة المواجهة في "الشعراء" اقتضى ذكرها.

«وفي ذكرها دلالة على أن ما بعدها مشروط حصوله بحصول ما قبلها. وذلك نحو أن يقول لك شخص :سأزورك ، فتقول له: إذن أكرمك.

فـــ(إذن) تدل على أن إكرامك له مشروط بالزيارة. والمعنى:إن زرتني أكرمتك وإلا فلا»[3].

ونحو قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ﴾[4]. والمعنى: «لو كـــان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد بـــه .. »[5]. فـــــ(إذن) أفادت معنى الشرط «والمجيء بها في آية "الشعراء" أكد اشتراط تقريب السحرة بالغلبـــة؛

---

١) البرهان في متشابه القرآن ،ص:(١٩٨).

٢) درة التنـــزيل وغرة التأويل ،ص:(٩٦).

٣)التعبير القرآني،ص: (٣٣٢).

٤)المؤمنون (٩١).

٥)تفسير أبي السعود (١٤٨/٦).

وذلك أنهم سألوا فرعون: أإن غلبنا أعطيتنا أجراً؟ فقال لهم: نعم وإنكم إذن لمن المقربين. فذكر الشرط في السؤال وفي الجواب. وأما في "الأعراف" فكان الجواب: ﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾.

فلم يُعِد الشرط في الجواب، وإنما اكتفى بالشرط الذي في السؤال. ولا شك أن إعادة الشرط في الجواب تفيد التوكيد وزيادة الاهتمام. وهذا نظير أن يقول لك شخص: أإن فعلتُ ذاك أكرمتني ؟ ، فتقول له: «نعم»، أو تقول له: نعم إن فعلت ذاك.

فأنت كررت الشرط في جوابك الثاني للاهتمام به وتوكيده، بخلاف الجواب الأول»[1]، وفي تكرار الشرط ما فيه من الدلالة على الاهتمام والحرص، وقد بيناه..

«ثم أنهم لما أكدوا السؤال بزيادة الهمزة في "الشعراء"، أكد لهم الجواب بذكر (إذن)»[2].

كما أن الأسلوب الذي عبر الله – عز وجل – به عن موقف فرعون مع السحرة يعكس بوضوح الحالة النفسية المضطربة لديه، مصوراً لها تصويراً تجسيدياً فريداً ينقلك إلى حقيقة الموقف وواقعيته، كأنك حاضر تسمع وتشاهد..

ثم انظر إلى التوازي اللفظي والتناسب المعنوي بين السؤال والجواب: (أإن، لنا، لأجرا، نحن..) (نعم، وإنكم، إذا، لمن..).

٦- هناك أمر مهم لفت نظر الباحث يتعلق بالحوار الذي دار بين موسى والسحرة قبل عملية الإلقاء تم بيان عملية الإلقاء وما حصل بعدها إلى سجود السحرة، و لم يفطن إلى ذلك أحدٌ من المصنفين من المتشابه القرآني – حسب اطلاعي – هذا الأمر هو تفصيل تلك الأمور في "الأعراف" التي يمثل موضعها الإيجاز والاختصار لأحداث القصة: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا

---

١)التعبير القرآني (٣٣٢، ٣٣٣).

٢)التعبير القرآني (٣٣٣).

بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ [١].

أما في "الشعراء" فلم نلحظ هذا التفصيل: ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢).

ويرى الباحث أن ذلك عائد إلى ترتيب نزول السورتين؛ فسورة "الأعراف" هي التاسعة والثلاثون من حيث النزول، وكان أول تفصيل وارد فيها فناسب بيان هذه الأمور كونها تذكر لأول مرة. أما "الشعراء" فصحيح أن التفصيل فيها بشكل عام أكثر إذا قارناها بسورة "الأعراف"، لكن التفصيل في حد ذاته لم يكن لأول مرة كما هو الحال في "الأعراف"، فسورة "الشعراء" هي السورة السابعة والأربعون من حيث النزول، فناسب فيها إجمال هذه الأمور؛ كونها قد وردت في "الأعراف"، ثم في "طه" بشكل أكثر تفصيلاً، فأغنى ذلك عن التفصيل في "الشعراء"..

ولا يفهم من هذا مخالفة الباحث لمن سبقه في كون عرض القصة في سورة "الشعراء" يتميز بالتفصيل عن سورة "الأعراف" بشكل عام، فهذا واضح لا يختلف عليه اثنان..

وبالمناسبة فإن هذا الحوار قد تكرر أربع مرات بأكثر من صيغة، وهذا الحوار يصور لنا تخيير السحرة لموسى بالإلقاء، ومقابلة هذه المبادأة بإعطائهم فرصة الإلقاء أولاً..ثم ينقل هذا الحوار دعوة موسى عليه السلام بأن يستعينوا باللهو ويصبروا على أذى فرعون [٣]. على أننا نجد في كل مرة تنويعاً وتجديداً، يبعث على الانجذاب والمتابعة .

---

١)الأعراف (١١٥-١٢٠).

٢) الشعراء (٤٣-٤٦).

٣) انظر:التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني(دراسة لغوية أسلوبية) ، خالد قاسم حسين بني دومي (بحث ماجستير-جامعة اليرموك-الأردن)، (١٩٩٩م) : (٥٦ ، ٥٧).

إننا نشعر عند تلاوة هذه الآيات بتدبر أن القرآن ينقلنا بأسلوب تصـــويريٍّ بـــديع وموح إلى قلب الحدث، وكأننا نعيشه ونشاهده، والتصوير مظهر بارز من مظاهر أسلوب القرآن.. أنه كثيراً ما ينقل الحوار، ويحكي نص القول بعثاً للحياة في الأسلوب.[1].

٧- أقسم السحرة بعزة فرعون في "الشعراء"؛ قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾[2] و لم يقل ذلك في "الأعراف".

وذلك راجع إلى اختلاف المقامات « فالمقام في "الشعراء" مقام الانتصار لعزة فرعون التي نال منها موسى في مواجهته ومحاجته له، والسحرة في مقام التزلف إليـــه والحظـــوة برضاه»[3].

ثم انظر كيف ذكر الحبال والعصي في "الشعراء" و لم يذكرها في "الأعراف"؛ كون المقام قي "الشعراء" مقام تفصيل، أما في "الأعراف" فمقام إجمال[4].

٨- ثم انظر كيف تحول الحال، وانقلب السحر على الساحر – كما يقولون – فبعد تأكيد الوعود، وتمنية السحرة بالقربى من فرعون، والقسم بعزته – انقلب الأمر فجأة من دون مهلة، وذلك في سورة "الشعراء": ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[5].

هكذا بالترتيب والتعقيب من دون فاصل زمني بين التلقف والسجود ؛ ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾.

«وهذا المشهد هو المناسب لقوة التحدي؛ فإن سرعة النصر الحاسم بعد قوة التحدي هو المناسب لمثل هذا المقام»[6].

---

١) من بلاغة القرآن: (١٨٦).

٢) الشعراء (٤٤).

٣) التعبير القرآني (٣٣٢).

٤) التعبير القرآني (٣٣٣).

٥) الشعراء (٤٥، ٤٦).

٦) التعبير القرآني (٣٣٣).

في حين لا نجد مثل هذا التعقيب في "الأعراف" ؛ قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[1].

فبمجرد إلقاء موسى عصاه حصل تلقفها لإفك السحرة وزورهم حسب التعبير القرآني في كلا الموضوعين غير أنه في موضع "الأعراف" شرع في بيان الحال بعد ذلك: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾ «ولا ندري كم مضى من الوقت بين انقلابهم صاغرين وسجودهم، فإنه جاء بالواو؛ والواو لا تفيد التعقيب كما هو معلوم، و لم يأت بالفاء كما فعل في "الشعراء"؛ وذلك لأن الموقف ليس فيه تلك المواجهة، وذلك التحدي. فجعل كل تعبير في الموطن اللائق به.

وليس ثمة تناقض بين القولين؛ فإن الفاء لا تناقض الواو وإنما هي واقعة في أحد أزمنتها المحتملة»[2].

فانظر دقة الاختيار العجيب في استعمال الألفاظ والحروف بما يتناسب مع طبيعة السياق، وقوة الدلالة على المعنى.

٩- قال في "الأعراف": ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾[3]، وقال في "الشعراء": ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾[4].

وفي هذين التعبيرين أمران لا بد من بيانهما:

الأمر الأول: لقد أُظهِر اسم فرعون – لعنه الله – في سورة "الأعراف"، وأُضمِر في سورة "الشعراء"؛ لبُعد ذكره في "الأعراف" عنه في "الشعراء" «فقد جاء [في "الأعراف"] في الآية العاشرة من الآية التي أضمر فيها ذكره، وهي قوله: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[5] وجاء في الآية العاشرة من هذه السورة: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُمْ بِهِ ﴾[1]. و لم يبعد هذا الذكر

---

١) الأعراف (١١٧-١٢٠).

٢) التعبير القرآني، (٣٣٤).

٣) الأعراف (١٢٣).

٤) الشعراء (٤٩).

٥) الأعراف (١١٤).

في سورة "الشعراء"...آلا ترى أن آخر ما ذكر [في "الشعراء"] فيما اتصل بهذه الآية قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٢]، وذكره بعد ذلك في الآية الثامنة من الآية التي جرى ذكره فيها [﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ﴾[٣]].

فلما بَعُد الذكر في سورة "الأعراف" خلاف بُعْدِه في سورة "الشعراء" ... أعيد ذكره الظاهر لذلك»[٤].

ثم أن سورة "الأعراف" متقدمة على سورة "الشعراء" في النزول – كما مر بنا – فالتصريح فيها أولى، وهو القياس.

الأمر الثاني: قال في "الأعراف"﴿آمَنتُمْ بِهِ﴾[٥] وقال في "الشعراء" ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾[٦]. ومعنى ﴿آمَنتُمْ بِهِ﴾أي «برب موسى وهارون أو بالله تعالى»[٧]. ومعنى ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ « أي لموسى، واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع »[٨] أي انقدتم له وصدقتم به–حسب هذا التفسير–

وبناء على ما سبق .. فالضمير في "الأعراف" (به) يعود على الله، وفي "الشعراء" (له) يعود على موسى ؛«وذلك أن موسى أغضب فرعون في "الشعراء" أكثر مما في "الأعراف"، فقد نال منه بالقول وأفحمه بالحجة، ولذا كان تصديقهم به أكثر إغاظة له، فذكره في "الشعراء"، ولم يذكره في "الأعراف"»[٩].

وقد بين "الكرماني" أن العلة في ذلك الاختلاف هو عود الضمير في "الأعراف" إلى « رب العالمين » وهو المؤمَنُ به سبحانه، وفي "الشعراء" إلى موسى لقوله بعدها:﴿إِنَّهُ

---

١) الأعراف (١٢٣).
٢) الشعراء (٤٢).
٣) الشعراء: (٤٩).
٤) درة التنزيل وغرة التأويل (٩٨).
٥) الأعراف (١٢٣).
٦) الشعراء (٤٩).
٧) روح المعاني: (٢٧/٩).
٨) تفسير البيضاوي (٦١/٤).
٩) التعبير القرآني (٣٣٤).

لَكَبِيرُكُمْ ﴾»[1]، ولم يرد في "الأعراف" .. وواضح انه لا يصح أن يقال مثل هذا القول في "الأعراف"؛ إذ لا يصح أن يقال في – الله – تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾، لا معنىً ولا عرفاً. بالإضافة إلى كون هذا القول يدل على شدة غضب فرعون من موسى[2]، فهو متلائم مع السياق في "الشعراء"..

وقد حرص الباحث على إيراد هذه التوجيهات؛ لإيضاح الدلالات الخاصة بكل توجيه على حدة، والتي لا نعدم في كل منها إضافة جديدة أو نكتة أسلوبية أو دلالية رائعة.

١٠) قال في "الأعراف": ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وقال في "الشعراء": ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[4]، فقد جعل الوعيد مبهماً معرّضاً به .. على أنه قد قرن إليه بيانه بعد ذلك ،وهو قوله: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ.. ﴾الآية [5]، فجمع بين التعريض بالوعيد والإفصاح بالتهديد معاً.. [6].

«فأما اختصاص سورة "الشعراء" بقوله:«فلسوف» وزيادة اللام فلتقريب ما خوفهم به من إطلاعه عليهم، وقربه منهم، حتى كأنه في الحال موجوداً، واللام للحال، والجمع بينهما وبين سوف التي للاستقبال إنما هو لتحقيق الفعل وإدنائه من الوقوع، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٧)؛ فجمع بين اللام وبين يوم القيامة كما جمع بينها وبين سوف على ما قاله – تعالى – : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[8]، وقد بينا أن سورة "الشعراء" أكثر اقتصاصاً لأحوال موسى – في بعثه وابتداء أمره، وانتهاء

---

١) البرهان في متشابه القرآن :(٢١٠).

٢) انظر: التعبير القرآني (٣٣٤).

٣) الأعراف (١٢٣).

٤) الشعراء (٤٩).

٥) الأعراف (١٢٤) ، والشعراء(٤٩) .

٦) درة التنزيل وغرة التأويل (٩٩).

٧) النحل: (١٢٤).

٨) النحل (٧٧).

حاله مع عدوه؛ فجمعت لفظ الوعيد المبهم مع اللفظ المقرّب له المحقق وقوعه إلى اللفظ المفصح بمعناه»[1]، فزادت على "الأعراف" لفظاً ومعنى.

ثم إن تأكيد فرعون تهديده باللام في "الشعراء" مناسب لموقف الغضب الزائد والتميز من الغيظ[2]، الذي رسمته لنا أساليب التعبير عن أحداث القصة في هذه السورة. ولذلك وجدنا أن الأسلوب القرآني في عرض هذا الموقف قوياً مجلجلاً ينبئ عما اعتوره من شدة غضب وقوة مواجهة بين الحق والباطل. وهذا هو ديدن أسلوب القرآن عندما يستدعي الموقف ذلك؛ حيث نجده يتدفق ويندفع، في جمل قصيرة، مثيراً بذلك الانفعال السريع العنيف، وذلك حيث يتطلب هجوم الحق على الباطل هذا العنف المثير[3].

١١) قال في "الأعراف": ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]، وقال في "الشعراء": ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

وذلك لأمور عدة:

أولاً: إن (ثم) تدل على الترتيب، ففي وردوها في سورة "الأعراف" دلالة على أن الصلب يقع بعد التقطيع، ولكون هذه الحلقة من القصة تعرض لأول مرة في "الأعراف" فكان لا بد من بيان الترتيب «وإذا دل الكلام في الأولى عُلم في غيرها»[6].

ثانياً: إن (ثم) تقيد التراخي، ففيها دلالة على أنه أعطاهم مهلةً في "الأعراف"، ولم يعطهم مهلة في "الشعراء"؛ وذلك لزيادة غضبه، واحتراق قلبه[7] الذي يكاد يتميز من الغيظ على موسى.

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل (٩٩).

٢) انظر التعبير القرآني، ص: ٣٣٤.

٣) من بلاغة القرآن: (١٨٨).

٤) الأعراف (١٢٤).

٥) الشعراء (٤٩).

٦) البرهان في متشابه القرآن، (٢٠٠).

٧) التعبير القرآني (٣٣٥).

ثالثاً: إن سورة "الشعراء" مبنية على البسط الأوسع والاقتصاص الأكثر من سورة "الأعراف"، والواو أشبه بهذا المعنى؛ إذ يجوز أن يكون ما بعدها ملاصقاً لما قبلها كالتعقيب الذي تفيده (الفاء)، ويجوز أن يكون متراخياً عنه كالمهلة التي تفيدها(ثم).. فكانت الواو أشبه بهذين المكانين، و(ثم) تختص بأحد المواضع التي يصلح الواو لجمعها، فلما كانت مقتصراً بها على بعض ما وضعت له الواو، استعملت حيث اختصرت الحال.. [1].

فاقترن بكل من الموضعين ما كان أليق بالمقصود فيه؛ فلذلك خُصَّت (ثم) بموضع "الأعراف"، و(الواو) بموضع "الشعراء".. وبان لنا من خلال الخصائص والدلالات السابقة أن لا تعارض بينها، فبعضها يكمّل الآخر؛ لتنتظم في النهاية مشكلة كلاً لا يتجزأ ؛لتؤدي أغراضها المرجوة منها شكلاً ومضموناً .

١٢) قال في "الأعراف": ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[2]. وقال في "الشعراء": ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[3].

فزاد: ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في "الشعراء" لمناسبة مقام التفصيل الذي دللنا عليه من ذكر أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها؛ حيث بدأ بقوله ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً ﴾[4]، وختم بقوله: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[5]. «فلهذا وقع فيها زوائد لم تقع في "الأعراف".. فتأمل وتدبر تعرف إعجاز القرآن»[6].

وقد ذكر "الخطيب الإسكافي" تعليلاً وجيهاً – لزيادة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في "الشعراء" – فقال: «والجواب أن يقال إنهم قابلوا وعيده بما يهونه، ويزيل ألمه؛ من انتقالهم إلى ثواب ربهم مع [ما هو مُتَحَقَّقٌ] من منقلب معذبهم، فجاء في سورة "الشعراء"- وهي التي قصد بها الاقتصاص الأكبر-﴿لَا ضَيْرَ﴾، أي: لا ضرر علينا فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فنعم

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل (٢٠٨).

٢) الأعراف (١٢٥).

٣) الشعراء (٥٠).

٤) الشعراء (١٨)

٥) الشعراء (٦٦)

٦) البرهان في متشابه القرآن (٢٠١).

أبدا، وتعذب أنت أبداً، فالضرر الذي تحاول إنـــزاله بنا يكون بك نازلاً وعليك مقيماً، ونحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها، فكأنه لم يلحقنا ضـــرر، وفي ســـورة "الأعراف" وقع الاقتصار على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ وفيه كفاية وإبانة عن هـــذا المعنى، ودلالة بناء على ما فيها ..»[1].

ومن ناحية أخرى فإن زيادة (لا ضير) في "الشعراء" تناسب مقام التهديد الشـــديد والوعيد المؤكد ؛لأن تهديده فيها أشد وآكَد مما في "الأعـــراف" «فلـــو أنهـــم قـــالوا في "الأعراف" (لا ضير) دون "الشعراء" لظن أنهم هابوا التهديد الشديد، فلم ينطقوا بما يدل على عدم الاكتراث؛ إذ من المعتاد أن يرهب الإنسان التهديد الكبير دون الصغير، أما إذا استهانوا بالتهديد الكبير، و لم يكترثوا به فإن ذلك يدل – ولا شك – على أنهـــم أقـــل اكتراثاً بالتهديد الأدنى، وأقل رهبة له. فناسب هذا أن يقولوه في موطن التهديد الشـــديد دون الأدنى»[2].

فإن قلت: ولماذا لم يذكروه في الموطنين ؟

فالجواب: إن ذكره في موطن التهديد الشديد يغني عن ذكـــره في المـــوطن الأدنى، وذلك من باب أولى، فكأنهم ذكروه في الموطنين، إذْ لا يعقل أن يملكوا الشجاعة لقوله في موطن التهديد الشديد، ولا يستطيعون ذلك في موطن التهديد الأدنى، فذكره في مـــوطن التهديد الأدنى أصبح تحصيلاً حاصلاً وإن لم يُذكر، بل إن ذكره في هذه الحالة قد يُضعِف من بلاغة الأسلوب وقوة الدلالة ..

يقول الدكتور "فاضل السامرائي" : «إن ذكره في الموطنين مخل بالإيجاز، إذ إن ذلك مفهوم من الموطن الأول. ثم إن بناء القصة في "الشعراء" قائم على التفصيل، وبناءهـــا في "الأعراف" قائم على الاختصار، وذلك يقتضي أن يفصّل ما يقتضي التفصيل، ويختصر ما هو معلوم وما لا حاجة لذكره؛ فاقتضى ذلك أن يذكر القول في "الشعراء"، الذي هـــو مقام الرهبة الشديدة، ومقام التفصيل دون "الأعراف" الذي هو مقـــام التهديـــد الأدنى، ومقام الاختصار.

---

١) درة التنـــزيل وغرة التأويل (١٠٠).

٢) التعبير القرآني (٣٣٥).

ثم إن ذكره في الموطنين عل السواء معناه أن المقامين متشابهان، ولا فرق بينهما، ومن المعلوم أنهما ليسا متشابهين، فاقتضى أن يذكر في كل موطن ما يتناسب معه من الأمور، فوضع كل تعبير في مكانه اللائق به تماماً»[1] من جميع جوانب التعبير الأسلوبية والدلالية..

وبالمناسبة فإن هذا الحوار الذي دار بين فرعون والسحرة قد تكرر في أربع سور هي: هاتان السورتان بالإضافة إلى سورتي:"يونس"و"طه". وفي كل سورة نجد إضافات، واختزالات فريدة »[2].

ثم يمضي في "الأعراف" مبيناً النتائج المترتبة على هذه المواجهة التي انتهت في جولتها الأولى بهزيمة منكرة لفرعون وحاشيته أمام كل الناس ليقوم فرعون بعدها بالتنكيل بموسى وقومه، الذي أرشد قومه وحضهم على الاستعانة بالله والتحلي بالصبر في مواجهة كل الوسائل الإرهابية التي اتخذها فرعون ضدهم، وأخذ يبعث فيهم روح الأمل.. إلى آخر ما هنالك من بيان لتلك الأحوال التي حلت بفرعون وقومه إلى أن أهلكه الله بالإغراق في البحر، ويتواصل بعد ذلك الحديث عن بني إسرائيل وتاريخهم والآيات التي أراهم الله إياها ومعاصيهم واستهانتهم بالنعم.

فالتركيز في"الأعراف"بعد إيراد قصة موسى مع فرعون كان على بني إسرائيل وذكر أحوالهم.

أما في "الشعراء" فيمضي لإتمام قصة موسى مع فرعون فقط إلى نهايتها تماشياً مع التفصيل الوارد في السورة لهذه القصة، لتنتهي القصة بهلاك فرعون ونجاة بني إسرائيل.

«ومن هنا يصبح ذلك التشابه في المقطعين تشابهاً جزئياً بالنسبة للموضوع كله فضلاً عن كونه ليس تماثلاً على الإطلاق»[3].

وقد رأينا كيف تم توظيف مستويات اللغة المختلفة صوتاً وبنيةً وتركيباً؛ لتؤدي الدلالات المحددة والدقيقة المرادة منها في كل سياق على حدة .

---

١) التعبير القرآني (٣٣٥).

٢) انظر: التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني : (٥٧).

٣) دراسات قرآنية، محمد قطب، (٣٣٦).

إننا عندما ننظر إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه في مختلف قوالبها اللفظية ودلالاتها المعنوية في كل موضع ذُكرت فيه في القرآن الكريم، فإننا نجد أداءات أسلوبية جديدة، وأساليب عرض بيانية غاية في الدقة، مع ما يرافق ذلك من إضافات معنوية واضحة، تضيء جانباً من المعنى العام للقصة، فتضفي – بمجملها – على الصورة الكلية سمة التكامل والتنوع ،اللذين يذكيان في النفس روح المتعة والتشويق والرغبة في المتابعة؛ ذلك أنك في كل موضع تقرأ فيه هذه القصة ما تبرح إلا وقد اكتشفت شيئاً جديداً في الشكل والمضمون.

«وغني عن القول أن اختيار الألفاظ والعبارات كان مقصوداً لخدمة الناحية الفنية في أدق معانيها وأكمل صورها»[1] فبان بهذا أن التكرار المعنوي لا يكمن سوى في المعنى العام، ويبقى لكل تعبير خصائصه الأسلوبية ودلالاته المعنوية المتميزة والتي جعلت من هذه الظاهرة معلماً بارزاً من معالم الإعجاز القرآني.

ولتتضح الرؤية أكثر ننتقل إلى مواضع القصة في كل من سور: ("طه"، و"النمل"، و"القصص")؛ نظراً للتشابه المعنوي في ظاهر هذه المواضع؛ لندرك الخصائص الأسلوبية والدلالية في كل منها..

المطلب الثاني:تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في قصة موسى عليه السلام من خلال مواضع القصة في سور:("طه" ، و"النمل" ،و"القصص"):

تمثل سورة "طه" الموضع الثاني في تفصيل قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه بعد سورة "الأعراف". فسورة "طه" هي (الخامسة والأربعون) من حيث النزول) غير أنها تمتاز عن "الأعراف" بالتفصيل الأوسع والبسط الأشمل؛ حيث تبدأ من حلقةٍ أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في "الأعراف"» تلك هي رؤية موسى للنار من جانب الطور.

كما تتفرد سورة "طه" بفواصلها المميزة عن بقية السور التي عرضت لهذه القصة.

وفي الوقت نفسه تتشابهت هذه السورة مع كل من سورتي "النمل" و"القصص" في تناول بعض الحلقات العامة للقصة من حيث المعنى العام وتقارب السياق التعبيري، الذي

---

١) التعبير القرآني (٣٣٥).

برز بشكل أكثر وضوحاً في موضعي "النمل" (الثامنة والأربعون من حيث النزول) و"القصص" (التاسعة والأربعون)، والذي يوهم بوجود التماثل التام دونما أدنى اختلاف.

وما دمنا بصدد التحليل التفصيلي لخصائص الأسلوب والدلالة في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، فسنبدأ باستعراض مواطن التشابه في القصة كما وردت في مواضعها الثلاثة لنكشف عن وجوه الاتفاق أو الاختلاف في هذه المواقف المعروضة في السور الثلاث لهذا الجانب من القصة، حتى نرى وجه التكرار المعنوي، ومن ثم نقوم – كالعادة – بتحليل خصائص الأسلوب والدلالة المتعلقة بكل موضع؛ لتتضح الفروق التعبيرية التي بنيت عليها القصة بحسب سياقاتها الخاصة في كل موضع، وذلك على النحو الآتي:

١– قال تعالى – في سورة "طه" – : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . . . ﴾[١].

٢– قال تعالى – في سورة "النمل" – : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . . . ﴾[٢].

٣– قال تعالى – في سورة "القصص" – : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . . . ﴾[٣].

من خلال الآيات الكريمة السابقة في المواضع الثلاثه ، اتضح لنا أنها تتضمن المعاني العامة الآتية:

١–رؤية موسى للنار أثناء عودته إلى مصر من أرض مدين، ومعه أهله.

٢–طلب موسى من أهله المكوث حيث هم، حتى يذهب إلى المكان الذي رأى فيه النار.

---

١) "طه": (٩–٢٤) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٨، ٣٠٩)) .

٢) النمل: (٦–١٤) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٩)) .

٣) القصص: (٢٩–٣٢) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٩)) .

٣-غاية موسى من هذا الذهاب أن يحصل على شعلة من النار ليتدفأ بها هو وأهله، أو يجد هادياً يهديه الطريق ويدله عليها.

٤-وصول موسى إلى موقع النار، وسماعه نداء الله سبحانه يخبره أن الذي رآه ليس ناراً، وإنما هو نور الحق – تبارك وتعالى – وأن المتكلم هو الله – سبحانه – الذي لا إله إلا هو، وقد اختار موسى أن يكون رسوله إلى فرعون.

٥-تأييد الله – سبحانه وتعالى – لموسى بالمعجزات التي يحاج بها فرعون؛ وهي عصاه التي يلقيها من يده فتنقلب حية عظيمة تسعى ، ويده التي يدخلها في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء مشرقة مضيئة من غير سوء.

كانت تلك أهم المعاني العامة التي حملتها القصة في مواضعها الثلاثة.

وحتى تتبين لنا وجوه الاتفاق والاختلاف بين هذه المواضع؛ لنتمكن من تحليل خصائص الأسلوب والدلالة في كل منها حسب سياقه – نورد الآتي:

م	"طه"	"النمل"	"القصص"
١ –	وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى نَاراً	----------	فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً
٢ –	فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً	إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً	قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً
٣ –	لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى	سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ	لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ
٤ –	فَلَمَّا أَتَاهَا	فَلَمَّا جَاءَهَا	فَلَمَّا أَتَاهَا
٥ (أ) –	نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى	نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ	نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ
٥ (ب) –	---------	يَا مُوسَى	أَنْ يَا مُوسَى
٦ –	إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا	إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ	إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
٧ –	قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى	وَأَلْقِ عَصَاكَ	وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ
٨ –	فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى	فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ	فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ
٩ –	قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى	يَا مُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ	يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ
١٠ –	وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ	وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ	اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
١١ –	آيَةً أُخْرَى	فِي تِسْعِ آيَاتٍ	فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ
١٢ –	اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى	إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ	إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ

وقبل أن ندخل إلى التحليل يجب أن نقرر حقيقة مهمة، وهي أن القصة في سورة "طه" وسورة "القصص" مفصّلة مطوّلة، أما في سورة "النمل" فموجزة مجملة . وما أوردناه من القصة في سورة "النمل" هو كل ما ورد منها في السورة تقريباً، أما ما ذكرناه منها في سورتي "طه" و"القصص"، فما هو إلا جزءٌ يسير من القصة في السورتين؛ حيث بدأت القصة في سورة "القصص" من قبل أن يأتي موسى عليه السلام إلى هذه الدنيا، إلى ولادته، وإلقائه في اليم، والتقاط آل فرعون له، وإرضاعه، ونشأته، وقتله للمصري، وهربه إلى مدين، وزواجه، ثم عودته بعد عشر سنين، مع ما رافق هذه العودة من إبلاغه بالرسالة، وتأييده بالمعجزات – كما مر بنا –، ودعوته فرعون إلى عبادة الله، وتكذيب فرعون واستكباره، ومن ثم غرقه في البحر وإهلاكه هو وجنوده.

وكذلك الحال في سورة "طه" باستثناء مرحلة ما قبل الولادة، فالقصة تبدأ فيها من حادثة إلقائه في اليم.

أمر آخر لا بد من بيانه – أيضاً قبل ولوجنا إلى ميدان التحليل- وهو أن القصة في "طه" لم تكن مرتبة ترتيباً زمنياً، أما في "القصص" فقد رُتّبت حسب الزمن.

وبناء على ما تقدم فتحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للمواضع السابقة المشتركة في السور الثلاث يتمثل في الآتي:

١) قال الله – تعالى- في سورة "طه": ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا ﴾[١]، وقال في سورة "القصص": ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ﴾[٢]، ولم يجر ذكر هذا المشهد الأول (رؤية موسى للنار) في سورة "النمل". بل مهد للقصة بقوله – سبحانه – : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[٣].

---

١) طه: (٩-١٠).

٢) القصص: (٢٩).

٣) النمل: (٦).

وهذا المشهد -هو مدخل القصة- يبعث على لفت الانتباه والإثارة بدرجة أساس، إذ لا يتعلق به غرض أصيل جداً في القصة «بل هو أشبه بالدقات التقليدية على خشبة المسرح التي تسبق رفع الستار في الرواية أو المسرحية»[1].

ومع هذا فإن لكل حال من هذه الأحوال الثلاثة نغماً خاصاً يمهّدُ به للجو الذي تعرض فيه القصة؛ ففي سورة "طه" كانت القصة امتداداً لتعداد ما حوى القرآن الذي نزل على النبي الكريم ﷺ من آيات، وعبر وعظات، منها "القصص"، ومنه قصة موسى هذه.. وكذلك الشأن في سورة "النمل"؛ حيث تجيء منبئة عن حكمة الحكيم العليم ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾، أما في "القصص" فإن هذا المقطع هو امتداد لقصة موسى كلها ، التي بدأت من أولها إلى خروج بني إسرائيل من مصر، فتعداد نعم الله على موسى عليه السلام.

وهاتان الزيادتان التمهيديتان في سورتي "طه" و "القصص" تتناسبان مع مقام التفصيل الذي بنيت عليه كلٌّ منهما.

والملاحظ أن ذكر القصة قد بدأ في "طه" بالإنشاء (الاستفهام)، وذلك لغرض التقرير، وأما في سورتي "النمل" و"القصص" فقد بدأ بالإخبار.

٢) قال الله - تعالى- في سورة "طه": ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[2]، وقال - تعالى - في سورة "النمل": ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[3]، وقال - سبحانه - في "القصص": ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾[4].

هذا هو أول مشهد من صميم القصة نراه صورة واحدة للمشهد العام في السور الثلاث، وعند التدقيق نجد أنه زاد حرف الفاء في "طه" (فقال)، ولم يكن ذلك في "القصص" (قال)، في حين تقدم القول الظرف الزماني الماضي (إذْ قال) في "النمل".

---

١) القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه) : (٦٠).

٢) طه: (١٠)

٣) النمل: (٧).

٤) القصص (٢٩).

فكل تعبير من هذه التعبيرات قد ناسب السياق النظمي والدلالة المرادة منه؛ فجاء بالفاء في "طه" بعد ورود الظرف (إذ رأى ناراً فقال)، وهذا الظرف هو «ظرف للحديث[(حديث موسى)]، وقيل العامل فيه مقدر، أي:اذكر»[1].

فناسب أن يأتي بالفاء كون الظرف قد تقدمه، ولوجود الارتباط السياقي التعاقبي بين رؤيته للنار وقوله لأهله: (امكثوا) الذي قواه وجود الظرف"إذ" والموحي بوجود سؤال مقدر مفاده: فماذا قال بعد ذلك ؟ أو ما شابهه .

وأما في "القصص" فلم تحتو الجملة السابقة للقول على الظرف (إذْ) ؛ ولذالم تحتج إلى فاء التعقيب، هذا أمر.. وأمر آخر أن الجملة السابقة لقول موسى لا ترتبط سياقياً بالقدْر نفسه الذي ارتبطت به الجملة الشبيهة في سورة "طه" ،بل هي موحية بالانفصال؛ لكونها قد طالت كثيراً مقارنة بأختها في "طه". وفي الوقت نفسه بدأت هذه الجملة المستقلة نوعاً ما في "القصص" بالفاء (فلما) حتى انتهت مفيدة واضحة لا تحتاج إلى تقدير سؤال، فناسب ذلك الفصل بينها وبين تاليتها ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾.. والله أعلم.

وأما في "النمل" فلم ترد الجملة التمهيدية أصلاً – كما بينا – وإنما بدأ الحديث عن القصة من أول حلقاتها الأصيلة؛ فلم يناسب العطف أو التعقيب؛ إذْ لا معقّب عليه في ظاهر السياق موجود – هذا ما بدا للباحث – والله أعلم- ..

وأما زيادة (امكثوا) في "طه"، و"القصص"، فلمناسبة مقام التفصيل[2] بخلاف سورة "النمل" المبنية على الإيجاز، فناسبها الاكتفاء بما تقدم في "طه"[3].

وعليه فإن قول موسى لأهله (امكثوا) بالإظهار في "طه" و"القصص" وتضمين هذا القول في "النمل" بسبب الإيجاز، مع تعقيبه بـ ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ . « وهذه استعارة على القلب والمراد بها -والله أعلم- إني رأيت ناراً فآنستني فنقل فعل الإيناس إلى نفسه على معنى: إني وجدت النار مؤنسة لي »[4].

---

١) فتح القدير (٣/٣٥٧).

٢) انظر: لمسات بيانية (٩٣).

٣) انظر: البرهان في متشابه القرآن (٢٦١).

٤) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، ط(١)، عالم الكتب (القاهرة) (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م): (١٩٥).

وقد تكررت عبارة﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ في السور الثلاث على صورة واحدة، لم يقع فيها خلاف أو اختلاف في حرف واحد.. ففي ذلك دلالة على أن موسى «لم يكن له إلا قول واحد، وإلا شعور واحد ينطلق منه هذا القول»[1]. هذا القول والشعور الواحد هو ما نسمُه بالمعنى العام، ويبقى – بعد ذلك – لكل سياق ومقام ما يناسبه من ضروب التعبير. فلا تناقض بين الدلالة العامة للمعنى والدلالات الخاصة المعبرة عن جزئيات هذا المعنى في كل موضع..

٣) قال تعالى – في سورة "طه"-: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾[2] . وقال في "النمل": ﴿ سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[3] . وقال في "القصص": ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[4].

فقد بنى الكلام في كل من "طه"، و"القصص"، على الترجي ﴿ لَعَلِّي ﴾، في حين بناه في "النمل" على القطع ﴿سَآتِيكُمْ﴾.وذلك لأن جو القصة في سورة "طه" يظهر عليه طابع الخوف والخشية ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾[5] ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾[6] ﴿ لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾[7] ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾[8] وأما في سور "القصص" فطابع الخوف يسيطر على جو القصة بشكل أوضح مما هو عليه في سورة "طه"؛ فقد كان مقترناً منذ البداية بولادة موسى عليه السلام «فقد خافت أمه عليه من فرعون ،فقد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[9] ويستبد بها الخوف أكثر حتى يصفها رب العزة

---

١) القصص القرآني (في منطوقة ومفهومه): (٦٤).

٢) طه: (١٠).

٣)النمل: (٧).

٤) القصص: (٢٩).

٥) طه: (٢١)

٦)طه: (٤٦).

٧)طه: (٧٧).

٨) طه: (٦٨.٦٧).

٩) القصص: (٧).

بقوله ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] ثم ينتقل الخوف إلى موسى عليه السلام ويساوره ذلك بعد قتله للمصري ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ [2] فنصحه أحد الناصحين بالهرب من مصر؛ لأنه مهدد بالقتل ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ [3] وطلب من ربه أن ينجيه من بطش الظالمين ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [4] فهرب إلى مدين ، وهناك اتصل برجل صالح فيها ، وقص عليه "القصص" فطمأنه قائلاً: ﴿ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [5].

وهذا الطابع –أعني طابع الخوف–يبقى ملازماً للقصة إلى أواخرها، بل حتى إنه لما كلفه ربه بالذهاب إلى فرعون راجعه وقال له :إنه خائف على نفسه من القتل: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ [6] وطلب أخاه ظهراً له يعنينه ويصدقه ، لأنه يخاف أن يكذبوه: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [7] في حين ليس الأمر كذلك في القصة في سورة "النمل" ،فإنها ليس فيها ذكر للخوف إلا في مقام إلقاء العصا» [8]

فمقام الخوف الماثل في سورة "طه" و"القصص" لم يدع موسى يقطع بالأمر ،فالخائف لا يستطيع القطع بما سيفعل بخلاف الآمن ، ولعدم شيوع الخوف في سورة "النمل" بنى الأمر على الوثوق والقطع به.

«ومن ناحية أخرى إن ما ذكره في "النمل" هو المناسب لمقام التكريم لموسى» [9] لغياب جو الخوف عن موسى في موضع القصة من هذه السورة .

---

١)القصص:(١٠).

٢)القصص:(١٨).

٣)القصص:(٢١).

٤) القصص:(٢١)

٥)القصص:(٢٥).

٦)القصص(٣٣).

٧)القصص:(٣٤).

٨)لمسات بيانية ،ص:(٩٣.٩٢).

٩)لمسات بيانية،ص:(٩٤).

ثم انظر كيف تردد القطع واليقين في سورة "النمل"، وذلك في قصة سليمان فقال تعالى- على لسان الهدهد-: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[1] وقوله- على لسان العفريت لسيدنا سليمان عليه السلام -: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[2] وقوله - على لسان الذي عنده علم من الكتاب-: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.

قال "الكلبي"- في تفسير سورة "النمل"-: «فإن قيل كيف قال هنا(سآتيكم) وفي الموضع الآخر (لعلي آتيكم) والفرق بين الترجي والتسويف أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجي ؟ فالجواب أنه قد يقول الراجي : سيكون كذا إذا قوي رجاؤه»[3] .

وفي استخدام موسى للسين بدلاً من سوف أكثر من دلالة ، فالسين دالة على القطع بدون تراخ في حين سوف تدل على التراخي ، كما ورد في قصة يوسف عندما قال الله- على لسان يعقوب-: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾[4]فإنه استخدم سوف ،لأن يعقوب عليه السلام أخّر استغفاره لهم إلى السحَر ، وقيل حتى تأتي ليلة الجمعة....[5] قال "الزمخشري": «فإن قلت كيف جاء بسين التسويف قلت :عدّه لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ»[6] وفي ذلك نوع من التأكيد والتطمين وقيل إن قوله (سآتيكم) مناسبة لقوله تعالى في آخر السورة: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[7] فـ(سآتيكم) مناسبة لـ(سيريكم) [8]

فانظر إلى هذه الدلالات كيف تناسبت مع المقام ترجياً وقطعاً ،وكيف تم وضع كل تعبير في موطنه اللآئق به.

ثم انظر كيف كرر فعل الإتيان في "النمل" فقال: ﴿ سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾، و لم يكرر ذلك في "طه" أو "القصص" «فأكد الإتيان في

---

١)النمل:(٢٢).

٢)النمل :(٣٩)

٣)التسهيل لعلوم التنزيل: (٩٣/٣).

٤)يوسف :(٩٨)

٥)انظر :فتح القدير: (٥٥/٣)

٦)الكشاف:٣٥٤/٣

٧)النمل:(٩٣)

٨)انظر لمسات بيانية: (٩٥)

سورة "النمل" ؛ لقوة يقينه، وثقته بنفسه، والتوكيد يدل على القوة »[1]، في حين لم يكرر فعل الإتيان في "طه" و"القصص"؛ مناسبة لجو الخوف.

وإذا ما انتقلنا إلى تحليل البنى المضمونية للمعنى المعبَّر عنه في السور الثلاث، وجدنا أنه رجا في سورة"طه" أن يأتيهم بقبس.. والقبس : الشعلة من النار تقتبس من معظم النار[2] يقال قبست منه ناراً أقبس قبساً[3] . أما الشهاب المقطوع به في سورة "النمل" فهو: شعلة نار ساطعة[4] . وأما الجذوة من النار المترجّاة في "القصص"، فهي: القطعة الغليظة من الخشب ليس فيها لهب، وفي الصحاح كأن فيها ناراً[5] ،وقال الراغب «والجذوة : الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب» [6].

فقد اختلفت صورة الأداء المعبرة عن هذا المعنى العام ، وبالتالي فإن في الدلالة الدقيقة لكل أداء نوعاً من الخصوصية التي اقتضاها السياق، فالمجيء بالشهاب وعلى سبيل القطع أفضل من المجيء بالقبس على سبيل الترجي . وأما المجيء بالجمرة ، وعلى سبيل الترجي أيضاً فهي أدنى من ذلك كله سياقاً ومعنى ؛ «لأن الشهاب يدفئ أكثر من الجمرة ؛لما فيه من اللهب الساطع ،كما أنه ينفع في الاستنارة أيضاً . فهو أحسن من الجذوة في الاستضاء والدفء .

ومن ناحية أخرى ،ذكر [في "النمل"] أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار ، وليس مختلساً أو محمولاً منها ؛ لأن الشهاب يكون مقبوساً وغير مقبوس ؛ وهذا أدل على القوة وثبات الجنان؛ لأن معناه أنه سيذهب إلى النار ويقبس منها شعلة نار ساطعة»[7].

قد يقول قائل :إن معنى الشهاب والقبس متقارب جداً فإذا كنا قد سلمنا بما نقول من اختلاف خصائص الأسلوب التعبيري في "النمل" و"القصص" الذي رافقه اختلاف

---

١)لمسات بيانية: (٩٥).

٢) انظر: لسان العرب: "مادة: ق ب س" (١٦٧/٦).

٣) تفسير القرطبي (١٧٢/١١).

٤) انظر مختار الصحاح: "مادة: ش هـ ب" (١٤٧/١).

٥) انظر "مادة: ج ذ و" في: لسان العرب: (١٣٨/١٤) ، ومختار الصحاح: (٤٢/١).

٦) المفردات في غريب القرآن: (٩٠/١).

٧) لمسات بيانية: (٩٦).

واضح في الدلالة –فما تقول في التقارب الكبير بين التعبيرين إن لم نقل اتحادهما – في سورتي "طه"و"النمل" ؟.

والجواب أنه في "النمل" لم يكتف بـ« الشهاب» فقط ، علي الرغم من كون الدلالة فيه أقوى من القبس ، فالشهاب لا بد أن يكون شعلة ساطعة أما القبس فيطلق على أي شعلة تؤخذ من وسط النار حتى ،وإن لم تكن ساطعة.

ثم انظر إلى زيادة المبنى في ("النمل") (شهاب قبس)، خلاف "طه" (قبس)، فذلك يدل على زيادة المعنى؛ ليتناسب مع مقام التأكيد والقطع الذي دللنا عليه قبلاً .

وعندما نستطلع آراء المفسرين والعلماء الذين تعرضوا للآيات المشتبهة في القرآن – نجد أن الكثرة الغالبة منهم يكتفون بالتفسير الظاهري لكل موضع على حدة. أما من تعرض منهم للموازنات بين هذه الألفاظ المشتبهة، وأخضعها للدرس المقارن بشكل مفصل فليس إلا القليل – إن لم يكن نادراً فيما يبدو للباحث– مع أن التركيز في تلك الدراسات كان منصباً على المعنى العام.

ووجود التكرار في المعنى العام لا خلاف عليه عند أحد، ولا أدل على ذلك من عنوان هذه الأطروحة الموسومة بـ"التكرار المعنوي" أي تكرار المعاني العامة – كما هو معلوم من منهج البحث – وليس هذا ما نقصده هنا، بل المقصود الدلالات الخاصة والدقيقة لصور الأداء اللغوي المتشابهة، والمعبرة عن المعنى العام الواحد، وهذا أيضاً هو منهج التحليل الأسلوبي والدلالي الخاص بهذه الدراسة.

كما أن أغلب المصنفات المعتمدة في ذلك -إلى يومنا هذا- ترجع إلى تلك العصور المتقدمة بفارقٍ زمنيٍّ كبيراً، ولم يكن الدرس الأسلوبي والدلالي بمفهوم علم اللغة واللسان الحديث، قد وصل إلى ما وصل إليه في زمننا الحاضر؛ ولذلك فهؤلاء المفسرون والعلماء الأجلاء يصدُرون عن الرؤى اللغوية التي كانت سائدة في تلك العصور – وهذا أمر طبعي- ويبقى لمن يأتي بعدهم أن يتعرض لما تعرضوا له من أمور مستصحباً ما استجد في الدرس اللغوي، خاصة ما يتعلق بالتحليل الأسلوبي والدلالي الحديث.

– أمر آخر لحظناه في أسلوب التعبير الخاص بهذه المواضع في السور الثلاث؛ يتمثل في التقديم والتأخير .. فتارة يقدم إتيانه بالقبس وتارة يؤخر ذلك ويقدم إتيانه بالخبر، فلا يدل ذلك على التناقض بين هذه المواضع، بل إنه وصف للحال التي كان عليها موسى، وهذه الحال لا تعدو أن تكون إحدى الصور الثلاث التي تمثل بقية مقول القول. ولا نستطيع نحن ولا غيرنا أن نجزم أياً منها كان هو القول الذي أسمعه موسى لأهله!

يقول "عبد الكريم الخطيب": «أما المقولان الآخران [في سورتي "النمل" و"القصص"] – في رأينا – مما كان يدور في خلد موسى، ويخطر في خاطره، وهو يحدث أهله بما سيكون من شأنه مع تلك النار التي رآها..

فهو بين يأس ورجاء مما سيجد عند النار، فقد يكون موقد النار ركب تجار، أو قطاع طريق!.. ولهذا فإنه إن صرح بأنه سيأتي بخبر راجع نفسه، فقدر غير هذا التقدير، ثم عاوده الأمل، ثم طلع عليه الخوف، وهكذا.. ثم قال: لعل وعسى!! وهو موزع النفس بين الأمرين المتطلع إليهما؛ الحصول على قبس من النار، والعثور على الأنيس الذي يبدد مخاوف هذا المكان المخيف، ويذهب بوحشته. وهو حريص عليهما معاً طامع فيهما جميعاً، فهو وإن قدم أحدهما لفظاً، فإنه قد يكون هو المقدم في خاطره، ثم يدفعه صاحبه، ويتقدم عليه.. وهكذا»[1].

ثم إن النار التي تصوّر أنه سيحصل عليها ليست في تصوره لها على حالة واحدة؛ إذ لا يدري ما الذي يمكن أن يحصل عليه منها؛ أهو شعلة أم بعض شرارات وجمرات أم ماذا؟!! وهكذا تكون هذه الصور المتكررة جامعة بين منطوق موسى عليه السلام والخواطر المتلبسة بهذا المنطوق[2].

فانظر إلى هذا البيان المتنوع لفظياً؛ ليتناسب دلالياً – بدقة – مع كل الأحوال الظاهرة والباطنة التي اعتورت موسى في تلك اللحظة، فنحن عندما نرهف السمع لها وننعم أنظارنا فيها محاولين تخيل الموقف، فإن هذه الصياغات التعبيرية تنقلنا عبر الأثير لتعرض لنا أدق خصائص الموقف بالصوت والصورة معاً.

---

١) القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه): (٦٤).

٢) انظر: المرجع السابق: (٦٤ ، ٦٥).

«وهذا التصوير الدقيق لأحوال النفس، ومسارب الخاطر، لا يمكن أن يكون في غير القرآن.. ولا يمكن أن يحتمله نظم غير نظم القرآن.

ثم إنه لا يمكن أن يكون على صورة مقبولة مع هذا التكرار إلا إذا جاء موزعاً كما هو واضح في هذه المعارض الثلاثة، وإلا تراكمت ألوان الصورة وتدافعت، ولطم بعضها وجه بعض!" [1] ثم انظر كيف أن تلك المقولات على اختلافها قد جمعت بين كل ما لقاله موسى لأهله، وما كان يجري في خاطره من مشاعر وإحساسات وضع كل تعبير في موطنه اللائق به لفظاً ومعنى.

٤- قال تعالى في سورة "طه": ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ [2]. وقال في "النمل": ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾ [3]. وقال في "القصص": ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ [4] .

هذا هو المشهد الرابع في هذه المرحلة من القصة، بعد رؤية موسى للنار، ثم أمره أهله بالمكوث في مكانهم، ثم بيانه لهم عن سبب الذهاب إلى مكان النار. فهذا المشهد يصور وصول موسى إلى مكان النار، ثم سماعه نداء الحق -تبارك وتعالى- .. ومن ثم تكليفه ليكون رسولاً من رسل الله إلى عباده.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا عبر الله ﷻ عن وصول موسى عليه السلام إلى مكان النار بفعل "الإتيان" في سورتي "طه" و"القصص" وبفعل "المجيء" في سورة "النمل"؟!

وقبل أن نبين علة ذلك .. علينا أن نعرف أولاً الفرق الدلالي الدقيق بين هذين التعبيرين .

يقول"الراغب الأصفهاني" –مفرقاً بين الإتيان والمجيء-:«الإتيان مجيء بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه"أتيٌّ"»[5]. وقال: إن المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول

---

١) القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه): (٦٥).

٢) طه: (١١).

٣) النمل: (٨).

٤) القصص: (٣٠).

٥) المفردات في غريب القرآن: (٨/١).

والمجيء»[1]، وذكر هذا "المناوي" في "التعاريف"[2] وقال "ابن منظور" –موضحاً–: «ولهذا قيل للسيل الذي يأتي من بلد قد مطر فيه إلى بلد لم يمطر فيه "أتيٌّ"، ويقال: أتيّت السيل فأنا أؤتّيه إذا سهّلت سبيله من موضع إلى موضع ليخرج إليه»[3].

وقد أرجع ""الكرماني"" السبب في قوله«أتاها» في "طه" و«جاءها» في "النمل" إلى كثرة دوران لفظ الإتيان في "طه" (فأَتِيَاهُ–فَلَنَأْتِيَنَّكَ–ثُمَّ أَتَى–ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً–حَيْثُ أَتَى..)[4]، ولفظ "جاء" في "النمل" (فلمّا جَاءتْهُم–وجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ–فلمّا جَاءَهَا سُلَيْمَان..)[5] وألحق "القصص" بـ"طه" لقرب ما بينهما[6].

لكن ما قاله "الكرماني" – رحمه الله – فيه نظر ؛ لأن فعل الإتيان قد كثر دورانه أيضاً في "النمل" حيث تكرر اثنتي عشرة مرة[7] ، ولعل هذا يكون من علل تكرار فعل الإتيان في "النمل" في قوله:﴿سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ﴾الذي مر بنا، إذا ما استصحبنا إلى جواره سمة القطع واليقين التي بيناها في الفقرة الأخيرة من التحليل الخاص بالفقرة رقم: (٣). وإلا فسورة "طه" قد تكرر فيها فعل الإتيان أكثر مما في "النمل" غير أن سمتها كانت سمة الترجي –كما مر بنا– فلم يناسب ذلك تكرار فعل الإتيان في قوله:﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾والله أعلم.

يقول "الدكتور/فاضل السامرائي":« والذي استبان لي أن القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له "أَتَيَ"؛ فهو يقول مثلاً﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[8]؛ وذلك لأن هذا المجيء فيه مشقة وشدة وقال:﴿وَجَاءَتْ

---

١) المفردات في غريب القرآن: (١/١٠٣).

٢) انظر: التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: د. محمد رضوان الداية، ط:١، دار الفكر المعاصر (بيروت–دمشق) (١٤١٠هـ): (١/٣٢).

٣) لسان العرب: "مادة:أ ت ي" (١٤/١٦).

٤) "طه" الآيات: (٤٧.٥٨.٦٠.٦٤.٦٩).

٥) النمل الآيات: (١٣.٢٢.٣٦) على التوالي.

٦) انظر:البرهان في متشابه القرآن: (٢٦٢.٢٦٣).

٧) النمل الآيات: (٧.١٨.٢١.٢٨.٣٧.٣٨.٣٩.٤٠.٥٤.٥٥.٨٧)..

٨) المؤمنون: (٢٧).

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾[1] وقال: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً ﴾[2] وقال: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً ﴾[3]، وقال: ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾[4]، وقال: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً ﴾[5]، وقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ... ﴾[6] الآيات، وقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَتْ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى ﴾[7] الآيات. وهذا كله مما فيه صعوبة ومشقة »[8]

فبان بهذه الآيات ونظائرها ما رمنا بيانه من دلالة فعل المجيء على ما فيه صعوبة وشدة .

« وقد تقول : وقد قال [الله] أيضا: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾[9].

والجواب: أن الذي جاء هنا هو الحديث وليس الغاشية في حين الذي جاء هناك هو الطامَّة والصاخَّة ونحوهما مما ذكر.

ويتضح الاختلاف بينهما في الآيات المتشابهة التي يختلف فيها الفعلان؛ وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾[10]، وقوله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾[11]، ونحو قوله: ﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[12]، وقوله: ﴿ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾[13] وما إلى ذلك ..

فإنه يتضح الفرق في اختيار أحدهما على الآخر ، وإليك إيضاح ذلك: قال تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]، وقال: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ

---

١) ق:(١٩).
٢) الكهف:(٧١).
٣) الكهف:(٧٤).
٤) مريم:(٢٧).
٥) مريم:(٨٨-٩٠).
٦) عبس:(٣٣-٣٧).
٧) النازعات:(٣٤-٣٦).
٨) لمسات بيانية :(٩٧.٩٨).
٩) الغاشية :(١).
١٠) النحل :(١)
١١) غافر :(٧٨).
١٢) يوسف :(١١٠).
١٣) الأنعام:(٣٤).

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٢].فقد قال في النحل ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ وقال في غافر ﴿جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين ، فإن المجيء الثاني اشق وأصعب لما فيه قضاء وخسران في حين لم يزد في الأولى على الإتيان . فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى).

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٣]

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

فقال في آية "يوسف": ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ وفي آية الأنعام: ﴿أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب ؛ وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ كذَبهم و لم يصدقهم فيما وعدهم به، ﷻ، وذهب بهم الظن إلى أنهم كُذبوا ، أي أن الله وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها وعند ذاك جاءهم نصره –سبحانه –فنجِّي من شاء وعوقب المجرمون.

في حين ذكر في الآية الأخرى أنهم كُذِّبوا ، أي كذّبهم الكافرون ،وأوذوا فصبروا . وفرق بعيدٌ بعيد بين الحالتين ، فلقد يكذَّب الرسل وأتباعهم ويؤذون . ولكن الوصول إلى درجة اليأس والظن بالله الظنون البعيدة أمر كبير.

«ثم انظر إلى خاتمة الآيتين تر الفرق واضحاً ؛ فما ذكره من نجاة للمؤمنين ونزول اليأس على الكافرين في آية "يوسف" مما لا تجده في آية الأنعام يدلك على الفرق بينهما»[٥]

---

١) النحل :(١).

٢) غافر:(٧٨).

٣) يوسف:(١١٠).

٤) الأنعام:(٣٤).

٥) لمسات بيانية ،صـ(٩٨.٩٩).

ولهذه الآيات التي ذكرناها أشباه كثيرة تدل على نحو الدلالة التي وصفناها ، وهي أكثر من أن تستقصى في موضع كهذا ،وإنما أردنا أن ننبه بالبعض على الكل فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك.

وعوداً إلى ما نحن بصدد تحليله من قصة موسى في السور الثلاث يتبين لنا أن ما قطعه موسى على نفسه في "النمل" بقوله:﴿ سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾أصعب مما ترجي ذلك في "طه" و"القصص" والقطع أشد وأصعب من الترجي.

ثم انظر إلى المقطوع به في "النمل" والمترجَّى في "طه" و"القصص"، تجد أنه في الأولى "شعلة من النار ساطعة مقبوسة منها"، وهو في الثانية مجرد شعلة من النار لا يشترط أن تكون ساطعة أو غير ساطعة ، أما في الثالثة فلا يعدو أن يكون جمرة فقط. والأولى أقوى ، والثانية والثالثة أغف فأكثر ضعفاً.

وإذا ما خرجنا قليلاً من دلالة المعنى إلى دلالة الصوت في كل من "جاء" و"أتى"، نجد أن الفعل"جاء" حمل حرفين مجهورين، أحدهما صائت طويل ممدود التصويت وهما: "الجيم،وألف المد الواجب المتصل" تلاهما حرف حُنجري المخرج شديد الانفجار، وهو الهمزة ، في حين لا يشترك الفعل " أتى" مع الفعل "جاء" اشتراكاً تاماً إلا في الهمزة فقط، التي لا هي مهموسة [1]، وإن كانت شديدة الانفجار -كما أسلفت-، أما " التاء" فحرف مهموس ضعيف ، وأما " الألف" فهو وإن كان صائتاً طويلاً مجهوراً إلا أنه ليس ممدود التصويت كألف المد المتصل في "جآء".

وعند النظر إلى مقاطع الفعلين نجد أن كل فعل منهما يحوي مقطعين فقط، ترتيبهما في كل فعل عكس ترتيب الآخر ، فمقطعا الفعل "جاء" بالترتيب:

١- طويل مفتوح زائد في التصويت "جا" ⟸ ص//

٢- قصير مفتوح زائد " ءَ" ⟸ ص/

أما مقطع الفعل (أتى) فهما بالترتيب :

---

١) انظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، الدكتور/ رمضان عبد التواب، ط(٢)، الناشر مكتبة الخانجي، (القاهرة – مصر)، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م): (٥٦).

١- قصير مفتوح (أَ) ⟸ ٥/

٢- طويل مفتوح (تَى) ⟸ ٥//

ويقع النبر على المقطع الأول من كليهما؛ نظراً لكون المقطع الأول في (جاء) متوسطاً[١] (طويل مفتوح) والأخير قصيراً، ولحصول العكس في مقطعي "أتى"[٢] .

وواضح ما في نبر مقطع الجيم المجهور في "جاء" من قوة ارتكاز وبذل طاقة أكبر نسبياً في قوة النفَس وطوله التي يُنطق بها هذا المقطع، والتي تتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد مما يتطلبه نبر مقطع الهمزة المهموس في "أتى"، بالإضافة إلى الارتباط الوثيق بين طول الصوت المنبور ودرجة الارتكاز التي يقوم عليها هذا النبر والوضوح الطبيعي للصوت مفرداً[٣].

فالمقطع المنبور في "جاء" هو مقطع طويل ممدود أيضا ، وأما المقطع في "أتى" فهو قصير غير ممدود . هذا إذا أخذنا الصوت مفرداً ، أما إذا أخذناه مضموماً إلى غيره من الأصوات والمقاطع في الجملة فسيستبين لنا بصورة أكثر وضوحاً ما يتميز به الفعل "جاء" برمته في جملة "جاءها" في سورة "النمل" فضلاً عن موضع النبر فيه-من قوة وشدة وثقل مقارنة بالفعل "أتى" في جملة "أتاها" في كل من سورتي"طه" و"القصص".

ويحاول "الدكتور/ فاضل السامرائي" بيان ما ظهر له من علة لفظية في ثقل الفعل "جاء" عن" أتى" وعلاقة ذلك بما نحن بصدد بيانه- فيقول: « ولعل من أسباب ذلك أن الفعل "جاء" أثقل من "أتى" في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ"جاء" ولا أمر ولا اسم فاعل ، ولا اسم مفعول ، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف "أتى" الذي

---

١) هذه التسمية تفرد بها الدكتور "تمام حسان" لكل من المقطع الطويل المفتوح ، والطويل المغلق المتعارف عليه – حسب علم الباحث – عند أكثر علماء اللغة المحدثين ، ومن أشهرهم "رمضان عبد التواب – محمود حجازي – عبد الصبور شاهين – حسام النعيمي " (للتأكد انظر : المدخل إلى أصوات العربية ،د/غانم قدوري ،ص:(٢٠٠).

٢) انظر : البيان في ورائع القرآن ،لتمام حسان ،ص:(٢٦٣).

٣) انظر: علم اللغة للسعران ،ص:(١٨٨).

وردت كل تصريفاته، فقد ورد منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول؛ فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في "جَاءَ"، وخفّة اللفظ وخفة الموقف في "أَتَى"، والله أعلم»[1] .

ومن جانب آخر، فإن ما كُلف به موسى عليه السلام بعد ذلك في سورة "النمل" كان أكثر مما كُلف به سورتي "طه"و"القصص"؛فقد أُمر في "طه" بالذهاب إلى فرعون و لم يذكر معه أحد آخر فقال تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[2] وأمر في "القصص" أن يبلغ رسالة الله إلى فرعون وملئه فقط فقال: ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾[3]، أما في سورة "النمل" فقد أمر أن يبلغ فرعون وقومه قال تعالى: ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾[4] . وبناء عليه ، فالمهمة التي ستوكل إليه بعد ذلك في "النمل" أشق وأثقل مما في "طه" و"القصص" إذ تبليغ فرعون بالإضافة إلى قومه جميعاً أوسع وأصعب من تبليغ فرعون وملأه ، فدائرة الملأ فقط ، فدائرة الملأ ضيقة ؛ وهم المحيطون بفرعون ، والأمر أكثر سهولة بالنسبة لتبليغ فرعون وحده.

وتكمن الصعوبة في تبليغ القوم « أنهم منتشرون في المدن والقرى ، وان التعامل مع هذه الدائرة من الناس صعب شاق، فهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف، فما في "النمل" أشق وأصعب ، فجاء بالفعل"جاء" دون "أتى" الذي هو أخف»[5]

فانظر كيف لمّا أرسله إلى فرعون قال: ﴿ أَتَاهَا ﴾ ،ولما أرسله إلى فرعون وملئه قال: ﴿ أَتَاهَا ﴾ أيضا ، في حين لما أرسله إلى فرعون وقومه قال: ﴿ جَاءَهَا ﴾

وأنت ترى الفرق بين هذه المواطن ظاهر بوضوح في خصائص الأسلوب صوتاً وبنية وتركيباً بما يتوافق مع المعاني الدلالية الدقيقة في كل موطن.

---

١)لمسات بيانية (١٠٤).

٢)طه: (٢٤).

٣)القصص:(٣٢).

٤)النمل:(١٢).

٥)لمسات بيانية(١٠٥).

٥-(أ) قال تعالى في سورة "طه": ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ [١] وقال في " "النمل": ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢]، وقال في "القصص": ﴿ نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ [٣] ، فقد تفردت سورة "طه" ببيان ما جرى -ابتداءً- من حوار بين الله – تبارك وتعالى- وموسى عليه السلام «ولم يخبر الله تعالى به في سائر السور وأخبر به في هذه» [٤] ، ولعل من أسباب هذا البيان ؟ اتسام سورة "طه" بالتفصيل -كما ذكرنا- ثم أن في نداء موسى باسمه نوع من التقريب لموسى وإشاعة الطمأنينة والأمن في نفسه .

ثم انظر إلي مضمون النداء: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾ ما أعذبها من كلمات وما أعظمه من شرف يناله موسي عليه السلام من ربه عز وجل ، يقف اللسان عاجزاً عن وصف تلك المشاعر التي انتابت موسي في تلك اللحظات المباركة ، وفي ذلك المكان المقدس ، وما يمكن أن يشيعه تعبير: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ ﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ﴾ من غبطة وسرور في نفس موسي ، وشعور – في الوقت نفسه – بالحمل الثقيل الذي ألقي علي كاهله ، لكن هذا التعبير في حد ذاته يدفع بالمخاطب إلي بذل كل ما في وسعه ليكون علي قدر هذه الثقة ، وهذا التكريم والتشريف . ثم إن الإضافة كانت إلي موسي منفرداً دون عن غيره في هذه السورة ﴿ رَبُّكَ ﴾ أي : مربيك وحافظك وراعيك .. الخ وفي ذلك ما فيه من التكريم المتناهي لموسي عليه السلام .

والرب يطلب في اللغة علي المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم [٥] ، فانظر إلي هذا التفرد العجيب الذي تميزت به سورة ""طه" " في بيان مضمون ذلك الحوار وما الذي يمكن أن يحمله من ظلال ودلالات دقيقة معجزة.

وأما سورة "القصص" فإنها قد أضاءت جانبا آخر من القصة في ذلك الموقف لم يذكر في أي سورة أخرى ، حيث حددت جهة النداء بدقة ﴿ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ

---

١)طه:(١١-١٣).

٢)النمل(٨).

٣)القصص:(٢٠).

٤)درة التنزيل وغرة التأويل،صـ:(١٦٢).

٥)انظر : لسان العرب: "مادة: ر ب ب" (٣٩٩/١).

الْمُبَارَكَةِ مِنْ الشَّجَرَةِ ﴾ [1] ، وهذا في حد ذاته تفصيل واضح؛ « لأن موطن سورة "القصص" موطن تفصيل [أيضا] كما أن سورة "النمل" قد أشارت إلى أمر آخر لم يذكر في غيرها ، لكم ذلك ألأمر لم يكن مفصلاً بل على سبيل الإجمال ؛ تماشياً مع مقام الإيجاز الذي اتسمت به ؛ هذا الأمر هو قول الله تعالى: ﴿ نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ .

وقد جاء التعبير – هنا كما ترى – على سبيل البناء لما لم يسم فاعله؛ قصداً للاختصار والإيجاز.

و"من"، في قوله: "من شاطئ" لابتداء الغاية، و"من الشجرة" كذلك؛ إذ هي بدل من الأولى، أي: من قبل الشجرة[2].

وأما قوله: ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ في سورة "النمل" ؛ فلكون الموقف فيها موقف تعظيم كما أسلفنا ، وهذا القول تعظيم لله رب العالمين .

فأنعم نظرك إلى كل تعبير ورد في كل موضع من هذه المواضع الثلاثة تجد انه أضاء جانباً من المعنى ، فإذا ما جمعت هذه الجوانب كلها ظهرت صورة الموقف بجميع ملابساته وجزئياته دونما أدنى تناقض.

يقول "عبد الكريم الخطيب" «في هذه المشهد نجد أن الصور الثلاث التي صورت بها المشاهد الثلاثة إنما هي صورة واحدة ،فلقد توزعت توزيعاً دقيقاً محكماً، بحيث أخذ كل مشهد بحظ منها ، يمكن أن يقوم بنفسه ، مستغنياً عن غيره ، فترى فيه ملامح الصورة كلها مجتمعة ، ومتفرقة. كما يمكن إذا انضم إلى المشهدين الآخرين أن يكوِّن معهما صورة مجسدة تبرز فيها الملامح ، وتظهر المضمرات ، وما استتر وراء الكلمات .

فنحن نرى من مجموع الصور والثلاث التي تقع لنا من هذه المشاهد الثلاثة أن مكان هذه الحدث كان بالوادي المقدس طوى، وانه كان بالجانب الأيمن للبقعة المباركة من الشجرة ،

---

١)لمسات بيانية : (١٠٥).

٢)البحر المحيط : (٤/ ١٠٥).

وأن موسى سمع صوت الحق يناديه: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾» [١].

ولا نجد منافاة في اختلاف المقصود من النداء في المواضع الثلاثة؛ إذ حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء [٢].

فانظر إلى هذا التكامل العجيب الذي جعل في هذه الكلمات التي تفرقت في السور الثلاث إمكانية الظهور في مشهد واحد. فيجتمع بعضها إلى بعض على نحو ما ذكرنا دون أن يكون بينها تدافع أو تفكك .

٥-(ب) قال الله تعالى في سورة "النمل": ﴿يَا مُوسَى﴾ [٣] وقال في سورة "القصص": ﴿ أَنْ يَا مُوسَى﴾ [٤] ، في حين قد سبق النداء لموسى في سورة "طه" وقد بيناه عند تحليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ الآيات [٥][٦] فأغنى ذلك البيان –وان كان موجزاً– عن مزيد منه في هذه المقام.

وبالعودة إلى ما نحن بصدد تحليله هنا نقول :لقد جاء بـ"أن" المفسِّرة في "القصص" و لم يأتي بها في "النمل" ؛ وذلك بأكثر من سبب كما يقول "الدكتور/ فاضل السامرائي ": «منها : أن المقام في "النمل" مقام تعظيم لله سبحانه ، وتكريم لموسى – كما ذكر– فشرفه بالنداء المباشر في حين ليس المقام كذلك في "القصص" فجاء بما يفسر الكلام ، أي ناديناه بنحو هذا ، أو بما هذه معناه ... ومنها أن المقام في سورة "القصص"، مقام تبسط وتفصيل فجاء بـ"أن" زيادة في التبسط.

ومنها أن ثقل التكليف في "النمل" يستدعي المباشرة في النداء ، ذلك أن الموقف يختلف بحسب المهمة وقوة التكليف كما هو معلوم». [٧]

---

١)القصص القراني(في منطوقه ومفهومه) :(٦٥،٦٦)

٢)البحر المحيط : (٤/ ١٥٠).

٣)النمل: (٩).

٤)القصص: (٣٠).

٥)طه : (١١-١٣).

٦)انظر: ص:( ) من هذا البحث .

٧)انظر لمسات بيانية،صـ(١٠٦).

وهذه التعليلات ، وإن كانت وجيهة ومقبولة إلا أن أكثرها قبولاً لدى الباحث التوجيه القائل بأن المقام في "القصص" مقام تفصيل ، ومن "النمل" مقام إجمال .

وعلى الرغم من وجاهة هذه التعليل إلا أن الباحث يرى أنه ليس كافياً للإقتناع التام لعلة اختلاف الأسلوبين خاصة وأن الدلالة المعنوية لكل منها متغايرة مع الأخرى بشكل لافت ..

وعند إمعان النظر في التعبيرين من بداية هذا الموقف نجد الآتي :

قال تعالى- في سورة "النمل"-: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] وانتهى المقطع الجزئي إلى هنا مشكلاً مرحلة تمهيدية لما سيلحقه من نداء ؛ لأن مضمون النداء الأول ليس موجهاً إلى موسى وحده بل النداء بالبركة عام لكل من هو في مكان النار ومن حولها ولذلك قيل المقصود بذلك الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام [2] وقال " "الزمخشري" " إنه عام لكل من كان في تلك الأرض وذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام الموسومة بالبركات واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[3][4] . ثم إن هذا النداء الأول قد جاء مفسَّراً بـ"أن " وكان اللائق سياقياً بعد انتهاء المقطع الجزئي الأول أن يستأنف النداء لموسى بدون تفسير "يا موسى" خاصة ً بعد أن أظهر له في النداء الأول هيئة الوضع والحال الذي يعشه في تلك اللحظات المباركات وقداسة المكان الذي هو فيه.

أما الموقف في سورة "القصص"، فقد كان على النحو الآتي :

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ففي مضمون هذه القول بيان لجهة النداء ، وليس بياناً لنداء معين كالنداء الأول في سورة "النمل" ،ثم إنه لم يكتمل المعنى في "القصص" كما اكتمل في "النمل" إذ التعبير في "القصص" -إلى ذلك الموضع فقط (في الشجرة)- يوحي بأن سائلاً سأل : فما مضمون ذلك النداء جاء

---

١)النمل :(٨).

٢)انظر التسهيل لعلوم التنزيل "للكلبي"(٩٣/٣).

٣)الأنبياء:(٧١).

٤)انظر "الكشاف"(٣٥٤/٣).

من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة؟ فكان المناسب سياقاً ومعنى أن يأتي بـ(أن) المفسرة لإكمال بيان مضمون ذلك النداء :

﴿ أَنْ يَا مُوسَى ﴾هذا ما بدا للباحث من خلال استقرائه المتواضع للموضعين. فان أصاب ففضل من الله ونعمة ، وان لم (فحسبه الاجتهاد).

٦- قال تعالى في سورة "طه": ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾(١)وقال في "النمل" : ﴿ انهُ انا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢)وقال في "القصص": ﴿ إِنِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(٣).

إن الناظر إلى هذه التعبيرات في المواضع الثلاثة يمكن أن يصنفها تحت معنى عام وهو تفرد الله بصفات الكمال، أو وحدانية الله ، وهي بالفعل يمكن أن تظهر في مشهد واحد مؤتلف الكلمات لا تدافع بينها «بل إن بعضها ليصافح بعضاً في تعاطف واشتياق ....فهي جميعاً من قول الله –سبحانه وتعالى –لموسى في هذا الموقف ، قد حملت كل سورة بعضاً منه ، وهذا البعض كاف بذاته لأداء المعنى المراد ،فإذا اجتمع بعضها إلى بعض اتسع إطار الصورة ،فازدادت وضوحاً وإن لم تتغير محتوى ومضموناً»(٤).

والباحث يحمل هذه الكلام على تكرار المعنى العام الذي أشار إليه .

ويواصل "عبد الكريم الخطيب " قائلا: «وواضح أيضاً أن هذا التكرار في الحديث عن الله: (إني أنا ربك–إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني . . . .إني أنا الله رب العالمين . . .إنه أن الله العزيز الحكيم). هذا التكرار المتلاحق في سرعة وانطلاق إنما اقتضاه الموقف الذي اهتز له موسى في أقطاره ،فكان صوت الحق –سبحانه – بهذه النداءات المتكررة سكناً لقلب موسى ، وإمساكاً لنفسه وقد كادت تذهب شَعاعاً»(٥).

أما إذا أمعنا النظر في المعاني الخاصة بكل من هذه النداءات المتكررة فسنرى دقة متناهية في المعنى الدلالي الخاص بكل موضع ، إذ شكلت هذه المعاني بمجموعها أنواع

---

١)طه:(١٤).

٢)النمل :(٩).

٣)القصص:(٣٠).

٤)القصص القرآني(في منطوقه ومفهومه) صـ:(٦٦).

٥)القصص القرآني(في منطوقه ومفهومه) صـ:(٦٦).

التوحيد واختصاص كل موضع بواحد منها ؛ فانظر إلى توحيد الألوهية المشار إليه في سورة "طه": ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ وإلى توحيد الربوبية في سورة "القصص": ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾، وإلى توحيد الأسماء والصفات في سورة "النمل" ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾،فما أعظمه من تكامل للمعنى العام الواحد ، وما أدقها من دلالة ترابطية بين جزئيات هذا المعنى الموزعة على المواضع الثلاثة بدقة وعناية بلغت درجة الإعجاز أسلوباً ودلالة.

ثم انظر –بعد ذلك – إلى الفروق الدلالية بين طريقتي التعبير المتشابهتين جداً في كل سورتي ""النمل": ﴿ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ و"القصص": ﴿ أَنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ « فجاء بضمير الشأن الدال على التعظيم في آية"النمل" ﴿ إِنَّهُ أَنَا ﴾ و لم يأت به في"القصص"،ثم جاء باسميه الكريمين ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ في "النمل" زيادة في التعظيم»(١).

ثم انظر إلى اختيار هذين الاسمين وتناسبهما مع مقام ثقل التكليف الذي أشرنا إليه سابقاً «فان فرعون حاكم متجبر يرتدي رداء العزة [ادعاءً] ، ألا ترى كيف اقسم السحرة بعزته قائلين ﴿ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾(٢).فاختار من بين أسمائه (العزيز) معرفاً بالألف واللام [العهدية] للدلالة على انه هو العزيز ولا عزيز سواه و(الحكيم) للدلالة على انه لا حاكم ولا ذا حكمة سواه،فهو المتصف بهذين الوصفين على جهة الكمال حصراً. وفي تعريف هذين الاسمين بالألف واللام من الدلالة على الكمال والحصر ما لا يخفى ما لو قال " عزيز حكيم" فانه يشاركه فيهما آخرون»(٣).

فانظر إلى مناسبة اختيار هذين الاسمين تحديداً –للمعنى الدلالي المسوق في هذه الموضع، يقول "الشوكاني" : «العزيز : الغالب القاهر ، الحكيم : في أمره وفعله»(٤).وفي ذلك ما فيه من إشاعة روح الطمأنينة والارتياح النفسي لدى موسى عليه السلام .

و لم يكن هذه التناسب خاصاً بالمعنى الدلالي دونما مناسبة في الفاصلة والإيقاع الذي نلحظه في ترديف معظم الأسماء الحسنى – أن لم تقل كلها –بأحد حروف المد(لاسيما

---

١)لمسات بيانية،ص:(١٠٦).

٢)الشعراء :(٤٤).

٣)لمسات بيانية،ص:(١٠٧.١٠٦)

٤)فتح القدير،(١٢٧/٤)

مد الياء-(كما هو حاصل هنا) -مما يترك صداه الآسر في موقعه من الفاصلة ، وفي تناغمه مع الطابع العام للفواصل»[1].التي تزداد حسناً وجمالاً إيقاعيا، ودلالياً بما تترك من أثر في النفوس والأسماع لأنها آخر ما يتناهى إلى القارئ والسامع من الآيات .

كما إننا نلحظ أن هذا التلازم والاقتران بين اسمين من أسماء الله الحسنى يعد ظاهرة بارزة في الفواصل القرآنية عموماً، والتي تأتي بشكل دقيق لتناسب الفواصل في السياق الذي ترد فيه.. وليس هذا بغريب جداً إنما الأغرب والأعجب تلك الدلالة المزدوجة بهذه الفواصل في الشكل والمضمون مما يعد سراً من أسرار الروعة والجلال في هذا السحر الحلال.

وقد يقول قائل:إذا كان التعظيم بارزاً في سورة "النمل" بما سبق بيانه، فانه واضح كذلك في "القصص" بدليل قول الله تعالى:﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾وفي هذا من التعظيم مالا يخفى.

فنقول: انه قد ورد ذلك -أيضاً-في "النمل" فقد قال الله تعالى:﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾وزاد عليه :﴿ انهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾فاتضح الفرق بين المقامين .

-هناك ما يلفت الانتباه ،ويبعث على التساؤل عن زيادة الخطاب وبس"طه" في سورة "طه" -بعد قوله:﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ﴾- حيث قال:﴿ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ... ﴾الآيات[2].

لقد كان الخطاب في سورة "طه" مفصلاً وموجهاً إلى موسى منذ البداية بقوله:﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ انكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴾[3] وهذا التفصيل وتلك المباشرة بتوجيه الخطاب إلى موسى منذ البداية ليس موجوداً في "النمل" ولا في "القصص" بل الأمر فيهما لا يعدو كونه بياناً لقدسية المكان وشرف من فيه وجهة النداء....

---

١)الفاصلة في القران،ص:(٣١٤).

٢)طه :(١٤-١٨).

٣)طه:(١١-١٣).

كما أن في مضمون الخطاب الأول الموجه إلى موسى مباشرة بعد قوله: ﴿ إني أنا ربُّكَ ﴾ -توجيهاً له بأن يأخذ لهذا الموقف الذي هو فيه ما ينبغي له من التوقير والاحترام ، فأُمر بخلع نعليه وأن يتهيأ لسماع ما يوحى إليه من ربه –تبارك وتعالى-.

فلما تهيأ موسى عليه السلام لسماع الوحي بعد هذه المقدمة التوجيهية المطولة نسبياً والتي خلت منها السورتان الأخريان –لما تهيأ لذلك جيء بما يتناسب مع تلك التهيئة ، من بسط واضح للخطاب مع موسى والمتمثل في قول الله –جل جلاله-: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ... ﴾؛ فطلب منه العبادة وإقامة الصلاة إلى آخر ما ورد من تلك التوجيهات التي لم تذكر في كل من سورتي "النمل" و"القصص".

وقد امتد الخطاب "طه": ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ وهذا الحوار في شان العصا لم يرد سوى في هذه السورة ، وهو تكملة للحوار السابق ، وهو يتناسب مع التهيئة وجو البسط والتفصيل الذي أشرنا إليه آنفاً.

فان قيل : فما دلالة هذه السؤال السهل من الله –سبحانه وتعالى –عن العصا: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ وهو عالم ما هي في الأزل؟ والجواب أن الغرض من السؤال هو تقرير الأمر على ما وصف من حالها بقوله: ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ لتثبيت الحجة عليه بعدما اعترف[1].

ثم إن في هذا السؤال مفاجأة سارة لموسى ما كان ليحلم بها أو يتوقعها ؛فقد حملت من الدلال والقرب والحنان من قبل الله –سبحانه وتعالى- لموسى عليه السلام فالله عز وجل – يخاطب موسى وينادي باسمه ، مناداة المحب لحبيبه . وقد ورد النداء لموسى في القران أربع عشرة مرة بصيغة (يا موسى) نصفها في سورة "طه" ، وفي هذه السورة رعاية وعناية (بالغة) بسيدنا موسى عليه السلام حتى لكأن القارئ يراه من خلال آيات هذه السورة سعيداً مبتهجاً في ظلال رعاية ربه وعنايته.

ومن المعلوم أن مناداة المرء باسمه دليل على الحب الصافي والقرب الدافئ .. فإن كان الذي يناديك باسمك أعلى منك، شعرت بالزهو والاعتزاز ..والشاعر يكرر اسم المكان

---

١)انظر :"فتح القدير،(٣/٣٦١).

الذي يحب في شعره؛ لأن ذكره حبيب إلى قلبه.. ألا ترى أن الشاعر "مالك بن الريب" الذي رثى نفسه عند مرضه فتذكر "وادي الغضا" حيث زوجه وأهله وأحباؤه فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه وليت الغضا ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أرض الغضا لودنا الغضا مزار ،ولكن الغضا ليس دانيا

وفي القران الكريم نادى الله ﷻ رسله وأحباءه بأسمائهم وذكرهم بها ،فقال تعالى: ﴿ يا مُوسَى انِي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴾[1] وقال: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾[2][3].

كما أن في إطناب موسى في الإجابة عن سؤال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ دلالةً على رغبة موسى عليه السلام في إطالة أمد الحديث مع ربه -تبارك وتعالى- فهو يشعر بلذة عجيبة في ذلك.

فكأنه استأنس بهذا السؤال السهل الموجز واستمتع بالنداء وبالقرب.

فأراد أن يخطى بطول المناجاة ، ولذة المودة والقرب ، فأطال الجواب حتى تجاوزت حدود الجواب المباشر ، إلى أشياء أخرى .. وهذا مناسب للموقف والمقام الخاص بسورة "طه".

«وذكر البلاغيون أن ذكر المسند إليه هنا للرغبة في إطالة الكلام، وتلذذٌ بهذه الإطالة، هذا التلذذ الذي دفع موسى إلى أن يتحدث بما لم يسأل عنه، فقال: ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾[4]»[5].

فموسى عليه السلام عمد هنا إلى ذكر عنصري الجملة(المسند، والمسند إليه)؛ للغرض الذي أشرنا إليه. «والمجيب قد يعمد لأسباب تتعلق بالموقف الذي يكون فيه إلى ذكر

---

١)الأعراف:(١٤٤).

٢) الأعراف (١٩).

٣) انظر: شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية دلالية)، د/عودة أبو عودة، ط(١)، دار عمار (عمّان-الأردن)، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م): (٣٣١).

٤) طه: (١٨).

٥) من بلاغة القرآن: (٩٥).

العناصر كاملة غير منقوصة ... ونجد الإجابة هنا لم تكتف بأحد عنصري إسناد الجملة الاسمية .. بل ذكر فيها العنصران معا (هي عصاي) »[1].

كما قد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره، وهو ما نسميه الحذف الجائز.

ومما يلفت النظر في هذه الإجابة كلمة (أهش) قال "الشوكاني":«(هش)بالعصا يهش هشاً :إذا خبط بها الشجر ليسقط منه الورق »(٢)، وقال الراغب : إن الهش يقع على الشيء اللين كالورق (٣) .

ولكنني لا أظن أن معنى الكلمة يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى معنى أوسع وأرحب، ذلك أن الراعي له لغة خاصة يتعامل بها مع أغنامه ، ومن مفردات هذه اللغة كلمة (هش) التي يستعين بها في سوق أغنامه ، وهو يضربها بعصاه برفق ولين يرافق الصوت الذي يحثها به على السير.

إن القرآن الكريم يعلمنا كيف نعبر عن المعاني ، ويفتح أمامنا سبل صياغة الألفاظ ، ولو كان ذلك بتقليد أصوات الإنسان والحيوان وظواهر الطبيعة... ومن ذلك كلمة (أهش) التي أُخذت من صوت الراعي وهو يهش أغنامه ، فانظر إلى دقة الدلالة على المعنى المراد في حرف الشين.

٧-قال تعالى في سورة "طه":﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾(٤)وقال في "النمل":﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾(٥)وقال في "القصص" :﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾(٦)

فساق الكلام في "طه" على الاستئناف المبني على سؤال ينساق إليه الذهن ؛ كأنه قبل:فماذا قال ﷻ فقيل ::قال " ألقها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من

---

١) بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط(١)، دار الشروق (القاهرة) ، (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م): (٢٠٨) .

٢)فتح القدير (٣/٣٦١).

٣)انظر: المفردات في غريب القران: (١/٥٤٣).

٤)طه:(١٩).

٥)النمل :(١٠).

٦)القصص:(٣١).

الأمور . وقد كرر النداء هنا لتأكيد التنبيه،[1] وهو من باب التحبيب والتقريب كما ذكرنا ... في حين ساق الكلام في سورة "النمل" و"القصص" على العطف.

فقوله في "النمل": ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ معطوف على قوله: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ لأن المعنى يؤدي إلى أن بورك من في النار وأن ألقي عصاك وكلاهما تفسير للنداء. [2]

وقوله في "القصص" : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على " أن يا موسى " وكلاهما تفسير لنودي [3]

فالقول بإلقاء العصا-وإن كان واحداً في المعنى العام- قد جاء بأساليب متعددة في كل موضع ، حيث تمثل بالإخبار في سورة "طه": ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ والمباشرة في سورة "النمل": ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ والتفسير في سورة "القصص" : ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ .

وقد استدعى سياق الاستئناف في "طه" أن يكون التعبير كذلك –، وأما القول المباشر في "النمل"« فهو دال على التكريم ، وأما قوله في "القصص": ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فإن معناه أن ناداه بما تفسيره هذا أو بمعناه هذا»[4] بالإضافة ... إلى كون مقام الإيجاز والإجمال في القصة يتمثل في سورة "النمل" ومقام البسط والتفصيل يتمثل في سورتي "طه" و"القصص" .

وقد قال معقباً في "طه": ﴿فَأَلْقَاهَا﴾[5] وقدّر هذا التعقيب في كل من سورتي "النمل" و"القصص" وذلك مناسبة للسياق في كل.

فانظر إلى السرعة في تنفيذ أمر الله من قبل موسى ، فبمجرد صدور الأمر له بإلقائها ألقاها مباشرة على الرغم من مكانتها بالنسبة إليه .دونما تردد ودونما علم أنها ستعاد إليه ،قيل« فظن موسى أنه يقول له أرفضها فألقاها عليه وجه الرفض[6].

---

١)انظر تفسير أبي السعود: (١٠/٦).

٢)انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: (٩٣/٣)-وانظر: الكشاف: (٣٥٥/٣).

٣)تفسير أبي السعود: (١٢/٧).

٤)لمسات بيانية: (١٠٨).

٥)طه: (٢٠).

٦)الدرّ المنثور للسيوطي، جلال الدين السيوطي، دار الفكر (بيروت)، (١٩٩٣م): (٥٥٥/٥).

٨-قال تعالى في سورة "طه": ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[١] وقال في "النمل": ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[٢] وفي في "القصص": ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[٣] قيل انقلب حية ،ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بـ"الجان"(٤)، وقيل العكس فذكر أنها كانت "حية" صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) أي : تمشى بسرعة.على بطنها ،أما الجان فهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم ،وقال في موضع "ثعبان" ، قال تعالى :﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾[٥] ، وهو أكبر ما يكون في الحيات. ووجه الجمع بين القولين أن الحية تجمع الصغير والكبير[٦] .، كما أن وصفها بـ(ثعبان مبين يناظر تماما الوصفين السابقين لها فهي جانّ في خفة الحركة ، ولكنها ثعبان في عظم الجسم وضخامته . والفاء في قوله : ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ تدل على سرعة انقلابها وتحولها. – فسبحان القادر على كل شيء..- ودلالة تشبيهها بالجان لسرعة الاضطراب والحركة[٧].

وقال "أبو حيان":« وهذا إخبار من الله بانقلابها، وتغير أوصافها وأعراضها، وليس إعداماً لذاتها»[٨] .

فبان بهذه التوجيهات أن ما يُظن أنه تكرار صرف، إنما هو تنويع مقصود أريد به توضيح الصور المتعددة للمعنى العام الواحد، فلا تبقى صورةٌ من صور ذلك المعنى إلا وبُينتْ ، وإلى هذا المعنى بالذات يشير" الزركشي" -في بيانه لفوائد التكرار القصصي- فيقول: «إنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً؛ ألا ترى أنه ذكر الحية في عصا موسى عليه السلام ، وذكره في موضعٍ آخر ثعباناً ، وهذه عادة البلغاء؛ أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمةً لصفةٍ زائدة »[٩] .

---

١)طه: (٢٠).

٢)النمل: (١٠).

٣)القصص: (٣١).

٤)تفسير أبي السعود: (١٠/٦).

٥)الأعراف: (١٠٧).

٦)القصص: (٣١).

٧)تفسير البغوي: (٢١٥/٣).

٨)البحر المحيط: (١٦٦/٤).

٩)البرهان في علوم القرآن: (٣٠،٢٩/٣).

ومعنى (لم يعقب) لم يرجع ، أو لم يمكث، أو لم يلتفت[1] .

وفي هذه التعبيرات المتعددة تكتمل الصورة الحقيقية لما صارت إليه العصا فالحية التي تسعى والجان الذي يهتز ،كل منهما يعطي صورة واضحة لما انقلبت إليه العصا . وهذه الصور كلها هي صور من أحوال العصا يكمل بعضها بعضاً .

٩-قال في سورة "طه" :﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾[2]وقال في "النمل": ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[3] وفي "القصص" :﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾[4].

لقد كان الحديث عن العصا وتحولها إلى حية في سورة "طه" صريحاً واضحاً مفصلاً منصباً على هذا الأمر فكان من المناسب سياقاً ومعنى أن يتواصل الحديث عن ذلك.

وأما قوله في "القصص":﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ﴾ بزيادة (أَقبِلْ) على ما في "النمل"،فله أكثر من سبب منها:

- إن مقام الإيجاز في "النمل" يستدعي عدم الإطالة ، بخلاف "القصص" ..
- كما أن شيوع جو الخوف في "القصص" يدل على وقوع موسى في الهرب ،فدعاه إلى الإقبال وعدم الخوف..

وذكر "السيوطي" تخريجاً لهذه التعبيرات مفاده أن موسى لما رأى العصا انقلبت إلى حية عظيمة (تسعى) ولى مدبراً فنودي أن يا موسى: (خذها) فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن(خذها ولا تخف) فقبل له في الثالثة: (إنك من الآمنين) فأخذها. [5]

إلا أن الباحث يرى أن هذا التخريج على وجاهته –يتناقض بعض الشيء مع الانقياد السريع الذي رأيناه في إلقاء موسى للعصا.

---

١)انظر : المحرر الوجيز،(٥١/٤).

٢) طه :(٢١).

٣)النمل:(١٠).

٤)القصص:(٣١).

٥)انظر : الدر المنثور: (٦٥٦/٥).

ثم إن ذلك لا يليق برسول من رسل الله فضلاً عن أن يكون من أولي العزم. وقد نقل التخريج "الألوسي" ثم قال –رداً عليه – « ولا يخفى أن ما ذكر بعيد عن منصب النبوة فلعل الخبر غير صحيح »[1] وهذا لا يتناقض مع كونه خاف ونفر وتملكه ما يملك البشر عند مشاهدة الحية. وفي عطف النهي على الأمر «خذها ولا تخف» إشعار بأن عدم النهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط [2].

وفي قوله : ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾استعارة؛ لأن المراد بالسيرة ههنا الطريقة والعادة. وأصل السيرة مضي الإنسان في تدبير بعض الأمور على طريقة حسنة أو قبيحة [3].

فوضع كل تعبير في المكان الذي هو أليق به وأصلح..

وقد اختلف التعبير الذي تلا الحديث عن خوف موسى لِمَا رأى من أمر العصا في المواضع الثلاثة؛ فقال في سورة "طه": ﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾،وهو استئناف مسوق لتعليل الامتثال بالأمر والنهي ،فإن إعادتها إلى ما كانت عليه من موجبات أخذها وعدم الخوف منها. ليكون على طمأنينة من أمره وكانت هذه الجملة هي الخاتمة المناسبة للحديث المتواصل عن العصا وما كان من أمرها[4].

أما في سورة "النمل" فقد قال:﴿ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾،والمقصود إذا أمنهم الله لا يخافون –وهو الحاصل هنا – وأما الخوف الذي هو شرط الإيجاز فلا يفارقهم [5].

وقيل : المقام في "النمل" مقام تشريف وتكريم ، فالمح بهذا القول إلى أن موسى منهم ، وهو تكريم له وتشريف . ويؤيد ذلك قوله (لدي) المشعر بالقرب وهو زيادة في التكريم ، بالإضافة إلى مناداته بما يفيد القرب فقال "يا موسى " وقال " وألقي عصاك"

---

١)روح المعاني (١٧٨/١٦)

٢)انظر : تفسير أبي السعود،(١١.١٠/٦).

٣) انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ط(١) ، عالم الكتب (بيروت)، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م): (١٥٦).

٤)تفسير أبي السعود: (١١/٦).

٥)انظر : تفسير البغوي ، ٤٠٧/٣).

وأما سورة "القصص" فالمقام فيها هو مقام الخوف ، والخائف يحتاج إلى الأمـــن ، فأمنه قائلاً: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ثم انظر إلى الفصل بين المنادي والمنادى بما يفيد البعد وهـــو قوله: ﴿ أَنْ يَا مُوسَى ﴾ وقوله: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (١).

فالمناداة في "النمل" كانت من قرب ، وكذلك الأمر ، أما في "القصص" ففيها نوع من البعد . فانظر علو هذا التعبير ورفعته.

وقد استثنى في "النمل"-بعد ذلك- فقال: ﴿ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)وخلت من ذلك سورتي "طه" و"القصـــص" لأنـــه لا يحســـن أن يقـــال في "طه"(سنعيدها سيرتها الأولى إلا من ظلم) وكذلك لا يحسن أن يقال في "القصص"(إنك من الآمنين إلا من ظلم ثم بدل حسنا)

ومن ناحية أخرى ناسب ذلك قول ملكة سبأ: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) فإنها ظلمت نفسها بكفرها .... ثم بدلت حسنا بعد سوء فأســـلمت لله رب العالمين فلاءم هذا التعبير موطنه في كل ناحية ... وقد تقول : لقد ورد مثـــل هـــذا التعبير في سورة "القصص" ايضاً ، وهو قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٤).

والحق أن المقامين مختلفان، فإن القول في سورة "القصص" هو قول موسى-عليه السلام- حين قتل المصري ، وموسى لم يكن كافراً بالله ، بل هو مؤمن بالله تعالى ، ألا تـــرى إلى قوله منيباً إلى ربه بعد ما فعـــل فعلتـــه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وقوله حين فر من مصر: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥)وقوله: ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٦)فإن موسى لم يبدل حسناً بعد سوء ، ذلك أنه -عليه السلام- لم يكـــن مســـيئاً

---

١)انظر :لمسات بيانية :صـــ(١٠٩).

٢)النمل :(١١).

٣)النمل :(٤٤).

٤)القصص:(١٦).

٥)القصص:(٢١).

٦)القصص:(٢٢).

بخلاف ملكة سبأ ، فإنها كانت مشركة أو قد بدلت حسناً بعد سوء . فما جاء من قوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1] أكثر ملامة للموضع الذي ورد فيه من ناحية»

ويؤيد هذه التوجيه الموقع الإعرابي لقوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ﴾ فيه استثناء منقطع بعد تمام الكلام الأول ، وقيل :إنه استثناء من محذوف ، والمعنى : إني لا يخاف لدي المرسلون وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم[2].

١٠- قال في سورة "طه": ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[3] وقال في "النمل": ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[4] وقال في "القصص": ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[5]

قبل أن ندخل إلى التحليل نحب أن نشير إلى أمر لفت نظر الباحث يتعلق بأرقام الآيات التي ورد فيها ذكر هذه المعجزة الثانية —التي أيد الله بها موسى- إلى جانب العصا ، وهي معجزة اليد ...حيث حملت هذه الآيات الرقم اثنين على النحو الآتي (٢٢-١٢-٣٢)بالترتيب ، ولا أستطيع أن أجزم بوجود دلالات ارتباطيه أكيده بين المعجزة الثانية والرقم(٢) لكنني أحببت أن أنوه إلى هذا الأمر لعلنا ، نجد علاقة ارتباطيه بينهما في يوم ما.

والملاحظ تنوع صيغ التعبير عن معجزة اليد في المواضع الثلاثة بشكل واضح (اضمم-أدخل-اسلك) «والضم الجمع والجناح كما في القاموس اليد والعضد والإبط والجانب ... والمراد: أدخل يدك اليمنى من طوق مدرعتك وأجعلها تحت إبط اليسرى ، أو تحت عضدها عند الإبط أو تحتها ،فلا منافاة بين ما ها هنا وقوله: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾[6]، ولذلك جاء في تفسير ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾[7] أخرجها من جيبه لقوله تعالى: ﴿ وَأَدْخِلْ

---

١)لمسات بيانية صـ(١١٠).

٢)انظر : تفسير القرطبي (١٣/١٦٠).

٣)طه:(٢٢).

٤)النمل :(٢١).

٥)القصص(٣٢).

٦)ورح المعاني (١٦/١٧٩).

٧)الأعراف:(١٠٨).

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أو من تحت الإبط لقوله سبحانه: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ والجمع بينهما ممكن في زمان واحد[1] .

كما أن في قوله: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ معالجة للخوف الذي كان يشعر به موسى ، الذي اتسم به جو القصة في "طه" و"القصص" ولذلك ما ورد ضم الجناح إلا فيهما ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ التي في سورة "القصص" وسنأخذها في التحليل التالي ، في حين خلت سورة "النمل" من ذلك لمناسبة جو الأمن الذي اشرنا إليه فيما سبق.

وأما استعمال الفعل "اسلك" في "القصص"، و"أدخل) في "النمل" فالفعل "سَلَكَ" يستعمل كثيراً في سلوك السبل المتعددة ، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾[2] لكثرة تردد موسى في سلوك الأمكنة والسبل في "القصص"(سلوك الصندوق في اليم إلى قصر فرعون –سلوك أخته وهو تقص أثره – سلوك موسى الطريق إلى مدين –سلوك السبيل إلى العبد الصالح في مدين –سلوك الطريق إلى مصر) بخلاف ما ورد في "النمل" حتى سيره بأهله بعد قضاء الأجل لم يذكر فيها بل إنه طوى كل ذكر للسير والسلوك في القصة . فقال مبتدئاً: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾[3] بخلاف ما ورد في "القصص" ،فإنه قال: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً﴾[4] فحسن ذكر السلوك في "القصص" دون "النمل". [5]

«هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، إن الفعل "دخل" ومشتقاته تكرر خمس مرات في "النمل" [6]،في حين لم يرد هذا الفعل ولا شيء من مشتقاته في "القصص"، فناسب ذكره في "النمل" دون "القصص".

---

١)انظر : روح المعاني (٢١/٩).

٢)نوح :(٢٠.١٩).

٣)النمل :(٧).

٤)القصص:(٢٩).

٥)انظر لمسات بيانية ،صـ(١١١)

٦)انظر الآيات :(٤٤.٣٤.١٩.١٨.١٢).

ومن ناحية أخرى ، إن الإدخال اخص من السَّلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك ؛ لأن السلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخالا ؛ تقول : سلكت الطريق وسلكت المكان أي سرت فيه ، وتقول سلكت الخيط في المحيط ، أي أدخلته فيه .

فالإدخال اخص واشق من السلك ... قال تعالى:﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾[1]فانظر كيف قال "ذللا" ليدل على سهولته ويسره ...فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر ، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب . لقد ناسب الإدخال أن يوضع مع قوله "سآتيكم " وقوله "فلما جاءها" ومهمة التبليغ مع فرعون وقومه قال "الشوكاني":«في"أدخل) من المبالغة ما ليس في (اسلك) [2]. وقال "الكرماني " إن (أدخل) ابلغ من "اسلك) لأن (اسلك) يأتي لازماً ومتعدياً،و(أدخل) لا يأتي إلا متعدياً لا غير ولأن في هذه السورة ""النمل" " " في تسع آيات" مع تسع آيات ًمرسلاً إلى فرعون وخصت "القصص" بـــ (اسلك) موافقة لـــ(اضمم) ثم قال :﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾فكان دون الأول فخص بالأليق من اللفظين[3]، وأما قوله (قوله من غير سوء) أي «من غير برص ، وفي هذا غرض بلاغي هو الاحتراس من أن يظن أنها بيضاء من برص ونحوه. وناسب أن يوضع السلوك في مقام الخوف ، وأن يوضع الإدخال في مقام الأمن والثقة ... » [4] .

فانظر كيف أن كل لفظة قد وضعت في مكانها الملائم لها على الوجه الأكمل ..

١١- قال في "طه" بعد ذكر معجزة اليد بعد معجزة العصا:﴿ آيَةً أُخْرَى ﴾[5]وقال في "النمل" :﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ ﴾[6]وقال في "القصص":﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾[7]

---

١)النحل :(٦٩).

٢)فتح القدير (١٢٧/٤).

٣)انظر : البرهان في متشابه القرآن ،صـــ(٢٨٧).

٤)لمسات بيانية صـــ(١١٢.١١١).

٥)طه:(٢٢).

٦)النمل :(١٢).

٧)القصص:(٣٢).

والملاحظة أن كل تعبير قد أضاء جانباً من المعنى العام حسب السياق في كل موضع بحيث اكتملت الرؤية الكلية للمعنى العام من مجموع الرؤى الجزئية الخاصة بكل موطن.

يبدو للباحث أن التعبير في"طه" بقوله:﴿آيةأخرى﴾ يتناسب مع سياق القصة في هذه السورة ، فإنه لما ذكر معجزة العصا وأطنب في ذكر أحوالها ، ثم عطف عليها بذكر معجزة اليد -بيّن أن هذه المعجزة قائمة بذاتها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن في مجيء التعبير عن إدخال اليد في الجيب بضم الجناح -في موضع سورة "طه"- ما فيه من احتمال أن يُظن أن المقصود من هذا الضم هو لغرض التخلص من الخوف الذي انتاب موسى بعد رؤيته للْحَيَّة، خاصة وأنه قد جاء مباشرة بعد قوله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ ، ولورود تعبير مشابه له في سورة "القصص" يدل على هذا الأمر -وقد سبق بيانه – وهو قوله تعالى:﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ﴾[1].. فكان الأنسب هو بيان أن هذا الضم الذي في سورة "طه" ليس مقصوداً به الضم الذي في "القصص"؛ فعقب بقوله:﴿ آيَةً أُخْرَى﴾لتوضيح ذلك، والله أعلم.

وأما قوله في "النمل":﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، «فـ"في" هنا بمعنى "مِنْ"؛ لقربها منها ، كما تقول: خذ لي عشراً من الإبل فيها فحلان ، أي : منها فحلان .... ويجوز أن تكون بمعنى مع»[2]فإذا كان التقدير بـ"من" فلا تعدو الآيات كونها تسعاً فقط، وإن كان بمعنى "مع" فهي إحدى عشرة ، وقد بينها علماء التفسير ، وليس موطن ذكرها هنا ... فهو في هذا الموطن قد أشار إلى كل الآيات التي أيد بها موسى .

وأما في سورة "القصص" فخص بالذكر الآيتين اللتين كان الحديث منصباً عليهما وهما " العصا ، واليد ".

قيل: « لما كان المقام في "النمل" مقام ثقة وقوة، وسّع المهمة؛ فجعلها إلى فرعون وقومه ، ووسع الآيات فجعلها تسعاً، ولما كان المقام مقام خوف في "القصص" ضيّق المهمة ، وقلّل من ذكر الآيات ... ثم إن استعمال كلمة "الآيات " في "النمل" مناسب لما

---

١)القصص: (٣٢)، (وانظر: (٢٣٧) من هذا البحث).

٢) معاني القرآن، النحاس، ت:محمد علي الصابوني، ط(١)جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، (١٤٠٩هـ): (١١٨/٥).

تردد من ذكر الآيات؛ فقد تردد ذكرها عشر مرات ، في حين تردد في "القصص" ست مرات . فناسب وضع الآيات في ("النمل") ووضع " البرهان في "القصص" الذي تردد فيها مرتين ، في حين ورد في "النمل" مرة واحدة فناسب كل تعبير مكانه» [1].

١٢- قال في سورة "طه": ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[2]. وقال في "النمل": ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ [3]. وقال في "القصص": ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾[4].

انظر كيف اكتملت صورة المعنى العام من خلال هذه المواضع الثلاثة؛ فرسالة موسى كانت إلى فرعون، وكانت إلى حاشية فرعون وخاصته، وكانت إلى قوم فرعون عموماً.

ثم انظر إلى مناسبات كل تعبير لجو السورة ومتطلبات السياق، فقد كان الحديث في سورة "طه" عن فرعون، ابتداءً من هذه الآية، وليس مركزاً على ملئه ولا قومه؛ ولذا فقد كان التكليف لموسى وهارون مركزاً على فرعون دون غيره.

ويتضح ذلك من خلال التعبيرات الآتية:

﴿ اذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنه طغى - فَقُولا لَهُ - لَعَلَّهُ - إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا - فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ - لا تُعَذِّبْهُمْ - قَدْ جِئْنَاكَ - قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا ﴾ إلى آخر الحوار الذي جرى بينهما وبين فرعون فقط: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ - قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ - فَلأُقَطِّعَنَّ - وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ - لَنْ نُؤْثِرَكَ - فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ فكان من المناسب سياقاً ومعنى أن يركز في التكليف على هذا الطاغية الذي جرت الأحداث اللاحقة — المشار إليها — معه.

أما في سورة "القصص" فلم يكن التركيز منصباً على فرعون وحده من بداية القصة إلى نهايتها بل كان التركيز على فرعون ومن هم حوله سواء من أهله أو حاشيته ولا يكاد يذكر فرعون منفرداً إلا نادراً، وحتى يتبين صواب ما ذهبنا إليه لاحظ: ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا - إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ - وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ

---

١)لمسات بيانية ،ص:١١٢.١١٣

٢) طه (٢٤).

٣) النمل (١٢).

٤) القصص (٣٢).

يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ - يَشْعُرُونَ - هَلْ أَدُلُّكُمْ - يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ - إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ - نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ - إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ - قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ - يُكَذِّبُونِ - فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى - قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ - - فَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ - فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ - وَجَعَلْنَاهُمْ .. ﴾ إلخ ،في حين لم يذكر اسم فرعون منفرداً إلا مرتين فقط: ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ ﴾ [١] أما قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي... ﴾ [٢]، فواضح ما فيه من تلازم بينه وبين ملئه.

والملاحظ أن الآيات لم تنص على قوم فرعون – كما رأينا – وهذا أمر جدير بالنظر والاهتمام.

وأما إذا انتقلنا إلى سورة "النمل" فسنجد الحديث شاملاً فرعون وقومه منذ البداية إلى النهاية (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ - إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ - فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا - - وَجَحَدُوا بِهَا - وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ..) إلخ .

كما أن وصف فرعون في سورة "طه"بقوله: ﴿ إِنَّهُ طَغَى ﴾مناسب لما ذكرناه آنفاً من التركيز على فرعون في هذه السورة. وأصل الطغيان مجاوزة الحد[٣]، وما ظهر من تكبر من فرعون وتجبره على موسى ثم على السحرة لأكبر دليل على هذا الطغيان.

وأما قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾وصفاً لفرعون وقومه في "النمل" ، ولفرعون وملئه في "القصص". فقد ورد هذا التعبير على سبيل الاستئناف البياني والتعليل للإرسال، كأنه قيل: لم أرسلت إليهم بما ذكر، فقيل: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾[٤]. وفي ذلك دلالة على أنه لا يكفيهم مجرد الإنذار، بل لا بد من الحجج القاطعة والآيات الباهرة إن

---

١) القصص (٣، ٤).

٢) القصص (٣٨).

٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١٤/٤).

٤) النظر: روح المعاني (١٦٨/١٩).

نفعت[1]، ولذا ورد هذا التعبير بعد قوله في "النمل": ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ وفي "القصص": ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾.

والفاسق هو الخارج عن الحدود؛ فهم خرجوا عن الحدود في الكفر والعصيان[2].

وقد أنزلهم الله جميعاً في صفة واحدة، فالكفر ملة واحدة.

فانظر إلى هذه التعبيرات اللغوية كيف ناسب كل منها موضعه الذي ورد فيه لفظاً ومعنى ..

وقد تأكد لنا – من خلال التحليل المفصل لخصائص الأسلوب والدلالة في هذه المواضع – أن التكرار المعنوي في القرآن الكريم ليس متمثلاً إلا في المعاني العامة فقط.

ولذلك فقد وجدنا أن التكرار الذي حصل في بعض مشاهد القصة القرآنية، إنما جيء به ليؤدي وظيفة حيوية وضرورية في إبراز جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير، بل لا بد أن تعاد العبارة مرة ومرة، لكي تحمل في كل مرة بعضاً من مشخصات المشهد العام؛ لتشكل بمجموع جزئياتها الموزعة بعناية صورة متكاملة ودقيقة لكل جوانب ذلك المشهد العام الذي نعبر عنه.

كما لحظنا أن النظم القرآني بكل خصائص أسلوبه ودلالاتها لا يقتصر على نقل مظاهر المشهد الخارجية فحسب، بل إنه ينقل المشاهد بأبعادها وأعماقها، وبحركاتها وسكناتها، ونطقها أو صمتها، وبوسوسة خواطرها، وهجسات نفوسها.. ففي كل مرة يُعرض فيها المشهد يكشف عن جانب من جوانبه التي لو بحث عنها في المواضع الأخرى التي ذكر فيها المشهد العام نفسه لما وجدتها إنما ستجد عرضاً دقيقاً وآسراً يستميل قلبك ويملك عليك لبك ... وهكذا .. حتى تكتمل الصورة.

---

١) انظر: تفسير السعدي (٦١٥/١).

٢) انظر: تفسير أبي السعود (٢٧٥/٦).

المبحث الثاني

تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في قصة آدم عليه السلام

تعد قصة سيدنا آدم عليه السلام من أوضح قصص القرآن الكريم التي تبرز فيها ظاهرة التكرار المعنوي بجلاء، فقد كررت سبع مرات في سبع سور من القرآن الكريم هي حسب ترتيب النزول: ("ص" (٣٨) – الأعراف (٣٩) – "طه"(٤٥)-الإسراء(٥٠) – الحجر(٥٤)- الكهف(٦٩) – البقرة(٨٧) -ناهيك عن الإشارات الخاطفة إلى القصة).

والملاحظ أن نصيب السور المكية من قصة آدم كان وفيراً، حيث وردت في ست سور مكية، و لم ترد سوى في سورة مدنية واحدة فقط ،هي سورة البقرة.

نظرة تحليلية عامة:

إذا أردنا إلقاء نظرة تحليلية عامة وسريعة على القصة من خلال مواضعها السبعة، فإننا سنجد تنوعاً أسلوبياً عجيباً وثراء معنوياً ودلالياً متجدداً من موضع إلى آخر.

فأول سورة ذكرت فيها هذه القصة، هي سورة "ص" (الثامنة والثلاثون حسب النزول) حيث جاءت القصة فيها في سياق الخصومات وما تقتضيه من أخذ ورد ومحاجة ،ثم يؤتى بالقصة ابتداء من إخبار الله للملائكة بخلق آدم، ثم أمره لهم بالسجود له، فعصيان إبليس ،ثم بيان مفصل نسبياً للحوار الذي جرى بين الله -تبارك وتعالى- وإبليس – عليه لعنة الله- يتناسب مع ما يقتضيه السياق الأول للقصة التي خُتمت بالوعيد الشديد لإبليس الرجيم ومن تبعه.

ثم تطالعنا القصة بثوب جديد في سورة الأعراف (التالية لسورة "ص" مباشرة من حيث النزول) فتأتي في سياق سرد العقوبات وإهلاك الأمم . حيث تبدأ بالخطاب العام لبني آدم مع بيان لحلقات أخرى من القصة لم تبين في الموضع الأول ؛كأمر إبليس بالهبوط من السماء -إضافة إلى الخروج من الجنة- ،وتحذير آدم وزوجه من الشجرة، ثم بيان خطة الإغواء التي سلكها إبليس لإقناع آدم وزوجه بالأكل من الشجرة، وما ترتب على ذلك من نتائج . مع اختلاف واضح في أساليب العرض وطرائق التناول ،تلائم سياق السورة.

أما في سورة "طه" (الخامسة والأربعون من حيث النـــزول) فلا نلحظ التفصيل الذي لمسناه في سورتي "ص" و"الأعراف" بل نجد إيجازاً لبعض حلقات القصة التفصيلية، وطيّاً لحلقات أخرى منها. إلا أن هناك تركيزاً واضحاً على أخذ العبر والعظات من هذه القصة وردت في سياق الوعيد الذي حمل معاني جديدة لم ترد سوى في هذا الموطن.

أما في سورة "الإسراء" (الخمسون من حيث النـــزول)، فإن الإيجاز أيضاً هو سيد الموقف بشكل عام، غير أن هناك إضافاتٍ مضمونية جديدة في الخطاب الـــذي دار بـــين الله – سبحانه وتعالى – وإبليس اللعين، لم يتكرر في موضع آخر من مواضع القصة.

وتبدأ سورة "الحجر" (الرابعة والخمسون) بمقدمة مقتضبة عن بدايـــة خلـــق الإنســـان والجان، تتفرد بصياغات تعبيرية ودلالات معنوية مميزة عن غيرها من الآيات التي تحـــدثت عن ذلك تُناسب السياق النظمي والدلالي الخاص بهذه السورة، التي جاءت القصة فيها في سياق بيان نعم الله سبحانه على عباده الذين رفض كثير منهم الهداية، وامتنعوا عن طاعته وصدوا عن سبيله، ثم يتم الدخول إلى القصة التي نجد أنها تتشابه كثيراً مـــع مثيلاتهـــا في سورة "ص" مع الاحتفاظ بالخصائص الأسلوبية والدلالية المميزة لها في هذا الموضع.

وتعد سورة "الكهف" (التاسعة والستون من حيث النـــزول) آخر السور المكية التي تحدثت عن القصة وهي أقل السور حظاً في تناولها ،فلم يتعد موضع القصة فيها الآية الواحدة في إشارة سريعة ومجملة اختزلت جميع حلقات القصة في ثلاث حلقات موجزة هي، الأمـــر بالسجود ،وامتثال الملائكة له، وعصيان إبليس. وختمت بالإنكار على أنْ يتخذه النـــاس وذريته أولياء من دون الله. ولعله ما جئ بالإشارة إلى القصة هناك إلا تمهيداً لهذا الإنكار. بالإضافة إلى كون العهد المكي لم يعد بحاجة إلى تفصيل للقصة بعد أن تحدثت عنها خمس سور مكية في تفصيل ووضوح.

وعلى الرغم من هذا الإيجاز الشديد إلا أن هناك إضافة معنوية مهمة في هذا الموضع لم نر مثلها في المواضع الأخرى للقصة، هذه الإضافة تتمثل في التصريح نصاً أن إبليس من الجن.

وتأتي سورة "البقرة" (السابعة والثمانون من حيث النـــزول والأولى في السور المدنية) آخر السور إيراداً لهذه القصة. و لم يخل موضع القصة في هذه السورة من جديد، تمثل في: (قول الله إنه جاعل في الأرض خليفة، وتعجب الملائكة من هذا الجعل، وتعليم الله آدم الأسماء كلـــها، وعرض المسميات على الملائكة ثم عدم استطاعتهم، وأمر الله آدم أن ينبئ الملائكة بالأسماء ففعل، ثم قوله سبحانه بعد ذلك: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1].

والملاحظ أن المعاني المشتركة في جميع المواضع هي:

١- أمر الله الملائكة بالسجود لآدم.

٢- امتثال الملائكة هذا الأمر.

٣- مخالفة إبليس أمر ربه.

وورود هذه المعاني الثلاثة في جميع المواضع يدل على أهميتها البالغة كونها العناصـــر الكبرى التي تدور حولها أحداث القصة[2].

وبما أن منهج البحث يقتصر على إيراد أبرز النماذج لمواضع التكـــرار المعنـــوي في القرآن ؛ فيرى الباحث أن أبرز مواضعه في هذه القصة يتمثل في أربع سور هي: ("ص" ، والأعراف، والحجر، والبقرة) مع عدم إغفال بعض التعبيرات الخاصة بالمواضع الأخـــرى التي تستدعي الضرورة إيرازها أو الإشارة إليها عند التحليل.

وحتى لا يطول بناء الحديث ندخل مباشرة إلى تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية لمواضع التكرار المعنوي في هذه القصة، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في قصة آدمعليه السلام من خلال موضعيها في سورتي: "الأعراف" و "البقرة":

١)البقرة: (٣٠).

٢) خصائص التعبير القرآني (١/٣٤٧).

١- قال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ . . . ﴾[١].

٢- وقال تعالى في سورة "البقرة": ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. . . ﴾[٢].

والملاحظ أن القصة في الأعراف قد بدأت من مرحلة الخلق والتصوير، في حين بدأت في البقرة من أقدم حدث فيها، حين أبلغ الله -سبحانه وتعالى- ملائكته بقراره في أن يجعل في الأرض خليفة، وذلك قبل خلق آدم، وما تلا ذلك من مراجعات الملائكة وتعليم الله آدم الأسماء كلها إلى آخر ما جرى في مقدمة القصة مما لم يذكر في موطن آخر « وذِكْر هذه الأوليات في هذا الموطن بالذات له أكثر من دلالة، فنية وغير فنية.

ومن بين جوانبها أنها وردت في المكان المناسب لها تماماً، فقد وردت أوليات القصة عند أول ذكر لها في أول سورة من سور القرآن [حسب ترتيب المصحف]، كما أنها أول قصة افتُتِح بها القصص القرآني»[٣].

وإذا ما أردنا استظهار السياق القرآني الذي جاءت بعده هذه القصة في كل موضع، فسنجد أنها ذكرت في البقرة بعد قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]. فقد بدأت بتكريم الإنسان، وختمت بالعلم. ثم جاءت القصة بعدها مبنية على هذين الركنين: (تكريم آدم، وتكريم العلم).

وتكريم آدم يظهر في استخلاف الله له، وتفضيله على الملائكة بتعليمه الأسماء، وإسجاد الملائكة له.

---

١) الأعراف: (١١-٢٥) (انظر فهرس الآيات: (٣١٠)).

٢) البقرة: (٣٠-٣٨) (انظر فهرس الآيات: (٣٠٩، ٣١٠)).

٣) التعبير القرآني: (٢٨٦).

٤) البقرة: (٢٩).

وأما العلم في هذه القصة فيظهر في إثبات العلم الشامل لله، ونفي العلم عن الملائكة إلا ما علمهم ربهم، وإثبات التعليم لآدم بما يصلح أن يقوم به أمر الخلافة ويستقيم[1].

ومن هنا يتبين أن القصة وقعت في سياقها أحسن موقع وأجمله. فكأنها جاءت تفصيلاً لما أجمل في الآية قبلها.

«ويمكننا القول: إن القصة في هذا الموطن في كل حلقاتها ومجالاتها مبنيةٌ في الحقيقة على تكريم آدم، وكل الجوانب الأخرى المذكورة فيها إنما تخدم هذا التكريم... في حين أن القصة في الأعراف ليست مبنية على هذا التكريم، بل لها غرض آخر، وقد وقع فيها التكريم ثانوياً. ونظرة واحدة إلى السياق الذي وقعت فيه القصة، والتعبيرات التي وردت فيها- تريك مصداق هذا الأمر»[2].

لقد جاءت القصة في الأعراف بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[3].

وأنت ترى الفرق واضحاً من حيث التكريم بين قوله في البقرة: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾، وقوله في الأعراف: ﴿مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾.

وغني عن القول إن التعبير الأول يدل على تكريم أكبر من الثاني؛ فهو في مقام العتاب على بني آدم ومؤاخذتهم على قلة شكرهم، «ثم انظر كيف ختم الآية بقوله: ﴿قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ وليست في مقام تكريمهم... فأنت ترى أن المقدمتين تختلفان، وكل قصة إنما جاءت منسجمة مع مقدمتها»[4] وبنيت على ما جاء في سياقها.

والذي يعنينا هو التكرار الواضح في المعاني العامة الواردة في الموضعين، والتي جاءت مراعية تلك المناسبات السياقية أسلوباً ودلالة.

---

١) انظر: التعبير القرآني: (٢٨٧).

٢) انظر: التعبير القرآني: (٢٨٨).

٣) الأعراف: (١٠).

٤) التعبير القرآني: (٢٨٨).

وإليك إيضاح الفروق التعبيرية الدقيقة للتكرار المعنوي في موضعي قصة آدم عليه السلام في السورتين:

م	في الأعراف	في البقرة
١-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾
٢-	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾	﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾
٣-	﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾
٤-	﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾	﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾
٥-	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا . . . فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾	﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾
٦-	﴿ قَالَ اهْبِطُوا ﴾	﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾

وتحليل ذلك يتمثل في الآتي:

١- قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾[1] وقال في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾[2].

---

١)الأعراف: (١١)

٢)البقرة: (٣٤)

فقد جاء أمرُ الله الملائكةَ بالسجود لآدم في سورة الأعراف عقب ذكر الخلق ثم التصوير الوارد في صدر الآية. أما في سورة البقرة فقد جاء الأمر بالسجود مستأنفاً بعد ذكر مقدمة القصة الفريدة التي بيناها بداية هذا المطلب.

والملاحظ أن التعبير في سورة الأعراف قد اختلف عنه في البقرة؛ حيث إن الخطاب في الأعراف موجهٌ إلى بني آدم جميعاً :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ بعد قوله :﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[1] «أي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان حال المخاطبين وتحذيرهم»[2] فقوله:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ « تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم. وتأخيرها عما وقع قبله من نعمة التمكين في الأرض؛ إما لأنها فائضةٌ على المخاطبين بالذات... وإما للإيذان بأن كل نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها، فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة [سورة] البقرة.

وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق [في الأعراف (ولقد)]، لإظهار كمال العناية بمضمونها. وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتمًا؛ توفيةً لمقام الامتنان حقه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظاً من خلقه عليه السلام وتصويره .كما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه- كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً»[3].

ثم إن في التعقيب الوارد في الأعراف ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ دلالةً صريحةً على أن السجود إنما وقع بالفعل بعد الخلق والتصوير ونفخ الروح فيه، وهو غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك في سورتي "ص" و"الحجر" بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[4] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ في سورة البقرة، والإسراء، والكهف، و"طه"، من غير تعرض لوقته فكلمة "ثم" هاهنا تقتضي

---

١)الأعراف: (١٠)

٢)تفسير أبي السعود: (٣/٢١٤)

٣) تفسير أبي السعود: (٣/٢١٤، ٢١٥).

٤) "ص": (٧٢)، والحجر: (٢٩).

تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الأمور التي تم بيانها في سورة البقرة.

فإن قيل: مادام حرف العطف"ثم" يفيد الترتيب مع التراخي، فظاهر الآية يقتضي أن أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا. ومعلوم أنه ليس الأمر كذلك؛ إذ «العطف بـ"ثم"... يدل على أن في التعبير تجوزاً»[1]؛ ولهذا السبب اختُلِف في تفسير هذه الآية على أربعة أقوال:

«الأول: أن قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾أي: خلقنا أباكم آدم (طيناً غير مصور)، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾أي: صورنا آدم (بعد ذلك) ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾... وهو المختار؛ وذلك لأن أمر الملائكة بالسجود لآدم تأخر عن خلق آدم وتصويره، ولم يتأخر عن خلقنا وتصويرنا. أقصى ما في الباب أن يقال: كيف يحسن جعل خلقنا وتصويرنا كناية عن خلق آدم وتصويره ؟ فنقول: إن آدم عليه السلام أصل البشر؛ فوجب أن تحسن هذه الكناية، نظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾[2] أي: ميثاق أسلافكم من بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام ،وقال تعالى- مخاطباً اليهود في زمان محمد ﷺ : ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾[3] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً﴾[4] والمراد من جميع هذه الخطابات أسلافهم فكذا ههنا.

الثاني: أن يكون المراد من قوله: ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾: آدم، ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ أي: صورنا ذرية آدم عليه السلام في ظهره، ثم بعد ذلك:﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾...

الثالث: ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. فهذا العطف يفيد ترتيب خبر على خبر ،ولا يفيد ترتيب المخبر على المخبر.

الرابع: أن الخلق في اللغة عبارة عن التقدير.... وتقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء... فقوله:﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾إشارة إلى حكم الله وتقديره لإحداث البشر في هذا

---

١) خصائص التعبير القرآني: (٣٤٨/١).

٢) البقرة: (٦٣).

٣) الأعراف: (١٤١).

٤) البقرة: (٧٢).

العالم، وقوله: ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ إشارة إلى أنه تعالى أثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء كائن محدث إلى قيام الساعة... ثم بعد هذين الأمرين أحدث الله تعالى آدم، وأمر الملائكة بالسجود له. وهذا التأويل عندي أقرب من سائر الوجوه»[1].

وبالنظر الدقيق إلى هذه الأقوال والتوجيهات مجتمعة لا نجد اختلافاً كبيراً في مضمونها العام، بل يمكن التوفيق بينها، فكلها يؤكد على أن السجود إنما كان لآدم ، سواء أكانت ذريته من ظهره أم لم تكن، فهو على كلا الحالين أبو البشر، والتكريم الحاصل للأب أو الأصل تكريم للأبناء أو الفروع المنبثقة منه؛ «فالإنعام على الأب يجري مجرى الإنعام على الابن » [2].

وخطاب الجمع فيه دلاله التكليف الجمعي لبني آدم، إذْ خلق آدم خلقٌ للبشر الذين انحدروا منه جميعاً . وفي ذلك مجاز ورسل لعلاقة المسببة؛ حيث إنّ وجود المخاطبين مسبب عن وجود المراد بالحديث وهو آدم.

والمقصود من الكل تقرير أن مع هذه النعم العظيمة لا يليق بهم التمرد والجحود.

وما ذُكر في سورة الأعراف هو عين المعنى الذي ذُكر في سورة البقرة بغير هذا الترتيب. فهذا بيان وجه النظم في هذه الآيات على أحسن الوجوه.

وعليه فلا نرى إشكالاً كبيراً بين هذه التوجيهات، وإنما الذي نراه ثراءً لغويًا فريدًا، وتنوعاً دلالياً مميزاً للمعنى الواحد .. والله أعلم.

وأما في سورة البقرة فلم يكن الخطاب في أول القصة إلى بني آدم جميعاً، بل كان إلى النبي ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [3]، مع أنه قد سبق الخطاب إلى بني آدم في الآية السابقة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [4].

---

١) التفسير الكبير (١٤/٢٦).

٢) التفسير الكبير (١٤/٢٥).

٣) البقرة: (٣٠).

٤) البقرة (٢٩).

«وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي ﷺ خاصة؛ للإيذان بأن فحوى الكلام ليس مما يُهتدى إليه بأدلة العقل...و"إذْ": ظرف موضوع لزمان نسبةٍ ماضيةٍ وقع فيه نسبةٌ أخرى مثلُها»[1].

وتأتي "إذْ" على أوجه متعددة، منها هذا الوجه، المتمثل في كونها اسماً للزمن الماضي، والذي لها في استعمالاتٌ عدة؛ منها أن تكون مفعولاً به، وهو الغالب على المذكورة في أوائل القصص القرآني، وذلك بتقدير "اذكر" نحو قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾وأشباهها [2]، التي نحن بصدد الحديث عنها..

ثم جاء الحديث بعد ذلك منصباً على الحوار الذي جرى بين الله ﷻ وملائكته بشأن آدم عليه السلام . تلاه الحديث بين الله ﷻ وآدم عليه السلام والملائكة- عليهم السلام أجمعين-

وما قدمناه في بداية هذا المطلب من بيان لمناسبات المقام والسياق في كل من الموضعين يغني عن المزيد هنا.

وقد ورد القول بصيغة الجمع ﴿قُلْنَا﴾؛ لمناسبة مقام التكريم والتعظيم له – سبحانه وتعالى ومقامه عظيم على الدوام- وفي الالتفات إلى التكلم إظهار للجلالة وتربية للمهابة مع مافيه من تأكيد الاستقلال..

وقوله: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾لدلالة التبليغ، «وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد؛ لما في المقول من الطول غالباً، مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر»[3].ولعل دلالة الاهتمام والتشويق هذه هي من أهم أسباب إظهار الملائكة في موضع الإضمار في سورة البقرة، على الرغم من كونه قد سبق الإظهار في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. كما تنداح الدلالة نفسها في تقديم اللام مع مجرورها على المفعول. والله أعلم.

---

١) تفسير أبي السعود: (١/٧٩).

٢) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م): (٨٠).

٣) تفسير أبي السعود (١/٧٩/٨٠).

وفي أسلوب التعبير بالأمر الصريح: ﴿اسْجُدُوا﴾ ثم التعقيب بالفاء: ﴿فَسَجَدُوا﴾ دلالةٌ على مسارعتهم إلى الامتثال للأمر وعدم تلعثمهم في ذلك البتة. ولعل هذا هو الذي حدا ببعض الأصوليين إلى الاستدلال على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور[1] . فلو لم يكن الأمر كذلك لما وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود .

٢- قال في الأعراف: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[2]. وقال في البقرة: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

وقبل أن ندخل في بيان دلالة أسلوبي التعبير في الموضعين، نتوقف قليلاً عند نوع الاستثناء الوارد فيهما؛ هل هو منقطع أم متصل! فهناك من قال إنه متصل بحجة استثنائه من الملائكة في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ . «وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال إنه غير ملَك؛ لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ﴾[4] [5]. ثم إن إبليس قد خالف بعصيانه أمر ربه أخص خصائص الملائكة دونما استثناء، فضلاً عن أن يكون من كبارهم. فمن صفات الملائكة الملازمة لهم جميعاً أنهم: ﴿لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[6]؛ فبان بهذا أنه لم يكن من الملائكة أصلاً.

وبالعودة إلى الأسلوب الذي صور الله عز وجل به مخالفة إبليس في الموضعين، فإننا نجد أنه قد ورد بصياغتين مختلفتين؛ ففي حين اكتفى في الأعراف بنفي سجوده بقوله: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ جمع في البقرة الأوصاف التي وزَّع ذكر كل منها أو بعضها في مواضع أخرى من القصة، فقال: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وهي من أقبح الأوصاف في ذم اللعين؛ للدلالة على شناعة معصيته بحق آدم الذي أكرمه الله وعلمه، ولمناسبة مجيء القصة كاملة في البقرة. وأنت ترى الفرق واضحاً بين التعبيرين. فقد صنفت كل عبارة أسلوباً ودلالة بما يتناسب مع موقف التكريم وطبيعة السياق في كلٍّ..

---

١) انظر:التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٩).

٢)الأعراف: (١١).

٣)البقرة (٣٤).

٤) الكهف (٥٠).

٥) انظر: أضواء البيان: (٣/٢٩١).

٦) التحريم (٦).

٣- قال في الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[١] وقال في البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٢].

والملاحظ ابتداءً أن الأمر بسكنى الجنة جاء صريحاً في الموضعين، ولم يرد في المواضع الأخرى سوى في سورة "طه"، ولكن دونما تصريح، قال تعال: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[٣] ولعل ذلك يعود على أن ما في "طه" هو نصح وتحذير لآدم وزوجه من إغواء الشيطان لهما؛ كونه عدو لهما، فجاء قوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ دليلاً على تمكنهما من الجنة.

وقد صُدّرت آية الأعراف بالنداء ﴿وَيَا آدَمُ﴾ «للتنبيه على الاهتمام بالمأمور به، وتخصيص الخطاب بآدم -عليه السلام- للإيذان بأصالته بالتلقي وتعاطي المأمور به»[٤] وحُذف منها القول الذي صُدّرت به آية البقرة مسنداً إلى الله -عز وجل- (﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾).

وهذا الإسناد مناسب لمقام التكريم البارز في سورة البقرة «فإن الله -سبحانه- يُظهر نفسه في مقام التفضيل والتكريم، في حين جمع بين طرد إبليس وإسكان آدم بقول واحد في الأعراف وهو لفظ: ﴿قَالَ﴾ بإسناد القول إلى الغائب: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ... وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[٥] فلم يفرد آدم بقول»[٦].

وهذا الحذف مناسب لسياق الخطاب ووضوح الدلالة في الأعراف؛ إذْ لو قال بعده: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ لتوهم متوهم أن ﴿قَالَ﴾ في الآية السابقة ليست من قول الله؛ لإسناده إلى ضمير الغائب وإسناد ﴿قُلْنَا﴾ إلى ضمير المتكلم.

---

١) الأعراف (١٩).
٢) البقرة (٣٥).
٣) "طه" (١١٧).
٤) روح المعاني (٩٨/٨)
٥) الأعراف (١٨/ ١٩).
٦) التعبير القرآني: (٢٩٠).

« والأظهر هنا أن الواو للاستئناف في: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ﴾؛ حتى تظهر المغايرة التامة بين مأمور بالخروج مذؤوماً مدحوراً، ومأمور بالتمكن معززاً مكرما»[1]. ولا إشكال كذلك في سورة البقرة؛ إذْ القول فيها يناسب العطف على نظيره في الآية السابقة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾[2].

٤- قال تعالى في الأعراف: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[3] بالفاء. وأما في البقرة فقال: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[4] بالواو؛ لأن قوله: "اسكن" في الموضعين ليس بأمر من السكون الذي هو ضد الحركة «وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة. فلم يصلح إلا بالواو؛ لان المعنى: اجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. ولو كان الفاء مكان الواو، لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة، لأن الفاء للتعقيب والترتيب.

والذي في الأعراف من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع سكناً، لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾. وخاطب آدم فقال: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي : اتخذاها لأنفسكما مسكناً فكلا من حيث شئتما، فكانت الفاء أولى، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زماناً ممتداً يُمْكِنُ الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه، بل يقع الأكل عقيبه»[5].

كما أنّ في الواو دلالةً على السعة في الاختيار، وهو المناسب لمقام التكريم الموجود في البقرة... فالواو أرحب زمنا من الفاء[6].

فذكر كل حرف في المكان الذي هو أليق به؛ حيث غاير في الأسلوب، فجاء بواو التشريك في البقرة وفاء التعقيب في الأعراف؛ نظراً لتغاير الدلالة في لفظ "اسكن"، ومناسبةً للمقام في الموضعين.

---

١) خصائص التعبير القرآني (١/٣٥٦).

٢) البقرة (٣٤).

٣) الأعراف (١٩).

٤) البقرة (٣٥).

٥) البرهان في متشابه القرآن (ص:١١٩).

٦) انظر: التعبير القرآني: (٢٩٠، ٢٩١).

وتوجيه الخطاب إلى آدم وحواء على السواء في قوله في الموضعين «فكلا» «وكلا»؛ لتعميم التشريف والإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به « فإن حواء أسوةٌ لـه عليها السلام في حق الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيها، ولعليق[(تعلق)] النهي الآتي بها صريحا»[1].

« وزاد في البقرة "رغداً" لّما زاد في الخبر تعظيماً بقوله: "وقلنا"، بخلاف سورة الأعراف؛ فإن فيها: "قال"»[2]؛ لأن المقامين مختلفان. ولعل في ذلك مناسبةً لجو التفصيل والاستقصاء الوارد في موضع البقرة دون الأعراف..

وعليه فالباحث يخالف في هذا من قال: إن عدم ذكره في الأعراف أغنى عنه ذكرُهُ في البقرة؛ إذ ليس ثمة ترتيب تعاقبي بين السورتين من حيث النزول؛ فموضع سورة البقرة نزل بعد موضوع سورة الأعراف. والأولى في أبحاث المعاني اعتماد زمن النزول لا ترتيب المصحف. فبان بهذا أن إرجاع سبب ذكر"رغداً" -في البقرة دون الأعراف- إلى مقتضى المقام وطبيعة السياق أولى من إرجاعه إلى ترتيب المصحف.

ثم انظر إلى إعادة ضمير الجنة في البقرة مع الأكل فقال:"منها" ولم بعده في الأعراف، وهو المناسب لمقام التكريم البارز في البقرة دون الأعراف. كما أن الظرف «حيث شئتما» في البقرة يحتمل أن يكون للسكن والأكل جميعاً ﴿وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ والمعنى: اسكنا حيث شئتما، وكلا حيث شئتما. وأما التعبير في الأعراف فلا يَحتِمل إلا أن يكون للأكل: ﴿فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ولا يصح تعليقه بالسكن؛ إذْ لا يصح أن يقال: "اسكنا من حيث شئتما". فالمشيئة والتخيير في البقرة أوسع؛ لأنها تشمل السكن والأكل[3] الذي يُفهم من خلال واو التشريك، وهو المناسب المقام التكريم الذي أشرنا إليه..

وأما نهيه لهما بقوله: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بعد أمره إياهما بالأكل من الجنة، فإنه يحمل دلالة المبالغة في النهي عن الأكل من تلك الشجرة بالذات. كما أن في التعقيب

---

١) روح المعاني: (٨/ ٩٨).

٢) البرهان في متشابه القرآن: (١٢٠).

٣) انظر التعبير القرآني: (٢٩١).

بالفاء وورود لفظ "الظلم" في الموضعين بقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ -تأكيداً على الدلالة الآنفة الذكر. اهـ.

٥- قال في الأعراف: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا . . . فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[١].

وقال في البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٢].

فالمعنى العام هنا هو الحديث عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء وما ترتب عليها، غير أن هناك فرقاً بين "الوسوسة"و "الإزلال" من جهة، وبين "الإزلال"و"التدلية" من جهة أخرى.

والوسوسة والوِسواس(بالكسر): حديث النفس، والوَسواس(بالفتح): الاسم، وقيل: الوسوسة الكلام الخفي في اختلاط[٣].

أما "الإزلال" فمعناه، تقديم الأمر[٤]. وأزلّ فلانٌ فلانًاعن مكانه إزلالاً، وأزاله ([وإزالة]). وقرئ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ وقرئ: "فأزلهما" أي: فنحاهما، وقيل: أزلهما أي: كسبهما الزلة، والزلل هو الخطأ والذنب[٥] أما التدلية في اللغة فمأخوذة من: أدليت الدلو ودلّيتها إذا أرسلنها في البئر، ولا يكون التدلي إلى من علو إلى استفال[٦].

الجدير بالذكر أن الحديث عن وسوسة الشيطان لآدم وزوجه لم يرد سوى في ثلاثة مواضع من القرآن؛ هذان موضعان، والموضع الثالث في سورة "طه" ،وهو قول الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[٧] الآيات..

---

١) الأعراف (٢٠-٢٢) (انظر فهرس الآيات: ٣١٠)..

٢) البقرة (٣٦).

٣) انظر لسان العرب: "مادة: و س س" (٢٥٤/٦، ٢٥٥).

٤) انظر: الفائق، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط(٢)، دار المعرفة(لبنان)، (د.ت): (١١٩/٢).

٥) انظر لسان العرب: "مادة: ز ل ل" (٣٠٦/١١).

٦) لسان العرب: "مادة: د ل ي" (٢٦٥/١٤، ٢٦٦).

٧) "طه": (١٢٠-١٢٢).

والملاحظ هنا أمور:

أولاً: اتفقت السورتان المكيتان (الأعراف، و"طه") في التفصيل والتعبير عن إغـــواء الشيطان لآدم وزوجه بالوسوسة، في حين عبرت عنه السورة المدنية(البقرة) بالإزلال. كما جاءت فيها المعاني مجملة. وذلك التفصيل يتناسب مع كون هذه الحلقة من القصة تـــذكر لأول مرة في سورة الأعراف، ثم في سورة "طه" للمرة الثانية، في حين الإجمال يتناسب مع موضع سورة البقرة الذي يمثل آخر موطن ذُكرت فيه هذه الحلقة من القصة، وذلك مـــن حيث النـــزول.

«ثانياً: إن التفصيل في كلتا السورتين المكيتين مع اختصاص الأعراف بنصيب وافر منه–صور لنا لقطات مهمة هي: الغرض من الوسوسة – أسلوب الخداع الـــذي ســـلكه اللعين في الإضلال، وهذا الأسلوب اعتمد على الإغراء، والتأكيد بالقسم- بدو ســـوءات آدم وحواء – اجتهادهما في سترها بورق الجنة – تأنيب الله لهما على ما بـــدر منـــهما، ومخالفتهما نصحه.

ثالثاً: إن "البقرة" و"طه" اتفقتا في الإشارة على توبة الله عـــن آدم واجتبائـــه لـــه. وانفردت الأعراف بالحديث عن تندمهما، ودعائهما ربهما بالمغفرة والرحمة.. فكأن ما في "البقرة" و"طه" من الإشارة إلى التوبة واجتباء الله لآدم استجابة لذلك الدعاء» [1] .

وبالعودة إلى موضعي المعنى المشار إليه سلفاً في سورتي الأعراف والبقرة؛ لتحليل أهم خصائص الأسلوب والدلالة المتعلقة ببعض الصياغات التعبيرية في كل موضـــوع- نجـــد الآتي:

أ- هناك مناسبة صوتية واضحة الدلالة على المعنى المراد من لفظ: "وَسوس" الذي تبرز فيه صفة الهمس بشكل ملحوظ وقد قيل:إن الوسوسة هي الحـــديث في اختفاء همسًا وسراراً من الصوت[2] «يقال وسوسوس إذا تكلم كلاماً خفيـــاً يكرره، وبه سمي صوت الحلي وسواساً. وهو فعل غير متعد كقولنا: ولولت

---

١) خصائص التعبير القرآني (٣٥٧/١، ٣٥٨).

٢) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨٤/٢).

المرأة، وقولنا: وعوع الذئب»[1] وكلها – كما ترى – ألفاظ مستقاة من أصواتها. فبمجرد سماعنا لفظ"وسوس" نحس بدلالته على المعنى الخفي المكرر أو حديث النفس أو ما شابه ذلك.

وكذلك الحال في لفظ "أزل" الذي تنداح منه دلالتان :إحداهما صوتية؛ تتمثل في إيحاء لفظ "أزلّ" صوتياً بالإزالة من مكان إلى آخر..فإبليس بإغوائه لهما أدى إلى إزالتهما من مكانهما إلى مكان آخر ..والأخرى معنوية؛ تتمثل في دلالة اللفظ على إيقاعهما في الزلّة، وهي الخطيئة .

ب- كما يرى الباحث أن قوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ يختلف في الدلالة عن قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ ؛ فمن المعلوم أن مجرد الوسوسة لا تعني بالضرورة الوقوع في الخطيئة؛ إذْ من معاني الوسوسة الهمُّ بالشيء – خاصة بفعل الشر – أما الخطيئة فهي مرحلة لاحقة للوسوسة.

ولعل في ورود لفظ الوسوسة في موضعي "الأعراف" و"طه" السابقين لموضع البقرة من حيث النزول- دلالة بيانية للمرحلة الأولى التي شكلت التمهيد لوقوع آدم وحواء في الزلة الذي عُبّر عنه في موضع سورة البقرة اللاحق لذينك الموضعين. فاختُص كلُّ موضع بالتعبير المناسب له والدلالة اللائقة به.

ج- اختلفت نتيجة الوسوسة ونتيجة الإزلال في الموضعين. فبسبب تلك الوسوسة وما ترتب عليه من الأكل من الشجرة، بدت لآدم وحواء سوءاتهما، قال تعالى-مبينًا ذلك بلام"كي"التعليلية- :﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ﴾[2] «أي: بسبب ذلك الأكل»[3]. وهو ما صُرِّح به في قوله- تعالى- بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾[4] وهو عين ما ذُكر في

---

١) التفسير الكبير (١٤/٣٨).

٢) الأعراف (٢٠).

٣) انظر: أضواء البيان (٤/١١٣).

٤) الأعراف (٢٢).

سورة "طه": ﴿فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[1]. فقد ترتب بدو سوءاتهما على أكلهما، وهذا ما أفاده ظرف الزمان الشرطي(فلما)، وفاء التعقيب في ﴿فَبَدَتْ﴾ بعد قوله: ﴿فَأَكَلا مِنْهَا﴾.

فلما أوقعهما اللعين -بسبب وسوسته- في الزلة، أي: الخطيئة المتمثلة في الأكل من الشجرة، حصلت نتيجة أخرى -بسبب من هذه الزلة، أو بالأصح من هذا الإزلال من قبل الشيطان — هذه النتيجة هي الإخراج من الجنة، التي دلت عليها فاء التعقيب في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[2]. فتغايرت النتيجتان المسبَّبتان لتعاير سببيهما..

د- قال في الأعراف: ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾[3]. وقال في البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[4].

والإزلال غير التدلية -كما بينا ذلك في التأصيل المعجمي بداية تحليل هذا المعنى من القصة- وواضح ما في التدلية من معنى الإنزال من مكان عال إلى مكان منحط سواء أكان هذا الإنزال حسياً أم معنوياً.

ثم انظر إلى تخفيفه للمعصية في البقرة وتسميته إياها زلة ؛ مراعاة لمقام التكريم الذي أشرنا إليه..

كما أن في عدم ذكر معاتبة الرب سبحانه وتوبيخه لآدم وزوجه على معصيتها في البقرة- مراعاة لمقام التكريم أيضا، بخلاف الأعراف فقد ذكر أنه عاتبهما عليها فقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[5] ولا شك أن مرتبة العتاب أدنى من عدمه.

---

١) "طه" (١٢١).

٢) البقرة (٣٦).

٣) الأعراف (٢٢).

٤) البقرة (٣٦).

٥) الأعراف (٢٢).

وقد طوى في البقرة تصريح آدم عن نفسه بالمعصية و لم يذكرها، إكراماً له، في حين ذكرها في الأعراف فقال: ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾[1].

وانظر بعد هذا كيف يتسق ندم آدم ههنا من حيث الأسلوب والدلالة مع ما ذكره قبل القصة من ندم المعاقبين من بني آدم: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْهُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾[2].

فقد اتفق الندمان على أمر واحد، هو الظلم، فقال آدم وحواء: ﴿ ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ وقال أبناؤهما: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

ثم ارجع النظرة مرة أخرى، وانظر كيف كانت العقوبة على قدر الظلم، فقد قال آدم وحواء: ﴿ ظَلَمْنَا ﴾ بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والطروء؛ للدلالة على أنها زلةٌ طارئةٌ وليست معصيةَ إصرار. وقال أبناؤه: ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾. بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات على الظلم والدوام والإصرار. فتاب على الأولين (آدم وحواء)، وأهلك الآخرين (أبناءهما)[3].

فانظر يا رعاك الله أي كلام هذا وأية لوحة فنية هذه! تناسقت فيها صيغ الأسلوب التعبيري مع دقة الدلالة المعنوية.

٦- قال في الأعراف: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا ﴾[4] وقال في البقرة: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا ﴾[5] و لم يرد الأمر بالهبوط- إضافة إلى هذين الموضعين- سوى في سورة "طه": ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾[6]. وكرر الأمر بالهبوط في البقرة فقال: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً ﴾[7]

---

١) الأعراف (٢٣).
٢) الأعراف (٤، ٥).
٣) انظر التعبير القرآني (٢٩٢).
٤) الأعراف (٢٤).
٥) البقرة (٣٦).
٦) "طه" (١٢٣).
٧) البقرة (٣٨).

عند التأمل في هذه النصوص نجد أنه تم تكرار المعنى الواحد بأساليب تعبيرية متعددة تبعاً لسياق كلٍ منها، فأنتج ذلك التنوع الأسلوبي تنوعاً موازياً وثراءً واضحاً في الدلالة..

ويمكن تبين ذلك من خلال التحليل الآتي:

أولاً: اختلفت سياقات الأمر بالهبوط في كل .. ففي حين أخبر في الأعراف عن الهبوط بلفظ «قال» المسوق للغائب- جاء الأمر بالهبوط بعده بصيغة الجمع «اهبطوا»، وهي الصيغة نفسها التي وردت في موضعي البقرة، غير أن هناك اختلافاً بينهما في سياق القول، فقد سيق في الموضع الأول على سبيل العطف بالواو «وقلنا»، في حين خلا من ذلك في الموضع الثاني فجاء بالفعل «قلنا» مباشرة مع إسناد القول في كل منهما إلى ضمير المتكلم «نا»، وفرق واضح بين مجيء القول في الأعراف للغائب ، ومجيئه في البقرة للمتكلم.

أما موضع سورة "طه" فقد اتفق مع موضع الأعراف في إسناد القول للغائب، إلاّ أنه اختلف معه ومع بقية المواضع في صيغة الأمر بالهبوط التي جاءت فيه بصيغة التثنية «اهبطا».

وبالعودة إلى هذه البنى اللفظية وإمعان النظر في السياقات التعبيرية التي وردت فيها نجد الآتي:

أ- جاء الإخبار عن الهبوط في الأعراف بإسناد الفعل «قال» إلى ضمير الغائب متساوقاً مع جو الإخبار عن بعض مراحل القصة وحلقاتها السابقة لذلك الإخبار واللاحقة له مباشرة، واتسمت في بداياتها بالأسلوب نفسه المتمثل في قوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ -وَيَا آدَمُ اسْكُنْ[1] فَوَسْوَسَ لهما -وَقَاسَمَهُمَا -فَدَلاَّهُمَا -قَالا رَبَّنَا﴾ [2]

---

١) فحذف القول هنا؛ لأنه قد سبق في قوله: {قَالَ اخْرُجْ }. وقد بينا في الفقرة رقم (٣) من هذا التحليل إنه قد جمع في هذا الموضع بين الطرد والإسكان في قول واحد، فكأن القول منويٌّ هنا.. والله أعلم

٢) تصدرت هذه الصيغ التعبيرية للآيات (١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣) من سورة الأعراف.

ثم جاءت النتيجة –بعد ذلك– حاملة الأسلوب نفسه الذي تناسب مع هـذا السياق ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾[1] ثم لحقه: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾[2].

ب–وأسند القول إلى ضمير المتكلم في سـورة البقـرة ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا– قُلْنَا اهْبِطُوا﴾[3]؛ لشيوع هذا الإسناد في بدايات بعض الآيات السابقة في هذا الموضع: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ– وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾[4]، ولمراعاة مقام التكريم الواضـح في سـورة البقرة. والذي بيناه في الفقرة رقم(٣) من هذا التحليل.

ج– وجاء القول مسنداً إلى ضمير الغائب في سورة "طه": ﴿قَالَ﴾ كما في سـورة الأعراف؛ لتشابه السياقين..

ثانياً: جاء الأمر بالهبوط بصيغة الجمع في موضعي البقرة والأعراف: ﴿اهْبِطُوا﴾؛ لأن المقصود بالخطاب في الموضعين ثلاثة: آدم وحواء وإبليس، وهو قول الأكثرين[5] أما مـن قال إن إبليس خارجٌ عن الخطاب، وأن المقصود به آدم وحواء وذريتـهما فبعيـد؛ لأن إبليس قد جرى ذكره في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾[6] أي: فأزلهما وقلنا لهم اهبطوا.

«وأما قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[7] فهذا تعريف لآدم وحواء –عليهمـا السلام– أن إبليس عدو لهما ولذريتهما»[8] وورود الأمر بالهبوط بصيغة الجمع تدل على أن هبوط آدم وزوجه وعدوهما إبليس كان في وقت واحد[9] والله أعلم.

أما الأمر بالهبوط بصيغة التثنية في "طه" ﴿اهْبِطَا﴾ فيقول "الشـنقيطي" إن التثنيـة باعتبار آدم وحواء فقط وأن ألف الاثنين راجعة إليهما[10]. فإن سلمنا بذلك فإننا سنقع

---

١) الأعراف (٢٤).
٢) الأعراف (٢٥).
٣) البقرة (٣٦، ٣٨).
٤) البقرة (٣٤، ٣٥).
٥) انظر التفسير الكبير (١٦/٣).
٦) البقرة (٣٦).
٧) الأعراف (٢٤)، و"طه" (١٢٣)، والبقرة (٣٦).
٨) التفسير الكبير (١٦/٣).
٩) انظر تفسير الطبري (٢٣٩/١).
١٠) انظر أضواء البيان (١٢٠/٤).

في إشكالين أولهما: عند توجيه قوله – بعد ذلك- ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾[1] وهو – كما ترى- خطاب للجمع في السياق نفسه، بل في الآية نفسها، وثانيهما: كيف نوفق بين صيغ الجمع المذكورة في الأعراف والبقرة، وصيغة التثنية المذكورة في "طه"؟!

ولعل ما ذكره "الزمخشري" في توجيه هذه الصيغة هو الأرجح في هذا الأمر –فيما يبدوا للباحث-؛ إذْ يقول: «لما كان آدم وحواء –عليهما السلام- أصلَي البشر، والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا؛ جُعلا كأنهما البشر في أنفسهما؛ فخوطبا مخاطبتهم، فقيل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على لفظ الجماعة[2]».

فالخطاب –بناء على هذا التوجيه- لآدم ومعه ذريته، ولإبليس ومعه ذريته؛ «فلكونهما جنسين صح قوله: ﴿اهْبِطَا﴾، ولأجل اشتمال كل واحد من الجنسين على الكثرة صح قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾... أما قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [فقيل]: يكفي في توفية هذا الظاهر حقه أن يكون إبليس والشياطين أعداء للناس، والناس أعداء لهم، فإذا انضاف إلى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام. وقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾[3] فيه دلالة على أن المراد الذرية»[4]. فكأن آدم وزوجته وذريتهما فريق، وإبليس والشياطين فريق آخر.

ثالثاً: اقترن الأمر بالهبوط في "طه" والبقرة بالتوكيد بلفظ: ﴿جَمِيعاً﴾ ولم يرد ذلك في الأعراف. ويبدو للباحث أن في هذا التعبير دلالةً على أن الهبوط كان للكل، وفي آن واحد؛ إذ موقع ﴿جَمِيعاً﴾ من الإعراب: حال أي: مجتمعين[5]. وهذا يؤكد ما اخترناه من توجيه في الفقرة السابقة.

---

١) "طه" (١٢٣).

٢) الكشاف (٣/٩٤).

٣) "طه" (١٢٣).

٤) التفسير الكبير (٢٢/١١٢).

٥) التبيان في إعراب القرآن للعكبري (١/٥٤).

رابعاً: صرح بترقب الهدى في كل من "طه" والبقرة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾[1]. دون الأعراف، ثم بين في الآية نفسها أن من ابتع الهدى ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في البقرة، و﴿لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ في "طه".

«وعدم ورود هذا البيان في الأعراف؛ لأنه تابع لترقب الهدى»[2] الذي لم يرد فيها كما مرَّ، فناسب ألا يذكر هذا البيان لعدم وجود المتعلَّق به.

وقد عبر عن ابتاع الهدى بقوله: ﴿تَبِعَ﴾ (بالتخفيف) في البقرة، و﴿اتَّبَعَ﴾ (بالتشديد) في "طه" – على الرغم أن المعنى العام واحد – «ذلك أن الفعل بالتشديد يفيد المبالغة، فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث، و لم يشدد عليهم تخفيفاً على البشر مراعاة لمقام التكريم»[3] والتلطف..

هذا علاوة على أن في وضع كل فعل من هذين الفعلين من موضعه أسرار ودلالات منها:

أ- أن الفعل "تَبِع" تردَد في سورة البقرة أكثر من أي سورة أخرى في القرآن الكريم[4] كما أن تشديد الاتباع في سورة "طه" جاء لسبق التصريح بمعصية آدم[5]. وقيل: اختار في "طه" "اتّبع" موافقة لقوله تعالى قبلها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾[6]»[7].فوضِع كلٌ في مكانه الذي هو أليق به .

ب-أن التخفيف الذي يفيد التلطف بالعباد جاء مع إسناد القول إلى نفسه "قلنا" وأن التشديد جاء مع إسناد القول إلى الغائب "قال"»[8] وقد ذكرنا أن الله – سبحانه- يظهر نفسه في مقام التلطف والتكريم.

---

١) "طه" (١٢٣)، والبقرة (٣٨).

٢) خصائص التعبير القرآني: (١/٣٥٩).

٣) التعبير القرآني: (٢٩٣).

٤) السابق: (٢٩٣).

٥) انظر: خصائص التعبير القرآني: (١/٣٦٠).

٦) "طه": (١٠٨).

٧) البرهان في متشابه القرآن: (١٢١).

٨) انظر التعبير القرآني: (٢٩٣).

ج- أن نهاية الآية في البقرة تتعلق بالآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿فَلاخَوْفٌعَلَيْهِمْوَلاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] أي: في الآخرة، ونهاية الآية في "طه" تتعلق بالدنيا والآخرة، وهو قوله: ﴿فَلايَضِلُّوَلايَشْقَى﴾[2] أي: فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، لأن الدنيا لا تخلو من الشقاء؛ بدليل قوله تعالى – لآدم قبيل هذه الآية: ﴿فَلا يُخْرِجَنَّكُمَامِنَالْجَنَّةِفَتَشْقَى﴾[3]. وقد أخرجهما من الجنة؛ فلا بد من الشقاء إذن[4]. فبان بهذا أن قوله «ولا يشقى» بعد أمره بالهبوط إلى الأرض المقصود به: لا يشقى في الآخرة. وهذا مصداق لقول الله –تعالى- ﴿يَوْمَيَأْتِلاتَكَلَّمُنَفْسٌإِلاَّ بِإِذْنِهِفَمِنْهُمْشَقِيٌّوَسَعِيدٌ﴾[5] أي: يوم القيامة.

فلما كانت آية "طه" تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلّقة، فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. فوضع كل فعل في المكان الذي يقتضيه السياق الأسلوبي والدلالي معاً.

فانظر كيف يراعي في اختيار اللفظة أوجهاً متعددة، كل وجه يقتضيها من ناحية، وينادي عليها، بحيث تبدو اللفظة كأنها مصوغة لهذا الموضع، أو أن الموضع كأنما أعد إعداداً لتحل فيه. وهذا ما لا يمكن أن يكون في كلام البشر.

ولو أردنا أن نتتبع باستقصاء كل الآراء التي تحدثت عن الدواعي والمقتضيات لهذه الفروق الدقيقة بين الألفاظ المتقابلة في هذه المواضع أو في غيرها؛ لطال بنا الحديث، ولكنّا نكتفي –كما هو معلوم من منهج البحث- بما يدل على المراد، ويغني عن المزيد..

---

١) البقرة: (٣٨).

٢) "طه": (١٢٣).

٣) "طه": (١١٧).

٤) انظر: التعبير القرآني: (٢٩٣).

٥) هود: (١٠٥).

المطلب الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في قصة آدم ـ عليه السلام ـ من خلال مواضعها في سور : "ص" ، و"الأعراف"، و"الحجر":

١– قال تعالى في سورة "ص": ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) . . . ﴾[١] الآيات.

٢– وقال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا . . . ﴾[٢] الآيات.

٣– قال تعالى في سورة "الحجر": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) . . . ﴾[٣] الآيات.

قد يتبادر سؤال إلى الذهن مفاده: لماذا أعدت بعضاً من موضع القصة في سورة الأعراف، وجعلته إلى جانب موضعيها في سورتي "ص" و"الحجر"؟! والجواب واضح من خلال اختيار الجزء المحدد من موضع سورة "الأعراف" دوناً عن غيره من أجزاء القصة فيها؛ وذلك أن هذه المواضع الثلاثة تناولت الجانب الثاني من القصة الذي تكرر فيه حلقات متحدة المعاني العامة، مع وجود تشابه واضح في الصياغات اللفظية التي عبرت عن هذه المعاني، وقد خلا موضع سورة البقرة من هذا الجانب؛ فليس ثمة داع لذكره هنا.

ويتمثل هذا الجانب في ذكر معصية إبليس، وعداوته للإنسان، التي ظهرت من خلال الحوار الذي دار بين الله – جل جلاله – وإبليس – لعنه الله – بعد رفضه السجود لآدم –عليه السلام–.

والملاحظ – بشكل عام – أن موضعي القصة في "ص" و "الحجر" قد خليا من ذكرما يتعلق بآدم – وهو الجانب الأول من القصة الذي تناولناه في المطلب الأول – بل لم يرد فيهما اسمه أصلاً، بخلاف سورة الأعراف.

---

١) "ص": (٧١–٨٥) (انظر فهرس الآيات: (٣١١)).

٢) الأعراف: (١١–١٨) (انظر فهرس الآيات: (٣١١)).

٣) الحجر: (٢٦–٤٤) (انظر فهرس الآيات: (٣١١)).

فكأن الغرض من ذكر القصة في "الحجر" و "ص" تحذير الجنس البشري من عداوة إبليس الأبدية.

ومع أن الجانب الثاني من القصة – الذي نحن بصدد تحليله في هذا المطلب – يكاد يكون واحداً في السور الثلاث لدرجة أن كثيراً من الألفاظ والعبارات متطابقة غير أن هناك اختلافاً فيها أيضاً يتناسب وسياق القصة؛ فثمة أمور عرضت لها القصة في موضع تختلف عما في الموضعين الآخرين، أو تتطابق في موضعين وتختلف في الموضع الثالث.

وليس التطابق التام للألفاظ والعبارات المشكلة لأسلوب عرض المعنى الواحد محلاً لبحثنا في هذه الأطروحة.. بل المقصود – كما هو معلوم في منهج البحث – إبراز أوجه الاختلاف الأسلوبي الدقيق في الأداءات اللفظية المعبرة عن المعنى الواحد، ومن ثم تحليلها، وصولاً إلى بيان الدلالات المترتبة على ذلك[1].

وهذه الأوجه المختلفة تظهر بوضوح من خلال جدول التحليل الآتي:

م	في "ص"	في "الأعراف"	في "الحجر"
١-	ـــــــ	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
٢	﴿ خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ﴾	ـــــــ	﴿ خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
٣	﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	﴿ فَسَجَدُوا ﴾	﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾
٤	﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ	﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنْ	﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

١) وبناء عليه: فإن أي وجهين متفقين كلياً في صياغات التعبير اللفظية – يأخذان حكم الوجه الواحد عند التحليل.

	﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	﴿ السَّاجِدِينَ ﴾	﴿ السَّاجِدِينَ ﴾
٥	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَاسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾
٦	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾	﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾	﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾
٧	﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾	﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾	﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾
٨	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾	———	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
٩	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
١٠	﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾	﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾	﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾
١١	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾	﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾
١٢	﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ	﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

		أَيدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾	
١٣	﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾	ـــــــ	﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾
١٤	﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	﴿ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

وتحليل ذلك يتمثل في الآتي:

١) مهّد الله – سبحانه وتعالى – للقصة في سورتي الأعراف والحجر بالتأكيد على بداية خلق الإنسان، قبل خطابه للملائكة مباشرة فقال في الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾[١] ، وقال في الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[٢]، وخلت سورة "ص" من هذا التمهيد.

وقد بينا في المطلب الأول دلالة ورود الآية الآنفة الذكر من سورة الأعراف قبيل الدخول إلى القصة مما يغني عن الإعادة.

وأما قوله في الحجر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ فواضح أن المقصود بالإنسان هنا هو آدم –عليه السلام– كما كان مقصوداً هناك في الأعراف بقوله:﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ إلا أن من الواضح اختلاف صيغ التعبير عن هذا المعنى في الموضعين، ففي حين جاء في الأعراف على سبيل الخطاب الموجه إلى بني آدم – نظراً لاعتبارات

١) الأعراف: (١١).

٢) الحجر: (٢٦).

سياقية تم بيانها في المطلب الأول – فقد جاء في الحجر على سبيل الإخبار في سياق التذكير بنعم الله – سبحانه وتعالى – على عباده.

والصلصال: هو الطين اليابس الذي يصلُّ مِنْ يَبَسِه وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخّار، والحمأ: هو الطين الأسود المتغير، والمسنون: المصور من سنة الوجه[1].

وقد ناسب التعبير بهذه الصياغات في سورة الحجر ما جاء بعده، حيث تكررت الصياغة نفسها في القصة مرتين بعد ذلك.

والملاحظ أن الآيتين في الموضعين مصدرتان بحرفي التأكيد (اللام، وقد) بالإضافة على إسناد فعل الخلق لضمير المتكلم (نا) العائد عليه سبحانه، وفي هذا ما فيه من دلالة التأكيد على أهمية خلق هذا الإنسان، ومكانته العظيمة عند الله – سبحانه وتعالى – من جهة ،ثم تهيئة النفوس لتلقي قصة الخلق هذه الواردة بعده من جهة أخرى.

٢) قال تعالى في سورة "ص" مخاطباً الملائكة: ﴿إِنِي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[2].وقال في سورة "الحجر": ﴿إِنِي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3] ولم يرد مثل ذلك في الأعراف.

فذكر في "ص" أنه من طين الذي هو مجموع الماء والتراب، وذكر في الحجر أنه من صلصال من حمأٍ مسنون، وكلاهما واحد؛ إذ الصلصال عبارة عن طين يابس كما مر.

«وكلمة "صلصال" متكونة من "ص" وهو مفتتح سورة "ص" ومن "الألف واللام" وهما مفتتح سورة الحجر، وقد تكررت هذه الكلمة في القصة مرتين، فتكون اللام تكررت أربع مرات، والألف مرتين، والصاد أربع مرات. وعلى هذا يكون وضع الكلمة في السورة المبدوءة بالألف واللام أنسب؛ لأن مجموع ترددهما أكثر من الصاد»[4].

---

١) انظر: لسان العرب: "مادة ص ل ل" (٣٨٢/١١) ، و "مادة: ح م أ" (٦١/١).

٢) "ص": (٧١).

٣) الحجر: (٢٨).

٤) التعبير القرآني: (٣٠٤).

وهذا التوجيه العددي، وإن كان مقبولاً إلى حد ما، إلا أن هناك توجيهاً أوضح وأقرب؛ يتمثل في كون القصة وردت في سورة الحجر بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[1] فناسب أن ترد هذه اللفظة في صلب القصة أيضاً.

وقد استُخدم لفظ (بشراً) في الموضعين، كون الأمر هنا لا يختص بإظهار ما ميز الله – عز وجل – به هذا الإنسان من ميزات باطنة كالعقل وما نيط به من مسؤولية وتكليف، بل لا بعد وكونه بياناً لهيئة الإنسان الظاهرة فقط «وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر»[2] نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾[3]، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن لا يتسع المقام لذكرها.

وقد سيق لفظ "بشراً" بصيغة النكرة؛ كونه لم يكن معروفاً لدى الملائكة في زمن الخطاب.

الجدير بالذكر أن الحديث عن هذه المرحلة المتقدمة من القصة لم ترد سوى في ثلاثة مواضع من القرآن فقط، هي هذان الموضعان بالإضافة إلى موضع سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4].

وهنا سؤال مهم مفاده: ما دام المعنى العام واحداً في المواضع الثلاثة فلماذا انفرد موضع سورة البقرة بلفظ "جاعلٌ" بدلاً من "خالقٌ" كما في السورتين الأخريين؟!

وقبل أن نقطع في المسألة برأي لا بد من الرجوع إلى المعاجم؛ لنعرف دلالة كل منهما؛ حتى نبني التحليل على أساس صحيح. «فالخلق [هو] التقدير، يقال: خلق الأديم، إذا قدره قبل القطع. وبابه نَصَرَ»[5] وقال "ابن منظور": «وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها [(الأشياء)] وبالاعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالق»[6].

---

١) الحجر: (٢٦).

٢) المفردات في غريب القرآن: (١/٤٧).

٣) الفرقان (٥٤).

٤) البقرة (٣٠).

٥) مختار الصحاح: "مادة: خ ل ق" (١/٧٨).

٦) لسان العرب: "مادة: خ ل ق" (١١/١١٠).

وأما "جعل" فمن باب "قطع" وجعله نبياً:صيـــره..[1]، وقال "ابن منظور": «جعل الشيء ويجعله جَعْلاً ومجعلاً واجتعله: وضعه.. وجعله يجعله جَعْـــلاً: صـــنعه، وجَعَلَـــهُ: صيّره»[2]

وبناء على ما تقدم من دلالات معجمية، يتضح لنا أن الخلق يسبق الجعل، وذلـــك على اعتبار الدلالة الدقيقة للفظين؛ إذْ "التقدير" يسبق كلاً من: "التصـــيير"، و"الوضـــع" و"الصنع".

ومن الملاحظ أن أغلب المفسرين أوّلو "جاعل" بـــ "فاعل" أو "خالق"[3].

و لم يجد الباحث من أشار إلى أن ﴿جَاعِلٌ﴾ من جعل المتعدي إلى مفعـــولين علـــى ظاهر اللفظ إلا القليل كالشوكاني[4]، أما من أوّل جاعل من الجَعْل بمعنى التصيير فأقل من ذلك كالألوسي[5] في أحد توجيهاته. وأشار الطبري إلى هذا الاختلاف في التأويل فقال: «أختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ فقال بعضـــهم: إني فاعـــل.. وقـــال آخرون: إني خالق.. عن أبي روق (ورق) قال: كل شيء في القرآن جعل فهو خلـــق»[6] وقد ذكر الطبري أن من أوّل ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ بـــ "إني فاعل" هو "الحسن" و"قتادة"، واعتمد ما نقل عن أبي روق من عموم قوله:(كل شيء في القرآن جعـــل فهـــو خلـــق) دونمـــا إستثناء.ثم قال مرجحاً:(والصواب في تأويـــل قولـــه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، أي: مستخلف في الأرض خليفة، ومصير فيها خلقاً»[7] وهذا أشبه بتأويل "الحسن" و"قتادة".

وجعلُ الخليفة بمعنى تصييره أو فعله لا يكون إلا بعد خلقه ابتـــداءً، فقولـــه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ يتضمن بالضرورة الخلق أولاً ثم الجَعل بمعنى التصيير والوضع والفعل ثانيـــاً، فـــلا تعارض – إذاً – بين الصياغين (خالق، وجاعل) في الموضعين.

---

١) انظر: مختار الصحاح: "مادة: ج ع ل" (٤٥/١٠).

٢) لسان العرب: "مادة: ج ع ل" (١١٠/١١).

٣) انظر على سبيل المثال: تفسير ابن كثير (٧١/١)، تفسير أبي السعود (٨١/١)، تفسير الثعالبي (٤٣/١)، القرطبي (٢٦٣/١).

٤) انظر: فتح القدير (٦٢/١).

٥) انظر: روح المعاني (٢٢٠/١).

٦) تفسير الطبري (١٩٨/١، ١٩٩).

٧) المرجع السابق (١٩٩/١).

ويمكن – على هذا – أن نقول: إنه لما ذكر لفظ ﴿بَشَراً﴾ الدال على مجرد الخلق الظاهري والتصوير الجسدي ناسب أن يقول: ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾ ولما ذكر لفظ ﴿خَلِيفَةً﴾ الدال على النيابة القائمة على التكليف ناسب أن يقول:﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾. قال الكرماني: «لأن ﴿جَعَلَ﴾ إذا كان بمعنى ﴿خَلَقَ﴾ يستعمل في الشيء يتجدد ويتكرر كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[1] ؛ لأنهما يتجددان زماناً بعد زمان. كذلك "الخليفة" لفظ يدل على أن بعضهم يخلف بعضاً إلى يوم القيامة.

وخصت هذه السورة [(الحجر)] بقوله: ﴿إني خالق﴾ لقوله : ﴿بشراً﴾؛ إذْ ليس في لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار»[2] فجاء في كل موضع ما اقتضاه ما بعده من الألفاظ.

٣) قال- تعالى- في سورة "ص" و"الحجر": ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[3] في حين اكتفى في الأعراف بقوله: ﴿فَسَجَدُوا﴾[4]. فأظهر فاعل السجود في "ص" و"الحجر"، وأضمره في الأعراف.

وبأدنى نظر إلى السياق النظمي والمعنوي في المواضع الثلاثة نجد أن هناك تشابهاً واضحاً في عرض هذه الحلقة من القصة وسابقتها في سورتي "ص" و"الحجر"؛ حيث قال في "ص": ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[5] .وقال في "الحجر": ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[6] ثم عقب – بعد ذلك – في السورتين قائلاً : ﴿فَسَجَدَ الْمَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[7] فكان هذا التعقيب مناسباً من وجوه أهمها:

---

١) الأنعام (١).

٢) البرهان في متشابه القرآن، (٢٣٨).

٣) ص (٧٣)، الحجر (٣٠).

٤) الأعراف (١١).

٥) ص (٧١- ٧٢).

٦) الحجر (٢٨-٢٩).

٧) ص (٧٣)، والحجر (٣٠).

١- وجود تشابه ملحوظ في الأسلوب النظمي، كاد يصل على درجة التساوي في الموضعين.

٢- وجود تماثل كبير في المعاني الدلالية لتلك البنى النظمية في كل..

٣- طول الفصل بين لفظ "الملائكة" الأول والثاني في كل موضع؛ حيث لم يرد الأخير إلا بعد مضي آية فاصلة بينهما ناهيك عن جزء كبير من الآية التي ذكر فيها اللفظ الأول..

وقد وجه "الكرماني" التعبير بقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ في "ص" و"الحجر" دوناً عن غيرهما فقال: «إنه لما بالغ في السورتين في الأمر بالسجود وهو قوله : ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ بالغ في الامتثال فيها فقال: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ لتقع التوفقة بين أولاها وأخراها»[1]، ولذا أكد الامتثال بالسجود بتوكيدين اثنين: ﴿كُلُّهُمْ﴾ ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

أما في موضع سورة الأعراف فالأمر مختلف نظماً ودلالة؛ حيث كان الإيجاز هو سيد الموقف، فقد طوى الحديث عن إخبار الله الملائكة بخلق آدم من طين، وأن عليهم السجود له عند تسويته ونفخ الروح فيه، واكتفى – سبحانه – بالإشارة المقتضبة في آية واحدة إلى الخلق والتصوير ثم أمره الملائكة بالسجود فامتثالهم لذلك وعصيان إبليس فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾. ولم يكن ثمة داع – هنا – لإعادة لفظ الملائكة؛ إذ لا طول في الفصل بين الاسم الظاهر وضميره. فاختص كل تعبير بما يناسبه ويليق به.

٤) قال – سبحانه وتعالى – في سورة "ص": ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[2] وقال في الأعراف: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[3]. وقال في الحجر: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[4].

---

١) البرهان في متشابه القرآن (٢٣٨).

٢) ص (٧٤).

٣) الأعراف (١١).

٤) الحجر (٣١).

الملاحظ أن مخالفة إبليس قد صورت بصياغات تعبيرية مختلفة في المواضع السبعة للقصة حيث قال في طه – إضافة إلى المواضع الآنفة الذكر – : ﴿أَبَى﴾[1]وقال في الإسراء: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾[2] وقال في الكهف: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[3]، وقال في البقرة: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[4].

والتفنن في العبارات قد أفاد إسناد أقبح الأوصاف في ذم إبليس اللعين، بحيث كان كل وصف يتناسب مع السياق الخاص بكل موضع.

فلما كان المقصود من ذكر القصة في سورة "ص" المنع من الحسد والكبر؛ وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر «والكفار إنما نازعوا محمداً -ﷺ- بسبب الحسد والكبر فالله – تعالى – ذكر هذه القصة ههنا؛ ليصير سماعها زاجراً لهم عن هاتين الخصلتين»[5].

واكتفى في سورة الأعراف بنفي عدم سجوده فقال: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، وقد سبق بيانه في المطلب الأول.

أما في سورة "طه" فذكر أن إبليس ابى بدون ذكر لمعمول أبى، والتقدير: أبى أن يسجد. فذكر عنه الإباء و لم يذكر عنه الاستكبار الذي صرح به في سورة "ص" إلى جانب الكفر بقوله ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، وبين معمول "أبى" في سورة الحجر فقال: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾وجمع بين الإباء والاستكبار والكفر في سورة البقرة فقال: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[6] فكأن كل سورة تكمل الأخرى.

فإن قيل: فما دلالة اكتفائه في "طه" بذكر الإباء وحذفه للمعمول؟! قلنا: لعل ذلك يرجع إلى أمرين: أحدهما الإيجاز الذي تميز به عرض القصة في سورة طه عامة وعند بيان

---

١) طه (١١٦).

٢) الإسراء (٦١).

٣) الكهف (٥٠).

٤) البقرة (٣٤).

٥) التفسير الكبير (١٩٨/٢٦).

٦) انظر: أضواء البيان (١٠٦/٤).

هذه الحلقة من القصة خاصة، وثانيهما يتعلق بالسياق النظمي الخاص في هـذه السـورة والمتمثل في الفواصل المختومة بالألف (عزما – أبى – تشقى... الخ).

وأما في سورة الإسراء فقد تجاوز ذكر أي من الأسباب الآنفة إلى ما صرح به إبليس عن نفسه بقوله منكراً ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ وهذا الإنكار – في حد ذاته – فيه دلالـة على كل ما سبق ذكره من الإباء والاستكبار والكفر.

ولن نفصل القول فيما يتعلق بهذا الإنكار، فموضعه في الفقرة السادسة مـن هـذا التحليل.

غير أن هناك ملحوظة مهمة جداً في هذه الأساليب التي بينت مخالفة إبليس، إذْ كلها جاءت بصيغة الإخبار من قبل الله – سبحانه وتعالى – لبيان الحقيقة التي تكمن وراء عدم سجود إبليس لآدم (أبى – استكبر – كان من الكافرين – لم يكن من السـاجدين – أبى أن يكون مع الساجدين – فسق عن أمر ربه) عدا موضع سورة الإسراء الذي لم يشر إلى شيء من ذلك و لم يستخدم ذات الأسلوب، بل أفسح المجال لإبليس لكي يـذكر سـببه المزعوم الذي لا تقوم به حجة؛ فينصرف الذهن إلى الأسباب الحقيقية التي ذكرهـا الله – سبحانه وتعالى – في المواضع الأخرى والتي وزعت بدقة؛ لتدل بمجموعها على مختلـف الأسباب الكامنة وراء تلك المعصية، وفي هذا الأسلوب ما فيه من قوة الدلالة والتأكيـد على الأسباب والدواعي الحقيقية لذلك.

وبالعودة إلى المواضع الأساسية التي نحن بصدد تحليلها في هذه الفقرة.. نجد أنه عبر عن ظاهر المعصية في موضعي الأعراف والحجـر: ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ .أبى أن يكون مع الساجدين﴾، وعن أسبابها الحقيقية الخفية في موضع سـورة "ص": ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فالمعنى العام وإن كان واحداً إلا أن أساليب التعبير عن هذا المعنى قد اختلفت بشكل واضح، إذ هي محكومة بالسياق الأسلوبي والدلالي التي وردت فيه.

ففي حين عبر في الأعراف بالنفي بالإضافة إلى لفظ "من": ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾، استخدم الإخبار عن المعنى نفسه بالإضافة إلى لفظ "مـع" في الحجـر: ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّاجِدِينَ﴾ في حين حصل العكس في جواب إبليس بعد ذلك فقال في الأعراف: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ..﴾[1] مستخدماً الإثبات، وقال في الحجر: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ..﴾[2] مستخدماً أسلوب النفي وفي هذا شيء من التوازن بين الموضعين.

كما أن موضع سورة الأعراف اتسم بالإيجاز في حديثه عن هذه المرحلة من القصة بخلاف سورة الحجر، ويتضح هذا من خلال مقدار الألفاظ المستخدمة في كلٍّ.. والله أعلم.

وواضح ما في موضع سورة "ص" من اختلاف في أسلوب التعبير عن هذه الحلقة من القصة، المتلائم مع المعنى الدلالي الخاص به.

وعندما نستعرض بعض التعبيرات الأسلوبية التي تناولت هذه الحلقة من القصة في موضعي "ص" و"الحجر" –نجد أنه استخدم لفظ ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ في "ص" في حين استخدم لفظ﴿أَبَى﴾في الحجر «ومعنى ﴿أَبَى﴾غير معنى ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ فإن معنى﴿أَبَى﴾: رفض وامتنع، ومعنى ﴿اسْتَكْبَرَ﴾: رأى نفسه خيراً من الآخرين. والرفض والامتناع قد يكونان لغير استكبار. وقد بنيت كل قصة على ما ذُكر فيها؛ فقد بنيت قصة الحجر على الإباء والرفض، وبنيت قصة "ص" على الاستكبار» يدلك على ذلك أمور منها»[3]:

أ) أنه لما قال في "ص":﴿اسْتَكْبَرَ﴾كان سؤال رب العزة له: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[4]وهذا هو المناسب للاستكبار. و لم يقل مثل ذلك في الحجر.

ب) مناسبة جواب إبليس في "ص" للاستكبار: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[5] و لم يقل مثل ذلك في الحجر، بل قال: ﴿لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[6] وهذا هو المناسب لكلمة ﴿أَبَى﴾؛ لأن هذا القول يدل على الرفض والامتناع

---

١) الأعراف (١٢).

٢) الحجر (٣٣).

٣) التعبير القرآني (٣٠٥).

٤) "ص" (٧٥).

٥) "ص" (٧٦).

٦) الحجر (٣٣).

لا على الاستكبار. فإنك إذا قلت: (لم أكن لأفعل هذا) لم يفد قولك الاستكبار عن فعله، بل يفيد الامتناع عنه[1].

«هذا علاوة على أن جو سورة الحجر عموماً هو الامتناع والرفض، وجو سورة "ص" هو الاستكبار والعلو»[2] ولا يتسع المقام لتفصيل هذا الأمر.

كما أنه ذكر السجود في الحجر ولم يذكره في "ص"؛ لأن جو السجود شائع في قصة الحجر وسورتها أكثر مما في "ص" «فقد ورد السجود في قصة الحجر [خمس] مرات، في حين ورد في قصة [ص] ثلاث مرات. وقد ختمت السورة [(الحجر)] بالسجود أيضاً فقال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾[3]» [4] [5].

وفي هذا تناسق جميل في التعبير ومخالفة مناسبة في الدلالة تتلاءم مع السياق ففي حين قال في إبليس إنه ﴿ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ أمر رسوله أن يكون من الساجدين فقال له ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾.

وهذا بخلاف ما في "ص" التي لم يذكر فيها – لفظاً – أن نبي الله داود لما ناب سجد، بل عدل عن ذكر السجود إلى الركوع فقال: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[6] فوضع كل تعبير في المكان الذي هو أليق به من كل ناحية.

٥) قال في "ص": ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[7] وقال في الأعراف: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[1]، وقال في الحجر: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[2].

---

١) انظر: التعبير القرآني (٣٠٥).

٢) المرجع السابق (٣٠٥).

٣) الحجر (٩٨).

٤) التعبير القرآني (٣٠٧).

٥) وكذلك الحال من الأعراف التي ترددت فيها مشتقات، السجود تسع مرات في الآيات: (١١ثلاث مرات، ١٢، ٢٩، ٣١، ١٢٠، ١٦١، ٢٠٦) منها أربع مرات في القصة وحدها، وختمت بالسجود كذلك: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

٦) ص (٢٤).

٧) ص (٧٥).

وواضح لأول وهلة ما في التعبير الوارد في "ص" مع تبسط مع إبليس في الكلام، وقريب منه ما في الحجر، ولكننا لم نجد ذلك التبسط في الأعراف.

وبالعودة إلى ما أشرنا إليه في النظرة التحليلية العامة من كون القصة في الأعراف واردة في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة – يتضح لنا أن مقام القصة في الأعراف هو مقام سخط وغضب أكبر مما هو في "ص" التي وردت القصة فيها في سياق الخصومات، أو في الحجر التي وردت القصة فيها في سياق الامتناع والرفض؛ فمن المعلوم أن الامتناع والخصومة مرحلتان سابقتان لمرحلة الإهلاك التي لا تأتي إلا بعد طول إنذار.

وعليه فقد بنيت كل قصة على ما جاء في سياقها، وإليك إيضاح ذلك:

أ) لقد طوى الله – عز وجل – اسم إبليس في الأعراف فقال: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ في حين ذكر اسمه في "ص" فقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ وفي الحجر فقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾. فهناك نوع من الخطاب الأقل حدة في "ص" و"الحجر"، ويتضح التبسط أكثر في آخر الآية من سورة "ص": ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، وفي المقابل عدم التبسط في سورة الأعراف دل على السخط الكبير.

ب) كرر الطرد في الأعراف مرتين بصيغتين مختلفتين فقال: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[3] وصيغتا الطرد هما (فاهبط – فاخرج) ولم يكتف بذلك حيث كرر الطرد مرة ثالثة بعد ذلك فقال: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾[4]، وليس الأمر كذلك في "ص" أو "الحجر" اللتين قال فيهما: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[5] ولم يكرر الطرد مرة أخرى.

---

١) الأعراف (١٢).

٢) الحجر (٣٢).

٣) الأعراف (١٣).

٤) الأعراف (١٨).

٥) "ص": (٧٧)، والحجر: (٣٤).

فتكرار الطرد بصيغة الخروج مرتين في الأعراف يكفي للدلالة على السخط الكبير في الأعراف. وأما الطرد بصيغة الهبوط ففيه دلالة إضافية أكبر على شدة السخط من قبل الله – عز وجل – على اللعين «فالهبوط أشد طرداً من الخروج إذ الهبوط لا يكون إلا من أعلى إلى أسف، بخلاف الخروج فقد لا يكون كذلك. فهو أخرجه أولاً ثم أهبطه مما يدل على شدة الغضب في الأعراف»[1].

ج) قال في الأعراف – حكاية عن إبليس – : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2] في حين قال في "ص" و"الحجر": ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[3] فزاد "رب" و"الفاء".

وبناء عليه:

د) جاء الرد في الأعراف: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾[4]، في حين قال في "ص" والحجر: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾[5]، فزاد "الفاء" وزاد ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾. وواضح ما في هذا الأخير من البسط والتبسط في الكلام.

«ثم انظر من الناحية الفنية كيف أنه في "ص" [والحجر] لما ذكر الفاء في قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي ﴾ كان الجواب بالفاء كذلك: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾، ولما لم يذكر الفاء في قوله: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ كان الجواب بدون فاء كذلك: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾»[6].

وواضح من خلال هذا الصياغات كيف أن إبليس لما رأى أن الله – جل جلاله – تبسط معه في الكلام تبسط هو أيضاً كما في "ص" والحجر، بخلاف ما في الأعراف ،

---

١) التعبير القرآني: (٣٠١).

٢) الأعراف (١٤).

٣) ص (٧٩)، والحجر (٣٦).

٤) الأعراف (١٥)،

٥) ص (٨٠-٨١)، والحجر (٣٧-٣٨).

٦) التعبير القرآني (٣٠١).

فإنه لما رأى السخط الكبير والغضب الشديد لم يجرؤ أن يتبسط في الكلام بل جعله على أوجز صورة، وأقصر تعبير.

فانظر دلالة المعنى في كل مقام كيف ألقت بظلالها على الصياغة اللفظية فجاءت مناسبة للدلالة المعنية في كل موضع.. فلكل مقام مقال.

وبالعودة إلى الموضع الأساسي في هذا التحليل ["ص" ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾، الأعراف: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾، الحجر: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[1]].

فقد زاد "لا" في الأعراف لتوكيد السجود وهو قوله ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾، وليس كذلك في عن موضعي "ص" والحجر.

«وظاهر الآية [في الأعراف] يقتضي انه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود وليس الأمر كذلك فإن المقصود طلب ما منعه في السجود»[2]؛ لأن المعنى على ظاهر الآية سيكون مضطرباً تماماً، وغير دال على المراد من جهة، ومخالفاً للدلالة المعنوية الواردة في المواضع الأخرى من جهة أخرى، وعليه «فالمراد [هو] ما منعك أن تسجد إذ أمرتك بدليل قوله في القصة بعينها في سورة "ص": ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فحذف لفظة (لا) في "ص" مع ثبوتها في الأعراف والمعنى واحد، فدل ذلك على أنها مزيدة للتوكيد... [و] قد عرف في اللغة العربية أن زيادة لفظة (لا) في الكلام الذي فيه معنى الحجر لتوكيده مطردة كقوله – تعالى – على لسان موسى ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِي﴾[3] أي: ما منعك أن تتبعني ..[4]، وهذا هو المشهور من الأقوال في هذا الباب. ونظيره في الحجر: ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ «فوضع "ما منعك" موضع "مالك"؛ لاتفاق معنييهما وإن اختلفت ألفاظهما»[5].

---

١) الحجر (٣٢).

٢) التفسير الكبير (١٤/٢٧).

٣) طه (٩٢، ٩٣).

٤) أضواء البيان (٤/٨٩).

٥) تفسير الطبري (٢/٥٩٩).

وعليه فإن (ما) هنا في موضع رفع بالابتداء أي: أي شيء منعك ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ في موضع نصب أي: من أن تسجد[1].

فإن قيل لا زيادة في القرآن. قلنا: نعم، ولذلك فإن موضع (لا) هنا صلة جيء بها لتوكيد معنى الفعل الذي دخلت عليه«ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود»[2] فلها وظيفة مهمة جداً في هذا الموضع الذي وردت فيه.

ولهذا التقدير نظائر كثيرة – إضافة إلى ما سبق – في القرآن الكريم، لا يتسع المقام لذكرها..

فانظر كيف عبر عن المعنى الواحد بصياغات متعددة يناسب كل منها السياق الذي وردت فيه. يقول "الإسكافي": «لسائل أن يسأل فيقول: إذا كان هذا في قصة واحدة ووقع في كلام الله حكاية عما قال إبليس وعما قيل له... فلماذا اختلفت الحكايتان والمحكي شيءٌ واحد؟

والجواب... أن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود به ذكر المعاني، فإن الألفاظ إذا اختلفت وأفادت المعنى المقصود كان اختلافها واتفاقها سواء..»[3] وكلام "الإسكافي" هذا محمول على المعنى العام. وأما المعاني الخاصة فقد بينا بعضاً من أوجه الاختلاف الخاصة بكل موضع في الأسلوب والدالة.

ونضيف فنقول: إنه لما كان التوكيد في موضع الأعراف أشد اقتضى أن يؤتى بـ (لا) المؤكدة «يدل على ذلك بدؤه القصة في الأعراف بقوله – تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ و "لقد" مؤكدان هما اللام وقد. وهي – أعني "لقد"- قَسَمٌ مقدر عند النحاة. والقسم توكيد، بخلاف القصة في "ص" فإنها تبدأ بقوله: ﴿وإِذْ قُلْنَا﴾. وأن المؤكدات فيها أكثر (لقد – زيادة "لا" – إنك من الصاغرين – إنك من المنظرين –

---

١) تفسير القرطبي (١٧٠/٧).

٢) تفسير البيضاوي (٧/٣).

٣) درة التنزيل وغرة التأويل (٧٧).

لأقعدن – لآتينهم – لأملأن جهنم منكم أجمعين – وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) فناسب ذلك المجيء بـ (لا) المؤكدة»[1].

كما أن من مقتضيات التأكيد البارز في الأعراف قوله تعالى: ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ ومخالفة أمر الله كبيرة لا يجوز إتيانها بحال، ولم يقل مثل ذلك في "ص" أو في الحجر.. فكان الحساب على مخالفة الأمر أشد واللفظ أعنف وأغلظ.

٦) قال في "ص" والأعراف – مخبراً عن رد إبليس اللعين –: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[2]، في حين قال في الحجر: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[3] فذكر أصل آدم فقط ولم يذكر أصله.

وقد أشرنا في الفقرة (ب) من الحلقة الرابعة من هذا التحليل أن الرد في "ص" مناسب للاستكبار في قوله ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾، وفي الحجر مناسب للفعل ﴿أَبَى﴾.

وبقي أن نقول: إن هذا الرد – في حد ذاته – ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ في "ص" والأعراف يفوح كبراً وتعالياً واضحاً من قبل اللعين – فضلاً عما سبق من صياغة تعبيرية – يدلك على ذلك أنه لما قال ذل في قصة الأعراف [﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾] قال رب العزة: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[4]»[5] فلم يمهله في البقاء على الإطلاق؛ إذ هو قد تجاوز بتصرفه وقوله المتبجح هذا كل الحدود، وادعى ما ليس له فنازع ربه – جل وعلا – في صفة من صفاته فاستحق الطرد – ذليلاً صاغراً – على الفور. وقد استدللنا على ذلك من شيوع الفاءات المتلاحقة في التعبير (فاهبطوا ← فما يكون لك أن تتكبر فيها ← فاخرج ..).

---

١) التعبير القرآني (٢٩٩).

٢) ص (٧٦)، الأعراف (١٢).

٣) الحجر (٣٣).

٤) الأعراف (١٣).

٥) التعبير القرآني (٣٠٥).

ومن ناحية فنية أسلوبية فإن قوله – تعالى – في "ص" والأعراف : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ مناسب لقوله في أول القصة في "ص": ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ﴾[1] ولقوله في أول قصة الأعراف: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾[2] والله أعلم.

وأما التعبير الوارد في سورة الحجر ﴿ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾. ففيه – إضافة إلى ما ذكرنا من دلالة – مناسبة واضحة للبنى اللفظية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[3] بعد قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[4].

٧) قال تعالى في سورتي "ص" والحجر: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[5]، وقال في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾[6] سبق بيان خصائص الأسلوب والدلالة في هذين التعبيرين في الفقرة (ب) من الحلقة الخامسة من هذا التحليل لارتباطه الوثيق بالتعبيرات الأسلوبية الواردة هناك فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

٨) أردف سبحانه – بعد طرده إبليس بقوله: ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ – قائلاً في "ص": ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[7]، وفي الحجر: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[8]، ولم يذكر مثل هذا في الأعراف.

فأضاف اللعنة إلى نفسه في قصة "ص"، ولم نجد هذه الإضافة في الحجر. فما سبب ذلك يا ترى؟!.

وعند إمعان النظر في الأسلوب التعبيري الوارد في قصة "ص" نجد أن الله – تعالى – قد حاج إبليس قبل ورود اللعن بقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1]، فأضاف الخلق

---

١) "ص": (٧١).
٢) الأعراف (١١).
٣) الحجر (٢٨).
٤) الحجر (٢٦).
٥) ص (٧٧)، والحجر (٣٤).
٦) الأعراف (١٣).
٧) ص (٧٨).
٨) الحجر (٣٥).

إلى ذاته – جل وعز – وإلى يديه العليتين، فلما أدلى إبليس بحجته التي لا تنبئ إلا عن غطرسه وتعالٍ، ولا ترقى إلى درجة الحجة الواهية – فلم نسمها حجة إلا تجوزاً على اعتبار أنها في موضع الحجة – وإن لم تكن – لما أجاب إبليس بذلك الرد الوقح وهو: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[2] كان من المناسب لفظاً ومعنىً أن يكون الرد بهذه الصيغة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ فأضاف اللعنة إلى نفسه، كما أضاف الخلق قبل ذلك إلى نفسه. ولما لم يكن كذلك في الحجر لم تحسن تلك الإضافة، فقال: ﴿اللَّعْنَةَ﴾. جاء في "درة التنزيل": «وللسائل أن يسأل فيقول: إذا كان المراد باللعنة وبلعنتي شيئاً واحداً فما بال اللفظين اختلفا فجاء في سورة الحجر بالألف واللام وفي سورة "ص" مضافاً؟ وهل يصح في الاختيار أحدهما مكان الآخر؟

الجواب: أن يقال: إن القصة في سورة الحجر ابتدئت في المعتمد بالذكر وهو خلق الإنسان والجن باسم الجنس المعرف بالألف واللام بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[3] ثم قال: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[4]. وكان ما استحقه إبليس بترك السجود من الجزاء ما أطلق عليه اللفظ الذي ابتُدئت بمثله القصة وهو اسم الجنس المعرف بالألف واللام.

وكان الأمر في سورة "ص" بخلاف ذلك؛ لأن أول الآية: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾[5].

فلم تفتتح بذكر الصنفين من الجن والإنس باللفظ المعرف بالألف واللام كما كان في سورة الحجر.

---

١) ص (٧٥).

٢) ص (٧٦).

٣) الحجر (٢٦).

٤) الحجر (٣٢).

٥) ص (٧١- ٧٥).

ولما كان موضع: ﴿مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ جاء بدله ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ ثم قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ فجعل بدل ﴿السَّاجِدِينَ﴾: ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾، ثم قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فخصصه بالإضافة إليه دون واسطة بأمره بفعله، أجرى لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة، كما قال ﴿بِيَدَيَّ﴾، فقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾، فكان الاختيار في التوفقة بين الألفاظ التي افتتحت بها الآية واستمرت إلى آخرها هذا»[1].

وقد حاول الباحث تدعيم هذه التوجيه بآخر، فألفى "الكرماني" قد أجمل ما سلف من توجيه "الإسكافي" ولم يزد عليه شيئاً[2].

غير أن هناك مناسبةً أسلوبية أخرى جديرةً بالذكر لها تأثيرها الدلالي في المعنى، وهي «أنه في قصة "ص" ذكر نفسه أكثر مما في الحجر، فإنه ذكر نفسه في "ص" ست مرات، وفي الحجر ثلاث مرات.

قال في الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3].

وقال في "ص" مثل ذلك وزاد عليه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾[5]»[6] فكان كل تعبير مناسباً لجو القصة التي ورد فيها.

٩) قال في "ص" والحجر: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[7]. وقال في الأعراف: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[8].

١٠) جاء الرد واحداً في "ص" والحجر: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[9]، في حين اختلف في الأعراف: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[1].

---

١) درة التنـــزيل وغرة التأويل (١٤١).

٢) انظر: البرهان في متشابه القرآن (٢٣٨).

٣) الحجر (٢٩).

٤) ص (٧٥).

٥) ص ( ).

٦) التعبير القرآني (٣٠٨).

٧) ص (٧٩)، والحجر (٣٦).

٨) الأعراف (١٤).

٩) ص (٨٠-٨١)، والحجر (٣٧-٣٨).

وقد سبق بيان أهم الخصائص الأسلوبية والدلالية للتعبيرات الواردة في هاتين الحلقتين التاسعة والعاشرة، وذلك في الفقرتين (ج) و (د) من الحلقة الخامسة من هذا التحليل؛ نظراً للارتباط الوثيق بينها وبين التعبيرات الأسلوبية الواردة هناك.

ونضيف هنا فنقول: إن التعبير الموجز في قوله تعالى – في الأعراف -: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ بدون الفاء، وبدون إضافة ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾. كما في السورتين الأخريين – فيه دلالة واضحة على عدم الرغبة في إطالة الكلام مع اللعين الذي لا يستحق ذلك. وهذا أيضاً مناسبٌ تماماً للسخط الكبير والغضب الشديد الذي أشرنا إليه.

وبالمقابل فإن إبليس – إضافة إلى ما قلنا من كونه لم يجرؤ على التبسط في الكلام – يصور لنا بلفظه هذا الحالة النفسية التي وصل إليها بعد الطرد المتكرر في الأعراف، وذلك من خلال التمادي في عناده ، وعدم الأدب في الخطاب مع ربه – سبحانه وتعالى – بالإضافة إلى حرصه الشديد في البقاء لغرض الانتقام من آدم وذريته حتى وهو في أحلك المواقف..

وقد ذكر "الإسكافي" توجيهاً أسلوبياً ودلالياً لهذه التعبيرات يجدر ذكره هنا، حيث قال: «للسائل أن يسأل عن إدخال الفاء في قوله: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ في سورتي الحجر و"ص"، وحذفها منه في سورة الأعراف.

والجواب: أن يقال: إن قوله: ﴿أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ في سورة الأعراف وقع مستأنفاً غير مقصود به عطف على ما يقع به هذا السؤال عقيبه فلم يحتج إلى الفاء.

والجواب أيضاً لما لم يكن إجابة له إلى ما طلب، لم يكن أيضاً معطوفاً عليه بالفاء، وإنما سأل تأخير أجله، فقال: إنك في حكمي ممن أخر أجله لا لأجل سألتك.. وأما في الآيتين في سورتي الحجر و"ص" فإنه قال عز من قائل – [إخباراً عن إبليس] –: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ وجاء بعد إخبار الله بلعنه له، وكأنه قال: يا رب إذا لعنتني وآيستني من الخير فأخِّرْ أجلي إلى يوم يبعثون، وهو يوم القيامة وليس يوم الإماتة، إنما هو يوم البعث

---

١) الأعراف (١٥).

والإحياء، فلم تقع الإجابة على ما طلب؛ لأنه قال – عز من قائل –: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ أي: إلى الوقت الذي هو آخر أوقات الإحياء.

فاقتضى إضمار "إذا لعنتني يا رب" أن يأتي بالفاء فيقول: ﴿فَأَنظِرْنِي﴾ ويأتي في جوابه بها، وهو ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾؛ لأن التقدير: إن طلبت تقدير الأجل وتنفيس المهل من أجل أن لُعنت فإنك مؤخر الموت بما حكمت به لك لا لإجابتك إلى مسألتك. فهو معطوف على السؤال عطف الكلام على الكلام الذي يقتضيه، لا عطف الإيجاب على السؤال؛ لأن الله – تعالى – لن يجيب عاصياً مثله إلى ما يسأله.

فدخول "الفاء" في الموضعين لتقدم ذكر اللعن. وأن المعنى: أن آيستني من رحمتك فأخر أجلي؛ لأنال من عدوي الذي كان سبب ذلك ما أقدر عليه من الإغواء له ولمن يكون من نسله، وأستشفي بذلك لجهله. نعوذ بالله من طاعة الهوى المؤدى إلى سبيل الردى»[1].

وهذا التوجيه لا يتعارض مع التوجيهات الأخرى التي بيناها سلفاً، بل إنه يقويها، ويشد من أزرها.

١١) قال في "ص": ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾[2]. وقال في الأعراف ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[3]. وقال في الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[4].

فأقسم في "ص" بعزة ربه، وفي الأعراف والحجر بإغوائه له. والجواب واحد.

والملاحظ:

أولاً: أن المحكيات الأولى قد اختلفت في هذه المواضع من قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ إلى قوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ وأخيراً: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل (٨٧).

٢) ص (٨٢).

٣) الأعراف (١٦).

٤) الحجر (٣٩).

وثانياً: حذف الفاء في سورة الحجر من قوله: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ وإثباتها في السورتين الأخريين.

وقد جاء هذا الاختلاف استجابة لدواع سياقية فرضت أسلوباً تعبيرياً معيناً متطابقاً مع الدلالات الخاصة في كل موضع. والتي لا نعدم فيها إضافة معنوية، أو دلالية جديدة في كل مقام من مقامات الخطاب الثلاثة.

وإيضاح ذلك يتمثل في نقاط التحليل الآتية:

أ- هناك مناسبة واضحة في البنى التركيبية الخاصة بكل موضع تتلائم مع سابقتها في الموضع نفسه تتمثل في«أن ما في [سورة الأعراف] موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء، وما في الحجر موافق لما قبله في مطابقة النداء، وزاد في [الأعراف] الفاء التي هي لعطف جملة على جملة، حيث قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾؛ لتكون الثانية مربوطة بالأولى. و لم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء؛ لامتناع النداء فيه؛ لأنه ليس بالذي يستدعيه النداء. فإن ذلك يقع مع السؤال والطلب. وهذا قسم عند أكثرهم؛ بدليل ما في "ص" ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾، وخبر عند بعضهم.

والذي في "ص" جاء على قياس ما في الأعراف دون الحجر، لأن موافقتها أكثر على ما سبق؛ لأنه قال فيهما: ﴿ أَنَا خَيْرٌ.. ﴾ الآية. فقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ وهو قسم عند الجميع.

ومعنى ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ يؤول إلى معنى ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ والله أعلم»[1].

وهذا التأويل محمول على المعنى العام، أما الخاص ففيه اختلاف واضح في الدلالة، نلمحها من ظاهر اللفظين، فضلاً عن أن نغوص في أعماقهما.

ب) إذا ما انتقلنا إلى لفظ القسم المحكي في "ص": ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ ولفظه المحكي في الحجر: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ فسنجد مناسبة لفظية ومعنوية «وذلك لمّا تقدم في "ص" ذكر اسمه

١) البرهان في متشابه القرآن (١٨٤).

العزيز، قال تعالى: ﴿ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾[1]، وقال: ﴿ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾[2]. وقد بدئت السورة بالعزة أيضاً فقال: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[3] فناسب أن يقسم بعزته – سبحانه–.

في حين أقسم في الحجر بإغوائه؛ لما تردد من ذكر الإغواء [في القصة]، قال تعالى: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] وقال: ﴿ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[5] فناسب أن يضع كل تعبير في مكانه الذي هو أنسب له»[6].

أما لفظ القسم المحكي في الأعراف: ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ بدون تأدب بالقسم بعزة الله، كما في "ص" أو تلطف بالنداء كما في الحجر – فذلك مناسب لفظاً ومعنى للجو المشحون بالغضب الزائد في موضع الأعراف.

ج) يرى "الإسكافي" أن اختلاف المحكيات الأولى بالشكل الوارد لا يحدث اختلافاً في المعنى؛ لأن المراد واحد، وكلٌ قَسَم «والإغواء الذي هو التخييب أو الإهلاك أو الحكم بالغواية – كل ذلك عزةٌ من الله – تعالى – ، فالقسم به كالقسم بعزته»[7].

هذا من حيث المعنى، ومن حيث الأسلوب فقد دخلت الباء على صيغتي القسم (بما أغويتني – بعزتك) وتم تلقيهما باللام في كلٍ[8].

وهذا القول يقرب كثيراً من الجزء الأخير من القول الذي نقلناه مؤخراً عن "الكرماني" في "البرهان؛ فنحمله هنا على عين ما حملناه هناك، وهو المعنى العام فقط.

د) حُذفت الفاء في سورة الحجر من قوله: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ ولم تحذف في السورتين الأخريين؛ وذلك «لأن الدعاء في المصدر يستأنف بعده الكلام، والقصة غير مقتضاة لما قبلها كما اقتضاها قوله: ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ﴾ والفاء توجب اتصال ما بعدها بما

---

١) ص (٩).

٢) ص (٦٦).

٣) ص (٢).

٤) الحجر (٣٩).

٥) الحجر (٤٢).

٦) التعبير القرآني (٣٠٩).

٧) درة التنزيل وغرة التأويل (٧٩).

٨) انظر المرجع السابق، (٧٩).

قبلها، والنداء أولاً يوجب القطع واستئناف الكلام سيما في قصة لا يقتضيها ما قبلها، فلم تحسن الفاء مع قوله: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.

والموضعان الآخران لم يدخل فيهما نداء يوجب استئناف ما بعده؛ فلذلك وصل القَسم فيهما بالأول بدخول الفاء»[1].

١٢) حملت المحكيات اللاحقة للقَسَم (جواب القسم) اختلافات واضحة أيضاً، تابعة للاختلافات الحاصلة في ألفاظ القسم الواردة في كل موضع... فكان جواب القسم في "ص": ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. وفي الأعراف: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3]. وفي الحجر: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

وتحليل ذلك يتمثل في الآتي:

أ) الملاحظ ابتداء في هذه المحكيات اللاحقة للقسم (جواب القسم) قد تفاوتت إيجازاً وبسطاً؛ حيث كانت أكثر إيجازاً في "ص"؛ إذ اقتصرت على الإغواء فقط، في حين أضافت إلى جانب الإغواء التزيين في الحجر، أما في الأعراف فقد كانت أكثر بسطاً، حيث حملت جوانب متعددة من الإغواء تمثلت في قوله:

١) ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. أي: لأجهدن في إغوائهم حتى أبعدهم عن الطريق الموصل إلى الجنة. وذلك عن طريق وسائل متعددة هي:

٢) ﴿لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾.

٣) ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

٤) ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾.

٥) ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

---

١) درة التنزيل وغرة التأويل (٧٩).

٢) ص (٨٢).

٣) الأعراف (١٦، ١٧).

٤) الحجر (٣٩).

كل هذه الوسائل – حسب ظنه – تؤدي إلى غايته المنشودة وهي:

٦) ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾. أي لتأثير وسوستي فيهم وإغوائي لهم[١].

ولعل هذه العناصر مجتمعة تمثل كل وسائل الإغواء وأهدافه جاءت مجملة في البداية ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ أي في صراطك المستقيم، فانتصب على الظرفية.

ثم فصل الطرق التي يأتي منها، وهي الجهات الأربع «لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوَّه، ولهذا ترك ذكر جهة الفوق والتحت، وعدى الفعل إلى الجهتين الأوليين بـــ (مِنْ)، وإلى الأخريين بـــ (عَنْ)؛ لأن الغالب فيمن يأتي من قدام وخلق أن يكون متوجهاً إلى ما يأتيه بكليّة بدنه، والغالب فيمن يأتي من جهة اليمين والشمال أن يكون منحرفاً، فناسب في الأوليين التعدية بحرف الابتداء، وفي الأخريين التعدية بحرف المجـــاوزة، وهـــو تمثيـــل لوسوسته وتسويله بمن يأتي حقيقة»[٢].

ثم بيّن الهدف من ذلك كله في قوله: ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾.

وبناء على ما تقدم فلم يدن المقسم عليه واحداً في المواضع الثلاثة، وفي هذا ما فيـــه من إضافات معنوية، ودلالية جديدة في كل موضع. يكمل بعضها بعضاً؛ لتشكل مجتمعة كل جوانب الإغواء التي ذكرها إبليس اللعين في جوابه.

ب) وبالنظر إلى مقدار القسم الوارد في سورة "ص": ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ ومقارنته بمقـــدار القسم الوارد في كل من سورتي الأعراف والحجر، فستجد أنه أقل من كلٍ منـــهما مـــن حيث عدد الحروف، وعدد الكلمات. وفي هذا تناسب كمي واضح بين القسم وجوابه في المواضع الثلاثة. والله أعلم.

ج) قيل أنه «ذكر التزيين في الحجر ولم يذكره في "ص". ذلك أنه ورد ذكر الزينة في الحجر ولم يرج في "ص" ،قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾[٣].

---

١) انظر: فتح القدير (١٩٢/٢).

٢) فتح القدير (١٩٢/٢).

٣) الحجر : (١٦).

وقال في موطن آخر من السورة: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[1]. وهذا من التزيين في الأرض. فناسب ذلك ذكر التزيين في قصة الحجر دون "ص"»[2]. وهذا التخريج وإن كان فيه شيء من الصحة فإنه لا يطرد..

لكن هناك مناسبة معنوية واضحة لما ورد من قول إبليس في سورة الأعراف ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[3] مع ما سبق من الآية العاشرة التي سبقت ذكر القصة مباشرة من السورة نفسها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[4]، فناسب قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مع قوله: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.

د) الملاحظ أن المحكيات الواردة في جواب القسم جاءت مؤكدة بأكثر من أداة في كل موضع، حيث وردت في "ص" مؤكدة بـ (اللام، والنون، وأجمعين) وفي الحجر: بـ(اللام، والنون (مرتين)، وأجمعين،وتقديم الجار والمجرور "لهم") وفي الأعراف بـ (اللام، والنون (مرتين)، وتقديم الجار والمجرور (لهم) بالإضافة إلى تفصيله لطرق الإغواء»

وفي ذلك دلالة واضحة على حرص إبليس الشديد على إغواء آدم وذريته..

١٣) قال في "ص": ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾[5]. وقال في الحجر: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[6]. ولم يرد في الأعراف شيء من هذا.

ولعل السبب يرجع إلى عدم التبسط في الكلام مع إبليس في موضع سورة الأعراف، فلم يكن ثمة داع لهذا القسم أو هذا القول في ذلك الموضع بالذات بل تجاوزه إلى الطرد والتهديد في حين لم يكن لمقام كذلك في "ص"، والحجر.

«وجملة ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ مستأنفه كالجمل التي قبلها. قرأ الجمهور بنصب"الحق" في الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب، أو هما

---

١) الحجر (٨٨).

٢) التعبير القرآني (٣٠٩).

٣) الأعراف (١٧).

٤) الأعراف (١٠).

٥) ص (٨٤).

٦) الحجر (٤١).

منصوبان على الإغراء، أي الزموا الحق، أو مصدران مؤكدان لمضمون قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

[وقُرئ] برفع الأول ونصب الثاني، فرفع الأول على أنه مبتدأ وخبره مقدر، أي: فالحق مني، أو فالحق أنا، أو خبره: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف، وأما نصب الثاني فبالفعل المذكور بعده، أي: وأنا أقول الحق»[1].

وأما قوله في الحجر: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ «أي: حق علي أن أراعيه، وهو ألا يكون لك على عبادي سلطان، قال "الكسائي": هذا على الوعيد والتهديد، كقولك لمن تهدده: طريقك علي ومصيرك إلي»[2].

١٤) قال تعالى في "ص": مهدداً إبليس اللعين: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]. وقال في الأعراف: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]. وفي الحجر: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

فقد خفف الفعل (تَبع) في "ص" والأعراف، وشدّده في الحجر (اتّبع).

ومما قيل في سبب ذلك التشديد: «أنه لما جاء بعد القصة في الحجر قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[6] -ناسب ذلك أن يخفف على عباده ويرحمهم بألا يدخل النار إلا من بالغ في اتّباع إبليس»[7]. ولما لم يرد مثل ذلك في "ص" والأعراف كان التحذير أشد. يدلك على هذا القَسمُ في قوله في الأعراف: ﴿لمن تبعك﴾. وجوابه المؤكد بأكثر من أداة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ والخطاب المباشر للحاضر: ﴿مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وشبيهه في "ص" : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، في حين لم يرد مثل هذا

---

١) فتح القدير (٤/٤٤٦).

٢) المرجع السابق: (٣/١٣١).

٣) ص: (٨٥).

٤) الأعراف: (١٨).

٥) الحجر: (٤٢،٤٣).

٦) الحجر: (٤٩).

٧) التعبير القرآني: (٣١٠).

الأسلوب في الحجر بل جاء على سبيل الاستثناء: ﴿ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ ﴾ ثم الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . والله أعلم .

هذا بالإضافة إلى أن قصة آدم في "ص" قد وردت «بعد ذكر عقوبات أهل النار في النار فناسب السياق في الحجر التخفيف على عباده والتفضل عليهم، بخلاف السياق في "ص"»[1].

أما موضع القصة في سورة الأعراف فواضح ما فيه من سخط وغضب شديدين يفوقان الموضعين الآخرين خاصة بعد مبالغته – سبحانه – في ذم إبليس بقوله: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً﴾. بسبب مبالغة إبليس في قوله: ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ ﴾الآيه. فناسب كل تعبير السياق الذي ورد فيه.

وشابه هذا التعبير ما سبق أن ذكرناه – نهاية المطلب الأول – من قوله تعالى في البقرة: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2]، وقوله في طه: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾[3]. غير أن هذا في الترهيب وذاك في الترغيب.

فجمع الترغيب والترهيب في هذه القصة على أتم وجه وأكمل صورة.

وبعد هذا التطواف المتواصل في ثنايا أبرز قصتين من قصص القرآن الكريم، تجلت فيهما ظاهرة التكرار المعنوي في أوضح صورها – تبين لنا – من خلال تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية لحلقات القضيتين المتكررة – أن هناك اختلافاً واضحاً ودقيقاً في البنى اللفظية المشكلة للأداءات الأسلوبية المعبرة عن المعنى العام الواحد. وهذا الاختلاف راجع في الأغلب على اختلاف الأحوال. ومناسبات المقام الذي وردت فيه كل عبارة. وهو مظهرٌ بارزٌ من مظاهر التحدي في كتاب الله؛ حيث يكون المعنى الأصل واحداً، وتحدث بتكراره زياداتٌ ومعان ثانية لم يزدد بها إلا حلاوة وطلاوة.

---

١) التعبير القرآني: (٣١٠).

٢) البقرة: (٣٨).

٣) طه: (١٢٣).

وهذا على خلاف المعهود في كلام الناس، وأساليب البلغاء، وتعبيرات الفصحاء، فإن التكرار فيه يعرض للقوة والضعف والتهافت، وإن وفّق في موضع خُذل وسقط في آخر.

كما تبين لنا أن هناك أسراراً تقف وراء الفروق اللفظية التي جاءت عليها المعاني المكررة في القرآن الكريم، وتوضح لماذا آثر القرآن لفظاً على لفظ. وأسلوباً على أسلوب مما يؤدي في النهاية إلى الإقرار بإعجاز القرآن.

وعلى كل فإن ما كشفته هذه الدراسة من دلائل الإعجاز القرآني ليس إلا قليلاً من كثير، على الرغم من البحث المتواصل والجهد المضني الذي بذله الباحث، فما تزال هناك أسرارٌ وحكمٌ وكوامنٌ محتجبة وراء هذه الظاهرة العظيمة في كتاب الله الكريم، لعل بعضها أو جلها تكشف عنه الأيام . وصدق " الشيخ" إذ يقول:«وإنك لتُتْعِبُ في الشيء نفسك، وتكد فيه فكرك، وتجهد فيه كل جهدك؛ حتى إذا قلت: قد قلتُهُ علماً، وأحكمتُه فَهماً، كنت الذي لا يزال يتراءى لك فيه شبهةٌ، ويعرض لك فيه شك... هذا وإنك لتنظر إلى الآية دهراً طويلاً وتفسرها، ولا ترى أن فيها شيئاً لم تعلمْه، ثم يبدو لك فيها أمرٌ خفيٌ لم تكن قد علمتَه »[1].

تمّت ،،

١) دلائل الإعجاز، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضا، دار المعرفة (بيروت)، (د.ت): (٤٠٨) .

الآيات الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ونصلي ونسلم على خاتم رسل الله، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بعد هذا التطواف في ثنايا ظاهرة التكرار المعنوي في القرآن الكريم ، التي اتخذ الباحث من أبرز مواضعها أنموذجات لتحليل خصائص الأسلوب والدلالة فيها.

فقد استطاع الباحث أن ينتهي إلى نتائج ليست نهاية ما يمكن الوصول إليه، وإنما هي ثمرة قراءة دؤوبة، وجهد متواصل، وتتبع واستقراء لهذه الظاهرة من خلال أبين مواضعها .

وهأنذا أزعم -وأنا على مشارف الانتهاء من هذا البحث- أن القارئ قد يجد في هذه الدراسة -بمنهجها الذي سارت عليه- جِدَّةً ولطافة تستحق التأمل..

وتدعونا هذه الخاتمة -بحكم العرف والعادة- إلى التركيز على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ويمكننا إجمالها فيما يأتي:-

أولاً: نتائج عامة:

١-يمثل البحث -فيما يرجو الباحث- نظرة عامة لظاهرة التكرار المعنوي في القرآن، تجمع بين التأصيل اللغوي للموضوع، ودراسة المعنى، وتحليل الأسلوب، وبيان الدلالة، بمنهجٍ نحسب أن فيه مغايرةً لمناهج المتقدمين في تناول هذه الظاهرة.

٢-وجد الباحث أن التقرير للمعاني يعد من أهم مقتضيات التكرار المعنوي وفوائده ، بالإضافة إلى تعدّد المتعلّق، وتأكيد الإنذار، والردع، والتبكيت.. وغيرها. ولا يمكن إدراك هذه المعاني وتلك الفوائد والدلالات إلا عن طريق هذا الأسلوب .

٣-وجد الباحث أن التكرار المعنوي ما جاء إلا نتيجة لدواعٍ سياقية ومقتضيات مقامية، استلزمت تكرا المعاني القرآنية، ولو لم تكرر لقصر أسلوب القرآن عن بلوغ مراميه -ناهيك عن تبعات ذلك على أسلوب القرآن.

٤-وجد الباحث أن الظاهرة الحقيقية التي تكمن وراء التكرار هي التنويع في أساليب التعبير، والتعدد في دلالات المعنى؛ وفاءً بحاجة المعنى حسب السياق، وليس التكرار المحض بالمعنى المفهوم من اللفظ. ولكن هذا لا ينفي صحة التسمية.

٥-تأكد للباحث أنه لا يمكن بحال في بحث كهذا فصل دراسة اللفظ عن المعنى، أو المعنى عن الأسلوب ؛ لوجود ارتباط عضوي، وتكامل معنوي تلازمي بينها.

٦-إن في تكرار المعنى تذكيراً به ، وتثبيتاً له في الذهن، وتقريراً له في النفس.

٧-وجد الباحث أن في كل موضع من مواضع التكرار المعنوي إضافة وتجديداً في صور الأداء الأسلوبي أو في الدلالة أو فيهما معا.

٨-توصل الباحث إلى أن النمط الأسلوبي والدلالي العام للسورة ، هو الذي يلقي بظلاله على أساليب التعبير ونوعية الدلالة للمعنى المتكرر في هذه السورة؛ فلا ينبو عن طبيعة السورة وسياقاتها من جهة، كما يتميز عن بقية المواضع بإضافات صياغية ودلالية جديدة من جهة أخرى.

٩- هناك علاقةٌ وطيدة بين مستويات اللغة، من: صوت، وبنية، وتركيب - مع المعاني التي عبرت عنها هذه المستويات؛ حيث وجد الباحث تلازماً واضحاً بين اللفظ والمعنى المسوق له هذا اللفظ، ولا تتأتى بلاغة المعنى المراد إلا بتكرار اللفظ الدال عليه، فكل لفظٍ وقع في مكانه المناسب، ولو عُدِلَ إلى لفظٍ آخر، أو اكْتُفِيَ بأقل من عدد الألفاظ المكررة في كل موضعٍ؛ لَقَصُرت بلاغة القرآن عن الوصول إلى درجة الإعجاز.

١٠-إنّ في إبراز الكلام الواحد(المعنى العام الواحد) في فنون كثيرة من القول ، وأساليب مختلفة من التعبير - ما لا يخفى من الفصاحة ، وهو أبلغ في لإعجاز، وآكد في الحجة والبيان.

١١- يعد التأكيد على المعنى من أبرز أغراض التكرار المعنوي.

١٢- هناك فوائد أخرى – من خلال هذا البحث – ليست على المستوى المعنوي أو البياني أو اللغوي فحسب ، بل هي فوائد ضمنية يمكن أن يستفيدها الدعاة والمربون من ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ، من أهمها : تثبيت بعض المعاني في نفوس المدعوين ، وبيان أهميتها من خلال التركيز عليها وترداد ذكرها؛ ليدرك الناس مكانتها الجليلة ، وعظم شأنها ؛ فيقدروها حق التقدير .

ثانياً: نتائج خاصة:

١- لم تغب المعاني العقدية عن كلٍّ من السور المكية والمدنية، فهي أكثر المعاني تكراراً وتنوعاً في الوقت نفسه. وقد ارتبطت بمختلف المعاني المكررة في القرآن الكريم ..

٢- كرر القرآن كثيراً كلمة التوحيد التي هي أساس معنى الألوهية، مستقصياً البنى التعبيرية المفضية إليها، والمعبرة عنها.

٣- في تكرار الوعيد قصدٌ واضحٌ إلى الزجر عن ارتكاب ما ارتكبه الموصوفون من أعمال وبسط للموعظة، وتبيت الحجة، ونحوها..

٤- تكرر موضوع الجهاد في السور المدنية بشكل ملحوظ ، فشغل فيها – إلى جانب المعاني التشريعية الأخرى – حيزاً كبيرًا - ناهيك عما في ذلك من دلالة على أهميته الكبرى، ومكانته العظمى في الإسلام.

٥- يأتي موضوع الإنفاق في الدرجة الثانية بعد موضوع الجهاد في جانب المعاني التشريعية التي تكررت في القرآن الكريم . وقد وجد الباحث أن أهم المعاني المكررة في موضوع الإنفاق هي: بيان أهمية الإنفاق والترغيب فيه والحض عليه.

٦- وجد الباحث أن القرآن قد استخدم أساليب متعددة للترغيب في الجهاد وبيان أهميته . وكذلك الحال في موضوع الإنفاق.قصداً إلى الإقناع والتأثير بمختلف الوسائل.

٧- يُعد الجانب القصصي أبرز وأظهر مواضع التكرار المعنوي في القرآن الكريم على الإطلاق.

٨- تأتي قصة موسى - عليه السلام - في مقدمة قصص القرآن الموسومة بالتكرار المعنوي ، وتليها قصة آدم ، ثم يأتي بعد ذلك القصص الآخر؛ كقصة إبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب.

٩- تركزت دعوة الرسل لأقوامهم بدرجة أساس على محور واحد تدور حول هذه الرسالات هو محور العبادة لله وحده (توحيد الألوهية) مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1].

---

١) الأنبياء : ٢٥.

١٠- تميز التكرار المعنوي في القصص القرآني بنقل المشاهد والأحداث الداخلية والخارجية للموقف بما فيها . مع تصوير أدق الخواطر الذهنية وأخفى الخلجات النفسية غير المنطوقة -ناهيك عن البارزة والظاهرة .

١١- لحظ الباحث أن كل تكرار لحلقة من حلقات قصة ما أضاء جانباً آخر من جوانب هذه القصة لم يضئه غيرُه، وعند جمع هذه الموضع تكتمل الصورة من جميع جوانبها؛ فيتحقق شمول التناول ، وترابط الأجزاء، ووضوح الصورة، وتجدد الأداء في آن واحد.

وليس ما توصل إليه الباحث هو نهاية المطاف، بل يبقى مشروع القراءة مفتوحاً، وتبقى النصوص كذلك في متناول الباحثين، فهي بحاجة إلى الاستنطاق والتحليل وفق رؤىً جديدة؛ للوصول إلى آفاقٍ لم يستطع الباحث أن يصل إليها..وفوق كل ذي علمٍ عليم.

وأسأل الله ﷻ أن ينفع بهذا البحث قارئيه، وأن يجعله منطلقاً لدراسات أكثر توسعًا وعمقًا، راجياً منه -سبحانه- أن يجازينا بالحسنات إحسانًا، وبالسيئات عفواً وغفراناً..

إنه ولي ذلك والقادر عليه ،،،

والحمد لله رب العالمين .

الباحث

١٣/ جمادى الآخرة/١٤٢٦هـ

الموافق: ١٩/٧/٢٠٠٥م

الفهارس العامة

فهرس الآيات موضع التحليل

الفصل الأول المبحث الأول:

١- وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [سورة آل عمران] ..... (١١٢، ١١٠، ١٠٢).

٢- قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ (٢) ﴾ [سورة النحل] ..... (١١٠، ١٠٣، ١٠٢).

٣- وقال تعالى مخبراً عن يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [سورة الأنبياء] ..... (١٠٦، ١٠٢).

٤- وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ﴾ [سورة محمد] ..... (١٠٨، ١٠٢).

الفصل الأول المبحث الثاني:

١- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدا (١٦٧) ﴾ [سورة النساء] ..... (١٣٠، ١٢٢، ١١٦).

٢- قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) ﴾ [سورة النحل] ..... (١٢٠، ١١٦).

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥) ﴾ [سورة الحج] ..... (١٣٠، ١١٧).

٤- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) ﴾ [سورة محمد] ..... (١٢٥، ١١٦).

٥- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) ﴾ [سورة محمد] ..... (١١٦،١٢٨).

٦- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) ﴾ [سورة محمد] ..... (١١٧،١٣٠).

الفصل الثاني المبحث الأول المطلب الأول:

١- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) ﴾ [سورة البقرة] ..... (١٣٧).

٢- وقال تعالى في البقرة أيضاً: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) ﴾ [سورة البقرة] ..... (١٣٧).

٣- وفي سورة النساء: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً (٨٩) ﴾ [سورة النساء] ..... (١٣٧،١٤٠).

الفصل الثاني المبحث الأول المطلب الثاني:

١- قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ [سورة البقرة] ..... (١٤١).

٢- وقال في الأنفال: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) ﴾ [سورة الأنفال] ..... (١٤١).

الفصل الثاني المبحث الأول المطلب الثالث:

١- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ (١٢) ﴾ [سورة التوبة] ..... (١٤٤).

٢- وقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) ﴾ [سورة التوبة] ..... (١٤٤،١٤٦).

٣- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(٣٦) ﴾ [سورة التوبة] ..... (١٤٤،١٤٧).

٤- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(١٢٣) ﴾ [سورة التوبة] ..... (١٤٥،١٤٨).

الفصل الثاني المبحث الأول المطلب الرابع:

١- وقال في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣٥) ﴾ [سورة المائدة] ..... (١٥٠،١٥٢).

٢- قال تعالى في سورة الحج: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(٧٨) ﴾ [سورة الحج] ..... (١٥٠).

الفصل الثاني المبحث الثاني المطلب الأول:

١- وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ(٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(٢٧٣) ﴾ [سورة البقرة] .....(١٥٦،١٦٠).

٢- وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾ [سورة الأنفال] ..... (١٥٦،١٦٧).

٣- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ(٣٩) ﴾ [سورة سبأ] ..... (١٥٩).

٤- قال تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ(٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣٨) ﴾ [سورة الشورى] ..... (١٥٦).

الفصل الثاني المبحث الثاني المطلب الثاني:

١- وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(١٤٥) ﴾ [سورة البقرة] ..... (١٦٨).

٢- وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ(١١) ﴾ [سورة الحديد] ..... (١٦٨).

٣- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ(١٨) ﴾ [سورة الحديد] ..... (١٦٩،١٧٢).

٤- وقال تعالى: ﴿ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾ [سورة التغابن] ..... (١٦٩،١٧٢).

٥- قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢٠) ﴾ [سورة المزمل] ..... (١٦٨).

الفصل الثالث المبحث الأول المطلب الأول:

١- قال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلأ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) ﴾ [سورة الأعراف] ..... (١٧٧،١٧٨،١٧٩).

٢- قال في سورة "الشعراء": ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ

رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) ﴾ [سورة الشعراء] ..... (١٧٧،١٧٨،١٧٩).

الفصل الثالث المبحث الأول المطلب الثاني:

١- قال تعالى – في سورة "طه" – : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) ﴾ [سورة "طه"] ..... (٢٠٢،٢٠٤،٢٠٥).

٢- قال تعالى – في سورة "النمل" – : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾ [سورة النمل] ..... (٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٢).

٣- قال تعالى – في سورة "القصص" – : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ [سورة القصص] ..... (٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٢).

الفصل الثالث المبحث الثاني المطلب الأول:

١- وقال تعالى في سورة "البقرة": ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ

الشَّجَرَةَ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [سورة البقرة] ..... (٢٤٧،٢٤٩،٢٥٠).

٢- قال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾ [سورة الأعراف] ..... (٢٤٧،٢٤٩،٢٥٠).

الفصل الثالث المبحث الثاني المطلب الثاني:

١- وقال تعالى في سورة "الأعراف": ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴾ [سورة الأعراف] ..... (٢٦٨،٢٦٩،٢٧١).

٢- قال تعالى في سورة "الحجر": ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) ﴾ [سورة الحجر] ..... (٢٦٨،٢٦٩،٢٧١).

٣- قال تعالى في سورة "ص": ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ [سورة "ص"]..... (٢٦٨،٢٦٩،٢٧٢،٢٨٧).

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أبنية المشتقات الاسمية في المعلقات السبع(دراسة صرفية دلالية) ، عبد النور محمد الماحي ، (رسالة دكتوراه- جامعة أم درمان الإسلامية- السودان) (٢٠٠١م).

٣. أحكام القرآن، أبو بكر عمر بن عبد الله بن العربي، ت: محمد عبد القادر، دار الفكر (بيروت-لبنان)، (د.ت).

٤. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري ، ت: عبدالرحيم محمود ، ط: دار المعرفة (بيروت) ، (د.ت).

٥. أساليب القصص القرآني في تنمية قيم التوحيد ، عبد الوهاب زيد المصباحي (رسالة دكتوراه-جامعة الجزيرة- السودان (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٦. أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ت:مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر(بيروت)، (١٤١٥هـ).

٧. إعجاز القرآن ،أبو بكر بن محمد الباقلاني، تقديم وشرح : محمد شريف سُكّر، ط(١)، دار إحياء العلوم (بيروت)، ١٩٨٨م.

٨. إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط(١)، دار عمار للنشر (عمّان-الأردن)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٩. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد محمد النحاس، ت: زهير غازي زاهد ، عالم الكتب (بيروت) (د . ت).

١٠. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي ، ت: محمد شريف سكر و مصطفى قصَّاص، ط(٢)، دار إحياء العلوم (بيروت) (١٩٩٢م).

١١. الأحاديث القدسية (دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي)، علي عبد الله النعيم (رسالة دكتوراه-الجامعة الأردنية-الأردن)، (١٩٩٤م).

١٢. الأحاديث المختارة، أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد الحنبلي، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، ط(١)، مكتبة النهضة الحديثة(مكة المكرمة)، (١٤١٠هـ):

(٢٧٨/٥).
١٣. الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، ت: عبد الصبور شاهين، ط(١٠)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، (١٩٩٣م).
١٤. الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ، أحمد الشايب، ط(٤)، مكتبة النهضة المصرية(القاهرة)(١٩٩٥م).
١٥. الأسلوب والأسلوبية، بيرجيرو، ترجمة: منذر العياشي، ط: (٥) ، مركز الإنماء القومي (بيروت)، (د.ت).
١٦. الأسلوب والأسلوبية (بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام) عدنان علي رضا النحوي ، ط:(١) ، دار النحوي للنشر والتوزيع (الرياض) (١٤١٩هـ – ١٩٩٩م).
١٧. الأسلوبية، جورج مولينية، ترجمة: بسام بركة، ط:١، المؤسسة الجامعية للنشر (بيروت)، (١٩٩٩م)
١٨. الأسلوبية (دراسة لغوية إحصائية)، سعد مصلوح، ط:٣، عالم الكتب (القاهرة) (١٩٩٢م).
١٩. الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، سليمان فتح الله، ط:١، الدار الفنية للنشر (القاهرة) (١٩٩٠م).
٢٠. الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي ، ط:٣ ، الدار العربية للكتاب(ليبيا) (١٩٨٢).
٢١. الانتصار للقرآن، أبو بكر ابن الطيب الباقلاني ، ت: محمد عصام القضاة ، ط(١) ، دار الفتح (عمان)، دار ابن حزم (بيروت)، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).
٢٢. البحث الأسلوبي (معاصرة وتراث)، رجاء عيد ، منشأة المعارف (الإسكندرية) (١٩٩٣م).
٢٣. البحر المحيط ، محمد بن يوسف الأندلسي (أبوحيان)، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (١٩٩٣م).
٢٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ت: مصطفى عبد

القادر عطا، ط(١) ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).
٢٥. البرهان في متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني ، (ت: أحمد عز الدين خلف الله،ط(١)، دار الوفاء (المنصورة- مصر)، (١٤١١هـ-١٩٩١م).
٢٦. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، محمد حسنين أبو موسى ، دار الفكر العربي (القاهرة)، (د.ت).
٢٧. البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل حسن عباس، ط(٣)، دار الفرقان (الأردن)، (١٩٩٢م).
٢٨. البيان في روائع القرآن، تمام حسان، ط(١)، عالم الكتب (القاهرة) (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).
٢٩. البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ت : حسن السندوبي ، دار إحياء العلوم (بيروت – لبنان)، ط(١)، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
٣٠. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، دار النشر: عيسى البابي الحلبي، (د . ت).
٣١. التسهل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي، ط(٤)، دار الكتاب العربي (لبنان)، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
٣٢. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، ط(٨) ، دار الشروق، (بيروت)، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).
٣٣. التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: محمد رضوان الداية، ط:١، دار الفكر المعاصر (بيروت—دمشق) (١٤١٠هـ).
٣٤. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي ، ط (٢) ،دار عمار(عمّان- الأردن) (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)
٣٥. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب..) ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط(١)، دار الكتب العلمية(بيروت) (١٤٢١هـ).
٣٦. التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني(دراسة لغوية أسلوبية) ، خالد قاسم حسين بني دومي (بحث ماجستير-جامعة اليرموك- الأردن)، (١٩٩٩م).

٣٧. الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي): أبو عبد الله القرطبي، ،ط: دار الريان للتراث (القاهرة)،(د٠ت).
٣٨. الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي، ط(١) ، دار ابن حزم (بيروت- لبنان)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
٣٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني ، ت: محمد علي النجار ، ط(٢)، دار الهدى (بيروت) (د . ت).
٤٠. الخصائص الأسلوبية لنثر الإمام عليّ ﷺ في نهج البلاغة، سعد محمد علي جاسم التميمي، (رسالة دكتوراه-جامعة أم درمان الإسلامية- السودان)، (١٩٩٧م).
٤١. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري الحمَد ،ط(١)، دار عمار (عمّان-الأردن)، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
٤٢. الدرّ المنثور للسيوطي، جلال الدين السيوطي، دار الفكر (بيروت)، (١٩٩٣م).
٤٣. الدلالة والحركة (دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة) ، محمد محمد داود، دار غريب (القاهرة) ، (٢٠٠٢م).
٤٤. السياق وأثره في تحديد المعنى ، جعفر محمد يوسف (بحث ماجستير- جامعة أم درمان الإسلامية- السودان)، (د . ت).
٤٥. الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت: أحمد عبدالغفور عطا ، ط (٤)، دار العلم للملايين (بيروت) ١٩٨٧م.
٤٦. الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، ت: مفيد قميحة، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (١٩٨١م).
٤٧. الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، صلاح الدين عبد التواب ، ط(١) ، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، (١٩٩٥م).
٤٨. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة للعلوي ، دار الكتب العلمية (بيروت)، (د.ت).
٤٩. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت : مهدي المخزومي ، و إبراهيم السامرائي ، ط(١)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت) ،

(د.ت).
٥٠. الفائق، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط(٢)، دار المعرفة(لبنان)، (د.ت).
٥١. الفاصلة في القرآن ، محمد الحسناوي ، ط(٢) ، المكتب الإسلامي ودار عمار (عمان-الأردن) (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
٥٢. الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال (بيروت) (١٩٨٧م).
٥٣. القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، (بيروت) ، ط(٣) ، ١٩٩٣م .
٥٤. القصص القرآني (في منطوقه ومفهومه) ، عبد الكريم الخطيب، ط (١) ، مطبعة السنة المحمدية(لقاهرة)(١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
٥٥. القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن)، محمد قطب، دار قُباء للطباعة والنشر(القاهرة)، (٢٠٠١م).
٥٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث (بيروت) (د.ت).
٥٧. الكليات ، أبو البقاء أيوب الكفوي، فهرسة : عدنان المصري ، ط(١)، مؤسسة الرسالة ، (بيروت) (١٩٩٢م).
٥٨. اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ، أحمد محمد قدور، ط(١)، دار الفكر (بيروت - دمشق) (.١٤٢هـ).
٥٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط:المكتبة العصرية (صيدا، بيروت) (١٩٩٠م).
٦٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت: المجلس العلمي (بتارودانت)، ط: مكتبة ابن تيمية، (د .ت).
٦١. المداخل الإقناعية في القرآن الكريم(دراسة تطبيقية على المثل في القرآن الكريم)، حسناء سعد عبد السميع (رسالة ماجستير-جامعة المنيا- مصر)، (٢٠٠٠م).

٦٢. المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ط(١)، دار عمار (عمان) (١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م).
٦٣. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ط(٢)، الناشر مكتبة الجانجي (القاهرة – مصر) ، (١٤٠٥ه – ١٩٨٥م).
٦٤. المشاهد في القرآن الكريم(دراسة تحليلية وصفية)، حامد صادق قنيبي ، ط(١)، مكتبة المنار، (الزرقاء – الأردن)، (١٩٨٤م).
٦٥. المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، ط: المكتبة العلمية (بيروت) ، (د.ت).
٦٦. المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) ، محمد ، وراجي الأسمر المتونجي . ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) ،٩٩٣م .
٦٧. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى، وآخرون ، ، ط: دار الدعوة (استانبول) (د.ت).
٦٨. المفردات في غريب القرآن، ، أبو القاسم الحسين بن محمد(الراغب الأصفهاني)، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة(لبنان)، (د.ت).
٦٩. النظم القرآني في سورة الرعد، محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب(مصر)، (د.ت).
٧٠. بلاغة القرآن في أدب الرافعي، فتحي عبد القادر فريد، ط: دار المنار (القاهرة) (د.ت).
٧١. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي، ط(٢)، دار عمار (عمان – الأردن) ، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).
٧٢. بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، ط(١)، دار الشروق (القاهرة)، (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).
٧٣. تاج العروس ، محمد مرتضى الزَّبيدي ، ت : إبراهيم التّرزي ، ط: دار إحياء التراث العربي (بيروت) ١٩٧٤م.
٧٤. تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ط(٢) ، دار الكتاب العربي (بيروت) (١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م).

٧٥. تأويل مشكل القرآن ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، السيد أحمد صقر، ط(٣)، المكتبة العلمية (المدينة المنورة)، (١٤٠١هـ – ١٩٨١م).
٧٦. تحاليل أسلوبية، محمد الهادي الطرابلسي، ط:٢، دار الجنبو للنشر (تونس)(١٩٨٩م).
٧٧. تفسير أبي السعود ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث (بيروت)، (د . ت).
٧٨. تفسير البغوي، البغوي، ت: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة (بيروت) (د. ت).
٧٩. تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر (بيروت)، (د . ت).
٨٠. تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلمي(بيروت) (د.ت).
٨١. تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: محمد صالح العثيمين ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، (١٤٢١هـ–٢٠٠٠م).
٨٢. تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ت:ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط(١)، دار الوطن (الرياض)، (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م).
٨٣. تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط(٣)، دار المعرفة (بيروت)، (١٩٨٩م).
٨٤. تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي ، دار الشعب (القاهرة)، (د.ت)
٨٥. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ط(١)، عالم الكتب(بيروت)، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).
٨٦. ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية وعلاقتها بالأصول الثلاثية ، أمين فاخر، ط(١)، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨م .
٨٧. جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، (بيروت)، (١٩٨٧م).
٨٨. حجة القراءات "لابن زنجلة "(د.ت).
٨٩. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٦م.

٩٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعـــني، ط(١)، مكتبة وهبة (القاهرة)، (١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م).
٩١. دراسات في علوم القرآن، محمد سالم عبيدات، ط(١)، دار عمار (عمّـــان- الأردن)(١٤١١هـــ- ١٩٩٠م).
٩٢. دراسات قرآنية، محمد قطـــب، ط (٧)، دار الشـــروق(القـــاهرة) (١٤١٤هـــــ- ١٩٩٣م).
٩٣. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، أحمد درويش ، مكتبة الزهراء (القاهرة)، (د . ت).
٩٤. درة التنـــزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، أبو عبدالله الإسكافي، ط(١)، دار الكتب العلمية (بيروت) (د.ت).
٩٥. دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) ، محمد محمد أبو موسى ، ط(٢)، مكتبـــة وهبـــة (القاهرة)، (١٤٠٨هـــ – ١٩٨٧م).
٩٦. دلائل الإعجاز، الإمام/ عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد رشيد رضـــا، دار المعرفـــة (بيروت)، (د.ت)
٩٧. دلالة السياق في القصص القرآني، د/ محمد عبد الله علـــي ســـيف، (١٤٢٢هـــــ- ٢٠٠٢م).
٩٨. ديوان امرئ القيس ، حُندُج بن حُجْرْ (امرؤ القيس) ، ت: مصطفى عبدالشـــافي ، ط(١) ، دار الكتب العلمية(بيروت) ١٩٨٣م.
٩٩. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الألوســـي ، دار إحياء التراث (بيروت) ، (د . ت).
١٠٠. شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها ، محمد متولي الشعراوي ، ط: دار العودة (بيروت)، (١٩٨٨م).
١٠١. شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، بهاء الدين عبد الله ابن عقيـــل ، دار الفكر ، ط (١٤٠٥هـــ ـــ ١٩٨٥م).
١٠٢. شروح التلخيص، مع هامش الشروح المحتوية على كتابي الإيضاح للقـــزويني،

وحاشية الدسوقي، سعد الدين التفتازاني ، وأبو يعقوب المغربي ، وبهاء الدين السبكي ، ط(٤)، دار الهادي (بيروت)، (١٩٩٢م).

١٠٣. شواهد في الإعجاز القرآني (دراسة لغوية دلالية)، د/عودة أبو عودة، ط(١) دار عمار (عمّان-الأردن)، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

١٠٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط(٣)، دار ابن كثير، واليمامة(بيروت)، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

١٠٥. صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، ط(٤)، دار القرآن الكريم (بيروت – لبنان) (١٤٠٢هـ-١٩٨١م) .

١٠٦. ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن ، أحمد قاسم الزمر ، ط(١)، مركز عبادي للدراسات والنشر (صنعاء)، (١٤١٧هـ -١٩٩٦م) .

١٠٧. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، ط(١) ، دار الشروق (القاهرة) ، (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

١٠٨. علم الدلالة (بين النظر والتطبيق) ، أحمد نعيم الكراعين ط(١) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (بيروت – لبنان) (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

١٠٩. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار النهضة العربية (بيروت، لبنان)، (د . ت).

١١٠. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر (القاهرة)، (٢٠٠٥م).

١١١. علم المعاني وأساليبه البلاغية، طاهر عبد الرحمن قحطان، ط(١)، مكتبة الإرشاد (صنعاء) (١٩٩٤م).

١١٢. علوم البلاغة (البيان، والمعاني، والبديع)، أحمد مصطفى المراغي ، دار القلم (بيروت)، (د . ت).

١١٣. فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني، دار القكر (بيروت)، (د .ت).

١١٤. فقه اللغة ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ت: جمال طلبة، ط(١)، دار الكتب العلمية(بيروت)، (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

١١٥. فن البلاغة، عبد القادر حسن، عالم الكتب، ط(٢)، (١٩٨٤م).
١١٦. فنون الأفنان في علوم القرآن ، أبو الفرج ابن الجوزي ، ت: حسني ضياء الدين عمر ،ط(١)، دار البشائر الإسلامية (١٩٨٧م).
١١٧. في البلاغة القرآنية " أسرار الفصل والوصل "، صبّاح عبيد دراز، ط(١)، مطبعة الأمانة(القاهرة)، (١٩٨٦م).
١١٨. في شرف العربية(كتاب الأمة) ، إبراهيم السامرائي ، ط(١)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر ، (جمادى الآخرة/ ١٤١٥هـ).
١١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب ،ط (١٥)، دار الشروق (بيروت، القاهرة)، (١٩٨٨م).
١٢٠. قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس ، ط(١)، دار الفرقان(عمّان-الأردن)، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)
١٢١. كتاب التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) ط (٣) (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
١٢٢. كتاب الفوائد، الإمام ابن قيم الجوزية ، دار مكتبة الحياة (بيروت ، لبنان)، (د.ت).
١٢٣. كتب ورسائل وفتاوي بن تيمية في التفسير، أحمد عبد الحليم بن تيمية، ت:عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، ط(٢)، مكتبة بن تيمية، (د . ت).
١٢٤. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ط(٣)، دار صادر (بيروت) ١٩٩٤م .
١٢٥. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل صالح السامرائي ، ط(٢) ،دار عمار (عمان-الأردن) (١٤٢٢ه – ٢٠٠١م).
١٢٦. مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، ط(١٩)، مؤسسة الرسالة (بيروت) (١٤٠٦ه – ١٩٨٣م).
١٢٧. مباحث في مشكلات النحو العربي وسبل علاجها ، د ، محمد غالب عبد الرحمن وراق،(د.ت).

١٢٨. مبادئ اللسانيات ، أحمد محمد قدور، ط(١) ، دار الفكر(دمشق – سوريا) الفكر المعاصرة (بيروت – لبنان) ، (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).
١٢٩. محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، نجيب على عبد الله السودي ، وزارة الثقافة والسياحة (اليمن) ، (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).
١٣٠. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، ط: جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، (١٤١٥ه-١٩٩٥م).
١٣١. مدخل إلى الأسلوبية ، الهادي الجطلاوي ، ط:١، مكتبة عيون (الدار البيضاء)، (١٩٩٢م).
١٣٢. مدخل إلى علم الأسلوب، شكري محمد عياد، ط:١ ، دار العلم (الرياض) (١٩٨٢م)
١٣٣. انظر: معاني القرآن ، أبو زكريا بن يحي بن زياد الفراء ، فاتن محمد خليل اللبون، ط(١)، دار احياء التراث العربي (بيروت)، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م)
١٣٤. معاني القرآن، النحاس، ت:محمد علي الصابوني، ط(١)، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، (١٤٠٩م).
١٣٥. مشكل إعراب القرآن للقيسي مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ت: د/حاتم صالح الضامن، ط(٢)، مؤسسة الرسالة(بيروت)، (١٤٠٥هـ).
١٣٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين بن أبي بكر السيوطي ، ت:علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د.ت).
١٣٧. معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد سمير نجيب اللبدي ، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان) ، ط (١) (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
١٣٨. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ت : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).
١٣٩. مفتاح العلوم ، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، ضبط وشرح: نعيم زرزور،ط (١) ، دار الكتب العلمية (بيروت) ، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

١٤٠. مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ، محمد بركات حمدي أبو علي، دار النشر (عمان – الأردن) ، (١٤٠٨ه – ١٩٨٨م) .
١٤١. مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد ابن فارس ، ت : عبد السلام هارون ،ط(٣)، مطبعة مصطفى الحلبي ، ط (٣)، ١٩٧٢م.
١٤٢. من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، (٢٠٠٤م).
١٤٣. مناهج في تحليل النظم القرآني ، منير سلطان ، منشأة المعارف (الإسكندرية)، (د . ت).
١٤٤. مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط:(٣)، دار الفكر (بيروت)، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)
١٤٥. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط(١)، دار الفرقان(عمّان)، (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).
١٤٦. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخر الدين الرازي، ت: بكري شيخ أمين، ط(١)، دار العلم للملايين (بيروت)، (١٩٨٥م).

دوريات:

i. السياق في الفكر اللغوي عند العرب، د/ صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام- العدد(٤٠٣)، (آذار –نيسان ١٩٩٢م).

أهم الفهارس والمعاجم الخاصة بالألفاظ والمعاني القرآنية . والتي اتخـــذ منـــها الباحث دليلاً نظرياً في الإحصاء والتدقيق:

١- الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، محمد مصطفى محمد ، ط(٤)، دار عمار (عمان) ودار الجيل (بيروت) (١٤٠٩هـــ – ١٩٨٩م).

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ،ط(١)، دار الحديث (القاهرة)، ١٤١٧ه – ١٩٩٦م.

٣- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابهة لفظا في القرآن الكريم ، محمد زكي محمد خضر ، ط(١) ، دار عمار (عمـــان)، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.

٤- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم ، محمد بسام، رشدي الزين ، دار الفكر (دمشق – بيروت).

٥- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، صبحي عبد الـــرؤوف عصر ، دار الفضيلة (القاهرة).

٦- تبويب آي القرآن الكريم من الناحية الموضوعية، أحمد إبـــراهيم مهنا (مجلة كتاب الشعب).

٧- تصنيف آيات القرآن الكريم ، محمد محمود اسماعيل ،ط(١)، دار اللواء (الرياض) (١٤١٣ه – ١٩٩٣م).

٨- مصحف التجويد كلمات القرآن تفسير وبيـــان مـــع فهـــرس مواضيع القرآن إعداد : الشيخ/ حسنين محمـــد مخلـــوف ،دار المعرفة (دمشق) .

٩- مفردات القرآن الكريم، تفسير وبيان ، محمد حسن الحمصـــي ، ط: مؤسسة الإيمان، ودار الرشيد (بيروت،دمشق) (د.ت).

فهرس المحتويات

الموضوع ..... الصفحة

الإهداء ٣

شكر وتقدير ٤

مقدمة ٥

الباب الأول: الإطار النظري للبحث:

الفصل الأول: مصطلحات البحث:..... ١٢

المبحث الأول: مفهوم التكرار المعنوي ١٣

المطلب الأول: مفهوم التكرار ١٣

المطلب الثاني: مفهوم المعنى ٢١

المطلب الثالث: مفهوم التكرار موصوفًا بالمعنى ٢٧

المبحث الثاني: مفهوم الأسلوب والأسلوبية ٢٩

المبحث الثالث: مفهوم الدلالة والدلالية ٤١

الفصل الثاني: دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم،وفوائده ... ٤٩

تمهيد ٥٠

المبحث الأول: دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند القدماء ٥٣

المبحث الثاني: دراسات التكرار المعنوي في القرآن الكريم عند المحدثين ٦٢

المبحث الثالث: فوائد التكرار المعنوي في القرآن الكريم ٧٢

الباب الثاني: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في القرآن الكريم (الإطار التحليلي):

الفصل الأول: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في الجانب العقدي..... ١٠٠

المبحث الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في الآيات الدالة على وحدانية الله ﷻ ١٠١

المبحث الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية للتكرار المعنوي من خـــلال آيات الوعيد ١١٦

الفصل الثاني: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في الجانب التشريعي والأخلاقي ١٣٣

المبحث الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في موضوع الجهاد (الدعوة إلى الجهاد) ١٣٦

المطلب الأول: تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر بالقتال في سبيل الله ١٣٧

المطلب الثاني : تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر بالقتال مع كون المفعول به ضمير غائب ١٤١

المطلب الثالث : تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة الأمر مع كون المفعول به اسمـــًا ظاهرًا ١٤٤

المطلب الرابع : تكرار الدعوة إلى الجهاد بصيغة " وجاهدوا " ١٥٠

المبحث الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في موضوع الإنفاق ١٥٥

المطلب الأول: بيان مكانة الإنفاق وفوائده ١٥٦

المطلب الثاني : الإنفاق قرض بين العبد وربه ١٦٨

الفصل الثالث: الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في
القرآن الكريم الجانب القصصي ١٧٣
- القصة القرآنية والتكرار ١٧٤
المبحث الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي
في قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ١٧٧
المطلب الأول:تحـــليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار
المعنوي في قصة موسىعليه السلام من خلال موضعيها
في سورتي: "الأعراف" و"الشعراء": ١٧٧
المطلب الثاني:تحـــليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار
المعنوي في قصة موسىعليه السلام من خلال مواضع القصة
في سور: ("طه" ، و"النمل" ،و"القصص") ٢٠١
المبحث الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي في
قصة آدم عليه السلام ٢٤٤
- نظرة تحليلية عامة ٢٤٤
المطلب الأول: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار
المعنوي في قصة آدمعليه السلام من خلال موضعيها
في سورتي: "الأعراف" و "البقرة"..... ٢٤٦
المطلب الثاني: تحليل الخصائص الأسلوبية والدلالية للتكرار المعنوي
في قصة آدم عليه السلام من خلال مواضعها في سور:
"ص" ، و"الأعراف"، و"الحجر" ٢٦٨
الخاتمة ٢٩٩
فهرس الآيات ٣٠٣
المصادر والمراجع ٣١٢
فهرس المحتويات ٣٢٥